AskZad

فقه اللغة بين النظر والتطبيق

ظاهرة الغرابة
في الحديث النبوي الشريف

تأليف

د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي

أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة

في كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر بالقاهرة

الطبعة الثانية

١٤٢٥ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد

فقد استقر في الاذهان حينا من الدهر ما قرره المتاخرون من علماء البلاغة من ان الفصاحة في اللفظ المفرد لا تتحقق الا اذا خلت الكلمة من عيوب ثلاثة هي : الغرابة وتنافر الحروف ومخالفة القياس ، وقد اقتضى هذا المعيار امرين اتضح فيما بعد انهما في حاجة الى اعادة النظر هما :

١ ـ الغرابة صفة تلحق اللفظ المفرد .
٢ ـ الفصاحة لا تجتمع مع الغرابة في لفظ واحد .

ولما كنا نعلم على وجه اليقين ان الرسول ﷺ افصح العرب قاطبة وان حديثه الشريف لا يساميه او يدانيه كلام احد منهم في الفصاحة والبلاغة لانه كما يقول الجاحظ « الكلام الذي القى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الافهام وقله الكلام ... ولم يسمع الناس بكلام قط اعم نفعا ولا اقصد لفظا ولا اعدل وزنا ولا اجمل مذهبا ولا اكرم مطلبا ولا احسن موقعا ولا اسهل مخرجا ولا افصح معنى ولا ابين في فحوى من كلامه ﷺ » (١) .

وقد علمنا من جهة ثانية ان الغريب قد كثر في حديثه ﷺ وليس ادل على ذلك من تلك المؤلفات الضخمة التي احتشد العلماء لتصنيفها منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وتتضمن الاحاديث الغريبة في كلامه ﷺ .

---

(١) البيان والتبيين ١٧/٢ .

ان التسليم بهاتين المقولتين معا يؤدى الى التناقض الذى يخل بحقيقة العلم (٢) اخلالا بينـــا ، ومن هنا فانه لا مناص من بحث الموضوع من وجهة لغوية عسى الله ان يوفق فى حل هذا اللغز المحير الذى لا يكفى فى حله ـ من الوجهة الموضوعية ـ ما ذكره الكثيرون من ان غريب القرآن والحديث ليس داخلا فى إطار الغرابة المخلة بالفصاحة لانه من الغريب الحسن (٣) ، اذ لم يبين هؤلاء الفرق بين الغريب فى اللغة بوجه عام وغريب القرآن والحديث بوجه خاص .

لقد قر فى ذهنى انه لاجلاء لهذه المسالة الا ببحث امـــرين يرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا يتمثل اولهما فى دراسة مصـــطلح الغرابة خاصة عند اللغويين والبلاغيين وعلماء الحديث واهل المعانى (من المفسرين) حتى نستطيع على ضوء ذلك ان نحدد العلاقة بين الفصاحة والغرابة لا سيما ما يتعلق من ذلك بفصاحته ﷺ وسلم والغرابة فى حديثه الشريف ، ويتلخص ثانيهما فى دراسة لغوية تحليلية لمادة « الغريب » التى رواها جلة من العلماء امتدت جهودهم فى جمع هذه المادة وتصنيفها ما ينيف على سبعة قرون من الزمان (٤) ، بيد انه لما كانت دراسة من هذا النوع ـ وهى الاولى فيما اعتقد ـ اكبر من جهد فرد واحد وتستغرق من الزمن اكثر بكثير مما قدر لهذا البحث رأيت ان اكتفى بدراسة المادة المروية فى اقدم كتاب وصل الينا فى غريب الحديث وهو كتاب ابى عبيد القاسم بن سلام الهروى متاسيا فى ذلك

---

(٢) من صور هذا التناقض ايضا ما صرح به الامام الخطابى من ان من مظاهر فصاحته ﷺ اشتمال حديثه على الغريب الوحشى الذى يعيا به قومه واصحابه (غريب الخطابى ٦٦/١) ، وما صرح به الجاحظ من انه ﷺ قد هجر الغريب الوحشى (البيان والتبيين ١٧/٢) .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١٠٨٦/٥ وقد نقل القول بتقسيم الغريب الى مخل بالفصاحة وغير مخل بها عن اهل المعانى .

(٤) بدأ التاليف فى غريب الحديث منذ زمان ابى عبيدة معمر بن المثنى فى اواخر القرن الثانى ، بيد ان البداية الحقيقية كانت على يد ابى عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) وقد استمر ذلك النـــوع من التاليف حتى عصر السيوطى (م ٩١١ هـ) .

بقول الامام الهروى صاحب الغريبين اذ ذكر بعد ان تحدث عن كثرة المؤلفات فى هذا الفن « ان المرء متى اشتغل بتحصيلها كلها بعدت عليه الشقة وعظمت الكلفة وفات الوقت واستولى الضجر فقبض عن النظر فيما هو اولى بالنظر » (٥) .

ان الهدف الاساسى من هذه الدراسة التحليلية هو الوقوف على مظاهر الغرابة فى الحديث الشريف ثم محاولة تفسيرها ببيان العوامل التى ادت اليها اعتمادا على واقع النصوص التى اوردها ابو عبيد فى غريب الحديث ، وقد انقسمت الدراسة تبعا لذلك الى ثلاثة فصول وخاتمة ، تناولنا فى الفصل الاول مفهوم الغرابة وفى الثانى مظاهرها (كما تبدو فى غريب الحديث لأبى عبيد) ، وقد اقتضى هذا ان نقدم لمحة موجزة عن مكانة ابى عبيد وكتابه ، وفى الفصل الثالث تناولنا العوامل التى ادت الى الغرابة ثم ختمنا الدراسة بالحديث عن فصاحته ﷺ وعلاقتها بالغرابة .

ان اقتصارنا فى هذه الدراسة على ماروواه ابو عبيد من احاديث الرسول ﷺ لا يعنى بحال عدم الاستفادة من الاحاديث الاخرى للصحابة التى اوردها ابو عبيد ، او الاحاديث النبوية التى تضمنتها كتب الغريب التى صنفها العلماء بعده ، وخاصة اذا كانت تلك الاحاديث مما لم يورده ابو عبيد او اذا اقتضت ظروف المقارنة ذلك .

اننا نامل بهذه المحاولة ان نكون قد فتحنا بابا جديدا من الدرس اللغوى المتعلق بلغة النثر فى عصر النبوة المبارك ، تلك اللغة التى كانت قد وصلت الى اوج النضج والاكتمال قبيل عهد النبوة ثم شرفها الله بان انزل بها كتابه الكريم . انه اذا كانت هذه الدراسة تتعلق فى المقام الاول بدلالة الالفاظ او التراكيب فى فترة هى اخصب فترات العربية على الاطلاق فاننا نامل ان تتبعها محاولات تجلو الجوانب

---

(٥) الغريبين للهروى ص ٥

الأخرى فى لغة الحديث النبوى الشريف ، صوتية كانت ام صرفية ام نحوية ، وما ذلك على الله بعزيز انه سبحانه على ما يشاء قدير .

نسال الله سبحانه ان يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه وان ينفع به ، انه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

عبد الفتاح البركاوى

مكة المكرمة

جمادى الأولى سنة ١٤٠٧ هـ

يناير سنة ١٩٨٧ م

الفصل الأول

مفهوم الغرابة

الغرابة فى اللغة :

يرجع لفظ « الغرابة » وكذلك « الغريب » الى مادة « غ ر ب » وليس لهذه المادة معنى واحد يمكن ان ترجع اليه سائر المعانى ، ذلك انها من المواد المشتركة التى لا يتحدد معنى مشتقاتها الا من خلال السياق الذى تذكر فيه ، ولذا لم يحدد ابن فارس فى مقاييسه معنى او معانى تدور المادة حوله او حولها وقد ذكر ان « الغين والراء والباء » اصل صحيح ، وكلمة غير منقاسة لكنها متجانسة فلذلك كتبناه على جهته من غير طلب لقياسه » (٦) ويتضح ذلك اكثر من تأمل المعانى التى ذكرها الفيروزبادى للفظة « غرب » وحدها اذ ذكر لها ما يربو على عشرين معنى (٧) ، وعندما اراد الخليل ان يبين ان تكرار اللفظ فى القوافى ليس بضائر وانه ليس بايطاء ، نظم ابياتا جعل قافيتها لفظ « الغروب » (٨).

نقد اتضح من دراسة المعانى المختلفة للمادة ان اقربها الى ما نحن بصدده هو معنى البعد والاختفاء وقد اوردت المعاجم العربية العديد من المشتقات التى تدور حول هذا المعنى من ذلك على سبيل المثال : (٩) .

---

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٢٠/٤ .

(٧) القاموس المحيط ١٠٩/١ ، وقد ذكر للغرب (بفتح الغين والراء) ما يزيد على عشرة معان .

(٨) انظر هذه الأبيات ومعانى الغروب فى « مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ص ٦٠ .

(٩) اقتبسنا هذه المعانى مما ذكرته فى مادة « غرب » معاجم : الجمهرة ٢٦٨/١ ، المقاييس ٤٢١/٤ الصحاح ١٩٣/١ ، اللسان ٦٤٠/١ ، وقد وردت العبارة « هل من مغربة خبر » فى حديث عمر رضى الله عنه وقد تناولها ابو عبيد فى غريب حديثه ٢٧٩/٣ ورأى انها مأخوذة من الغرب بمعنى البعد .

الغربة : البعد عن الوطن . يقال غربت الدار (اى بعدت) . وغرب فلان عنا اى تنحى ، والغربة النوى البعيدة ، وغاية مغربة اى بعيدة الشأو وغربت الكلاب : امعنت فى طلب الصيد ، قال ابن فارس : ومن هذا الباب غروب الشمس كانه بعدها عن وجه الأرض، ويقولون : هل من مغربة خبر يرويدون خبرا اتى من بعد . قال ابن دريد واحسب ان اشتقاق الغريب من هذا والمصدر الغربة ، يقول الجوهرى : تقول من الغربة تغرب واغترب بمعنى فهو غريب وغرب .. والجمع الغرباء ، والغرباء ايضا الأباعد ، واغترب فلان اذا تزوج الى غير اقاربه ، والتغريب : النفى عن البلد ، واغرب الرجل جاء بشىء غريب ... ، وقد ذكر صاحب اللسان هذه المعانى واضاف اليها قدح غريب اى ليس من الشجر التى تؤثر القداح منها ، ورجل غريب ليس من القوم ، **والغريب الغامض من الكلام** ، وكلمة غريبة وقد غربت ، وهو من ذلك . لقد ورد هذا المعنى الاخير للغرابة فى اقدم المصادر المتاحة لنا وهو كتاب العين المنسوب للخليل بن احمد (ت ١٧٠ هـ) ، ويشير اتفاق العبارة فى العين واللسان الى ان ابن منظور قد نقل هذا المعنى عن الخليل او عن احد المصادر التى اخذت عنه ، بيد ان **هذين العالمين لم يذكرا شاهدا** للمعنى يؤكد وروده فى كلام قديم (١٠) ، وليس من المستبعد ان يكون الخليل قد سجل هذا المعنى لانه كان شائعا فى عصره بين العلماء الذين اهتموا بهذا النوع من الكلمات فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وربما رجعت البدايات الأولى لهذا

---

(١٠) العين للخليل بن احمد ٤١١/٤ وقد ورد هذا المعنى ايضا فى التكملة للصغانى ٢٢٦/١ واساس البلاغة للزمخشرى ، وعبارة الصغانى « والغريب من الكلام انما هو العقمى الغامض ، واغرب الرجل فى منطقه : اذا لم يبق شيئا الا تكلم به » .

اما عبارة الزمخشرى فهى « تكلم فاغرب : اذا جاء بغرائب الكلام ونوادره ، وتلزل فلان يغرب فى كلامه ويغرب فيه (يلاحظ انه قابل بين الاعراب وهو الوضوح والافصاح والاغراب وهو الخفاء والغموض) ، وفى كلامه غرابة ، وغرب كلامه ، وقد غربت هذه الكلمة فهى غريبة ومنه مصنف الغريب (اى الغريب المصنف لابى عبيد) ، وقول الاعرابى : ليس هذا بغريب ولكنكم فى الأدب غرباء (الاساس ص ٤٤٧) .

الاستخدام الى عصر النبى ﷺ بدليل ما اخرجه البيهقى من حديث ابى هريرة مرفوعا : « اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » (١١) .

لقد اشار صاحب اللسان الى ان لفظ الغرابة عندما يقترن بالكلام انما هو ماخوذ من قولهم « رجل غريب » على سبيل تشبيه هذا بذاك وقد صرح الامام الخطابى بذلك عندما تحدث عن اشتقاق لفظ « الغريب » فقال : الغريب من الكلام انما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس انما هو البعيد من الوطن المنقطع عن الاهل » وبعد ان ذكر مشتقات مادة « غرب » فى معنى البعد والخفاء قال : وكل هذا ماخوذ بعضه من بعض ، وانما يختلف فى المصادر فيقال غرب الرجل يغرب غربا اذا تنحى وذهب ، وغرب عن اهله اذا انقطع عنهم ، وغربت الكلمة غرابة ، وغربت الشمس غروبا » (١٢) على ان لفظ « الغريب » فى معنى البعيد عن الاهل هو ايضا ليس اصيلا فى بابه حيث ذكر ابن دريد انه ماخوذ من قولهم « هل من مغربة خبر » كما ذكرنا قبلا ، ونخلص من ذلك الى ان الغريب من الكلام هو المرحلة الثانية من مراحل تطور معنى « الغرابة » التى كانت تدل على البعد مطلقا ثم استعملت فى البعد عن الاهل واخيرا فى البعد عن الفهم .

الغريب فى اصطلاح اللغويين :

نعنى باللغويين اولئك العلماء الذين يهتمون اساسا بالثروة اللغوية ، اى بما تحويه اللغة من مفردات بغرض المحافظة عليها وشرحها وايداعها مؤلفات خاصة سواء اكانت معاجم عامة تضم كل المفردات التى يصل اليها علم المؤلف او تصح لديه وذلك على نحو ما فعل الخليل فى العين والازهرى فى التهذيب والجوهرى فى الصحاح ام كانت كتبا او رسائل تتناول موضوعا معينا مثل خلق الانسان للاصمعى ، او ظاهرة خاصة ككتاب الاضداد او الابدال لابى الطيب اللغوى او كانت تشمل اكثر من موضوع مما يعرف بمعاجم المعانى كما فى الغريب المصنف لابى عبيد والمخصص لابن سيدة .

---

(١١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٤٩/١ .
(١٢) غريب الخطابى ٧٠/١ .

لقد ورد لفظ الغريب بمعناه الاصطلاحى عند اللغويين للمرة الاولى عند الخليل بن احمد عندما قابل به الالفـــاظ الواضحة فى آخر تقديمه لكتاب العين اذ ذكر « وبدانا فى مؤلفنا هـذا بالعين ونضم اليـه ما بعده حتى نستوعب كلام العـرب الواضـح منـه والغريب » مما يعنى ان الغريب يقصـــد به الكلمـــات غـــير الواضحة (١٣) .

لقد ورد لفظ الغريب بعد ذلك فى كثير من المصـــادر التى تحدثنا عن جهود العلمـــاء الذين اهتموا بالثروة اللغوية منذ القرن الثانى الهجرى باعتباره علما مستقلا او فرعا من فروع العلم يقف بازاء الشعر والنحو والاخبار ، فهل كان المقصود بذلك هو معرفة تلك الالفاظ الغريبة بمعنى الكلمات غير واضحة المعنى كما ذكـــر الخليل وكما حدثتنا المعاجم او كان المقصود بذلك شـــيئا قريبـــا من هذا المعنى او اعم منه ؟

انه لا يمكن تحديد المراد من مصطلح « الغريب » تماما الا بالقراءة المتانية لتلك المصادر وسنكتفى هنا بكتاب مراتب النحويين لابى الطيب اللغوى (٣٥١ هـ) ومقدمة تهذيب الازهرى (٣٧٠هـ) حيث اعتمد من بعدهما عليهما اعتمادا كبيرا .

اما ابو الطيب اللغوى فقد استعمل هذا المصطلح فى المواضع الآتية من مراتبه :

١ ــ وصف يحيى بن يعمر العدوانى (١٢٩ هـ) بقوله : « وكان فصيحا عالما بالغريب » (ص ٣٠) ثم ذكر فى موضع آخر (ص ٥٠) ما يشير الى انه لم يكن فقط عالما بالغريب وانما كان يستعمله فى كلامه (١٤) .

---

(١٣) العين ٦٧/١ (بتحقيق درويش) .

(١٤) ذكر ابو الطيب فى هذا الموضع « انه كان اعلم الناس وافصحهم » وانه هو الذى قال للرجل الذى خاصمته امرأته فى صداقها : ا ان سألتك ثمن شكرها وشبرك انشات تطلها وتشهلها » انظر المراتب ص ٥٠ ، وقـــد ذكر =

٢ — وصف عيسى بن عمر الثقفى (١٤٩ هـ) بانه « كان افصح الناس وكان صاحب تقعير فى كلامه واستعمال الغريب فيه (ص ٤٣) .

٣ — جاء فى وصفه لشبيل بن عزرة (١٥) انه كان « راوية نسابا عالما بالغريب » (ص ٤٣) .

٤ — ورد فى حديث ابى الطيب عن الاصمعى (٢١٦ هـ) (٢١٦ هـ) قوله « حدثنا عبد الصمد بن المعذل قال : رايت الاصمعى بمكة وقد جاءه الاحمر الكوفى فالقى عليه مسائل من الغريب فجعل يجيبه ... ثم ساله الاصمعى عن بيت فلم يجب ، فساله عن ثان فلم يجب ، فساله عن ثالث فلجلج فقال الاصمعى متمثلا :

يلجلج مضعة فيها انيض ... اصلت فهى تحت الكشح داء
غصصت بنيئها وبشمت عنها ... وعندى لو طلبت لها شفاء

فقال له الاحمر : ما تعرض لك فى اللغة الا مجنون (ص ٩٠) .

٥ — جاء فى وصفه للنضر بن شميل (٢٠٢ هـ) انه « اخذ عن الخليل اللغة والنحو وهو ثقة ثبت صاحب غريب وشعر ونحو وحديث وفقه ومعرفة بأيام الناس (ص ١٠٨) .

= الجاحظ فى البيان والتبيين (٣٧٨/١) « انه لو خوطب الاصمعى بهذه العبارة لظننت انه سيجهل بعض ذلك » ويحيى هذا هو صاحب الرسالة المشهورة التى بعث بها يزيد بن المهلب الى الحجاج بن يوسف ، وقد حشدها بالفاظ من الغريب . انظر هذه الرسالة فى البيان والتبيين للجاحظ ٣٧٧/١ .

(١٥) لم تذكر كتب التراجم التى وقفنا عليها تاريخا لوفاة شبيل ولكنها ذكرت معاصرته ليونس وابى عمرو بن العلاء ، وكان ممن يهتمون بالاشتقاق وله مع يونس النحوى قصة مشهورة حول اشتقاق « رؤبة » ، انظر هذه القصة فى مراتب النحويين ص ٤٣ وطبقات الزبيدى ص ٥٢ .

٦ - ذكر ابو الطيب فى وصفه لقطرب (٢٠٦ هـ) انه كان حافظا للغة كثير النوادر والغريب (ص ١٠٩) .

٧ - سجل ابو الطيب حوارا بين محمد بن الحسن الازدى (٣٢١ هـ) وابى حاتم السجستانى ورد فيه قول محمد بن الحسن لابى حاتم : تقول غمد السيف واغمده قال : لا يقال الا بالالف . قلت : فيم سمى غامد ابو هذه القبيلة ؟ قال من قولهم : غمدت الركية اذا كثر ماؤها ، قلت : فان ابن الكلبى يقول فى كتاب النسب : انه اصلح بين قوم من عشيرته وتغمد ما كان بينهم اى ستره وغطاه وقال :

تغمدت شرا كان بين عشيرتى فاسمانى القيل الحضورى غامدا

فقال ابو حاتم (مذيكما) : ابن الكلبى اعلم . قال ابو الطيب اى انه لا يعرف (١٦) الغريب (ص ١١٣) .

٨ - وابو حاتم هذا الذى وصفه ابو الطيب بانه كان فى غاية الثقة والاتقان والنهوض باللغة والقرآن ، وقد ذكر فى رثاء الرياشى له :

من للغريب وللقرآن يسأله
اذا تعومى معناه ولم يصب (ص ١٣٠)

٩ - جاء فى حديث ابى الطيب عن كتاب الغريب المصنف لابى عبيد قوله :

---

(١٦) ذكر ابو الطيب بعد ايراده للحكاية ان ابا زيد وابا عبيدة وغيرهما من العلماء قالوا : غمدت السيف واغمدته لغتان فصيحتان اما ما حكاه ابو حاتم فهو قول الاصمعى وقد اجاز بعد ذلك ان يكون غامد مشتقا من الغمد بمعنى الستر والغطاء كما ذكر ابن الكلبى ، واما من قولهم غمدت الركية كما قال ابو حاتم انظر فى هذين الوجهين وغيرهما مراتب النحويين ص ١١٤ ، قلت : وقد جاء فى كتاب فعل وافعل للاصمعى اجازة اللغتين ايضا ، انظر كتاب فعل وافعل المنشور فى العدد الرابع من مجلة البحث العلمى ص ٤٩٣ .

« واخذ كتب الاصمعى فبوب ما فيها واضاف اليه شـــيئا من علم ابى زيد وروايات عن الكوفيين (ص ١٤٨) .

من جملة هذه النصوص نستطيع ان نخلص الى ما ياتى :

(أ) ان لفظ « الغريب » يطلق ويراد به ما يستعمله الفصحاء فى كلامهم من عناصر اللغة القديمة التى تحتاج الى التفسير وذلك كما فى المثـــال الاول حيث يفهم ذلك من ايراد ابى الطيب للعبـــارة « ان سالتك ثمن شكرها وشـبرك الخ » ، وقـد صرح ابو الطيب بذلك فى المثال الثانى .

(ب) يفهم من النصوص من الثالث الى السادس ان « الغريب » قد صار فرعا من فروع الدرس اللغوى يتفاضل به العلماء فقد استعمل بازاء الشعر والنحو والحديث فى المثال الخامس وبازاء النوادر فى السادس .

(جـ) فى المثـال الســـــابع ارتبط الغريب بمعرفـة معنى الاصـــل الاشتقاقى الذى ترجع اليه بعض الاسماء « غامد » .

(د) فى النص الثامن نلمح ما يشبه ان يكون تعريفا للغريب عند اللغويين وذلك فى بيت الرياشى :

من للغريب وللقرآن يسأله اذا تعومى معناه ولم يصب

اذ يفهم من البيت ان الغريب هو تلك الالفاظ التى قد يلتبس معناها وتحتاج الى مثل ابى حاتم ليكشف عن ذلك اللبس (١٧) .

(هـ) يؤخذ من وصف ابى الطيب لمحتوى كتاب الغريب المصنف انه يشتمل على الالفاظ الغريبة وغير الغريبة لان كتب الاصـمعى

---

(١٧) جاء فى الصحاح (٢٤٣٩/٦) ، وعمى عليه الامر اذا التبس ومنه قوله تعالى :

« فعميت عليهم الانباء يومئذ .. » ومن الواضح ان فى البيت لفا ونشرا مرتبين اذ يتعلق تعومى معناه بالغريب ويرتبط قوله لم يصب بالقرآن (الكريم) .

التى اعتمد عليها كذلك (١٨) ، وهنا يمكن القول بان اطلاق الغريب على هذا الكتاب انما هو من قبيل التغليب لأن الكتاب فعلا يتضمن غريب الألفاظ وواضحهـا (١٩) ، وربما كان لفظ الغريب هذا ليس من الغرابة التى تعنى البعد والخفاء وانما من قولهم « اغرب الرجـل فى منطقه اذا لم يبق شـيئا الا تكلم به (٢٠) أو من قولهم اغربت السـقاء اذا ملأته (٢١) ، ذلك ان ابا عبيد قد جمع فى كتابه من المادة اللغوية مالم يسبقه احد الى جمعه ، وقد جعـله بعض الباحثين لهذا رائدا من رواد صناعة المعجـم العربى بتاليف « الغريب المصنف » فقال : « ولما الف ابو عبيد غريبـه فتح للناس بابا فى التاليف اللغوى لم يكن مطروقا بجملته ، واتفق فى اتباعه القدماء والمحدثون المعاصرون على السواء » وقد ذكر من القدماء الهنائى الأزدى المعروف بكراع فى كتابه « المنجد » **وابا الحسـن** بن سـيدة فى المخصص ومن المعاصرين **مؤلفى** كتاب الافصـاح فى فقـه اللغة (٢٢) .

اما ابو منصور الأزهرى فقد اورد هذا المصطلح فى مقدمـة تهذيبـه ما ينيف على عشرين مرة نكتفى منها بالمواضع التالية :

---

(١٨) لقد ذكر ابو الطيب ايضا ان ابا عبيد قد اعتمد فى غريبه على كتاب عمله رجل من بنى هاشم ، جمعه لنفسه (انظر مراتب النحويين ص ١٤٨) ، وقد رد بعض الباحثين على ذلك بان هذه دعوى ليس لها ما يؤيدها وانها تحمل فى طياتها عوامل تفنيدها . انظر فى ذلك « ابو عبيد ثقافته وآثاره »العبد الله ربيع ص ١٠١ .

(١٩) بالرجـوع الى النسخة المخطوطة للغريب المصنف تبث بالفعـل ان ابا عبيد لم يقتصر على الألفاظ الغامضة فهو يذكر فى « باب تسمية خلق الانسان ونعوته مثلا : الأنف ، والبلعوم وغير ذلك مما لا يمكن اعتباره غريبا ، انظر ص ١ من الغريب المصنف (مخطوطة المكتبه الوطنية بتونس رقم ١٥٧٢٨) .

(٢٠) التكملة للصغانى .

(٢١) الصحاح ١٩٣/١ .

(٢٢) مقدمة الصحاح لأحمد عبد الغفور عطار ص ١٠٠ ومؤلفا الافصاح عبد الفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى .

- كان ابو عمرو بن العـــلاء أوسع علما بكلام العـرب وغريبها (ص ١٦) .

- كان الغالب على المفضل بن محمد الضبى الكوفى رواية الشعر وحفظ الغريب (ص ١٨) .

- اخذ الفراء عن الكسائى النحو والقراءات والغريب والمعانى (ص ١٩) .

- ومن هذه الطبقة (الثانية الكوفية) ابو محمـــد عبد الله بن ســعيد اخو يحيى بن ســعيد الأموى الذى يروى عنه ابو عبيـد وكان جالس اعرابا من بنى **الحـارث** بن كعب وسألهم عن النوادر والغريب (ص ١٩) .

- وكان الغالب على الاخفش النحـو ومقاييسـه ولم يكن حافظـا للغريب (ص ٢٠) .

- وكان الغالب على ابى مالك عمـــرو بن كركرة النـوادر والغريب (ص ٢٠) .

- كان الغالب على ابى عبيدة الشعر والغريب واخبار العرب ... وهو موثوق فيما يروى عن العرب من الغريب (ص ٢٢) .

- كان ابو عبيد القاســم بن سلام دينا فاضلا ... معنيا بعلم القرآن وسنن رســـول اللـه ﷺ والبحث عن تفســـير الغـريب والمعنى المشكل (ص ٣١) .

- اخذ ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه عن ثعلب النحو والغريب وعرف به (ص ٤٢) .

- قال عن البشتى انه « لا يوثق بصدقه ومعرفته ونقله الغريب الوحشى من نسخة الى نسخة » (ص ٥٠) .

- ثم ذكر عن نفسه انه لم يحرص على تطويل الكتاب بالحشـو

الذى لم يعرف اصـــله والغريب الذى لم يســـنده « الثقات الى العرب » (ص ٦٩) (٢٣) .

هذه النصوص وما اشبهها تؤكد ما سبق ان لاحظناه فى النصوص التى أوردها ابو الطيب وهو ان الغريب قد صار علما من علوم العربية فقد وضعه الأزهرى بازاء رواية الشعر عند المفضل الضبى وبازاء النحو والقراءات عند الكسائى وبازاء الشعر واخبار العرب عند ابى عبيدة وبازاء النحو عند ثعلب وتغطويه .

ويستفاد من هذه النصوص بالاضافة الى ما سبق امران :

اولهما : ارتباط الغريب بالرواية عن العرب فعبد الله بن سعيد الاموى جالس الاعراب من بنى الحارث بن كعب وسالهم عن الغريب، وابو عبيدة موثوق فيما يروى عن العرب من الغريب ، واخيرا فان الأزهرى لم يعتد بالغريب الذى لم يسنده الثقات الى العرب ، كل هذا يؤكد الملاحظة الهامة التى سبق اليها الخطابى عندما ذكر ان الغريب يقال به على وجهين : الأول بعيد المعنى غامضه ، الثانى ان يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحل من شواذ قبـــــائل العرب (٢٤) . اذ ان الذى يرويه العلماء عن العـــرب من الغريب لا يعدو ان يكون بعض الالفاظ التى لم تشع فى اللغة العربية المشتركة وانه يمثل خاصة لهجية لبعض القبائل .

ثانيهما : لم يقترن لفظ الغريب بالوحشى الا فى مجال الرفض له ، ولم يلاحظ ذلك الا فى موضع واحد عند الأزهرى بينما اغفله ابو الطيب تماما اى انه لم يتحدث الا عن الغريب فقط .

ونخلص مما استعمل فيه العالمان (ابو الطيب والأزهرى) لفظ « الغريب » انه من المصطلحات التى تعددت وجوه استخدامها وان كان الغالب على هذا الاستخدام هو معرفة معانى الالفاظ غير الشائعة

---

(٢٣) انظر مواضع اخرى مشابهة ورد فيها لفظ الغريب فى الصفحات : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٩ .

(٢٤) غريب الخطابى ١/٧١ .

الاستعمال فى عصور هؤلاء العلماء او البيئات التى عاشوا فيها ، على ان لفظ « الغريب » لم يكن وحده هو الذى يدل على ذلك المعنى وانما زاحمته فيه الفاظ اخرى مثل « اللغة » ، « العربية » ، الوحشى وغير ذلك مما نعرض له فيما يلى :

« الغريب » و « اللغة » :

لعل مما يؤيد ما نذهب اليه من ان مصطلح اللغة قد استعمل استعمال مصطلح « الغريب » ما ذكره الاحمر الكوفى للاصمعى « ما تعرض لك فى اللغة الا مجنون » فالمراد باللغة هنا الالفاظ الغريبة التى سأله عنها الاصمعى وعجز عن الاجابه عليها (٢٥) ، على ان الدليل القاطع بأن كلا من هذين اللفظين قد استعمل استعمال الآخر وورد كل منهما — بالاضافة الى لفظ « العربية » وصفا لتلك الالفاظ التى خوطب بها ابو الاسود الدؤلى عندما سأل الغلام عن معنى بظيت فى قوله « فرضيت وحظيت وبظيت » قائلا : وما بظيت يا بنى ؟

قال الغلام : « حرف من الغريب لم يبلغك .. » كذا روى الجاحظ (البيان والتبيين ٣٧٩/١) اما رواية الزبيدى فهى « حرف من اللغة لم يبلغك (طبقات النحويين واللغويين ص ٣٥) وقد ورد بدلا من ذلك « حرف من العربية لم يبلغك » عند ابى الطيب (مراتب النحوين ص ٩) وان دلت هذه الروايات المختلفة على شىء فانما تدل على ان مصطلحات « الغريب » و « اللغة » وكذلك « العربية » لها نفس المعنى وهو اللفظ الذى لم يعرف معناه مثل ابى الاسود .

ويبدو ان مصطلح اللغة قد استعمل فى القرن الرابع جنبا

(٢٥) انظر هذه القصة فى مراتب النحويين لأبى الطيب ص ٩٠ وقد ذكرنا هذه القصة فى النص رقم (٤) الذى اقتبسناه من ابى الطيب ، وقد ورد لفظ الغريب فى اول القصة « القى عليه مسائل من الغريب » وجاء لفظ « اللغة » فى آخرها « ما تعرض لك فى اللغة الا مجنون » .

الى جنب مع مصطلح « الغريب » للدلالة على نفس المعنى وهو الاحاطة بمعانى الالفاظ غير المتداولة وهاهو الزبيدى مؤلف طبقات النحويين واللغويين » يستعمل هـذا مرة وذاك مرة اخرى فمن امثلة استعماله مصطلح الغريب قوله عن يحيى بن يعمر « وكان فصيحا عالما بالغريب (ص ٢٩) ، وقوله عن النضر بن شميل « وكان صاحب حديث وغريب وشعر وفقه ومعرفة بايام الناس » (ص ٦١ ، (٢٦) ومن امثلة استعماله مصطلح « اللغة » فى هذا المعنى قوله عن ابى موسى الحامض « وكان بارعا فى اللغة والنحو » ص ١٥٢ ، وقوله عن خصيب الكلبى « كان يستفتى فى التامة من اللغة .. وكان له كتاب مصنف فى اللغة نحو مصنف ابى عبيد » (ص ٢٥٩) ، (٢٧) على ان لفظ اللغة كان يستعمل ايضا فى معان اخر منها على سبيل المثال ما ذكره ابو اسحاق الزجاج « اذا تاملت الامثلة من كتاب سيبويه تبينت انه اعلم الناس باللغة » (٢٨) .

مصطلحات اخرى مماثلة او مقاربة للغريب :

عقد السيوطى فى المزهر (٢٣٣/١) النوع الثالث عشر لمعرفة الحوشى والغرائب والشواذ والنوادر وذكر ان هذه الالفاظ متقاربة وكلها خلاف الفصيح وفى هذا الذى ذكره السيوطى نوع من التعميم المخل لان هذه الالفاظ وان كانت متقاربة فى اصل الاستعمال اللغوى الا انها ليست كذلك فى معانيها الاصطلاحية كما انها ليست جميعا مما يخل بالفصاحة كما يفهم من ظاهر قول السيوطى وسوف نتناول اهم هذه المصطلحات فيما يلى :

---

(٢٦) انظر امثلة اخرى لهذا الاستخدام ص ٣٥ ، ٤١ ، ٧٦ ، ٩٩ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٩٦ .

(٢٧) انظر امثلة اخرى لهذا الاستخدام ص ١٨٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ .

(٢٨) وردت هذه العبارة فى طبقات الزبيدى بعد حديثه عن المسائل النحوية التى ناظر فيها الكسائى واصحابه سيبويه مما يعنى ان الامثلة المشار اليها هى من امثلة النحو .

الحوشى او الوحشى (عند اللغويين) :

ورد هذا اللفظ للمرة الاولى منسوبا الى امير المؤمنين عمر بن الخطـــاب رضى الله عنـــه فى معرض حديثه عن شعر زهير بن ابى سلمى ، ونص الحديث كما اورده ابن قتيبة (٢٩) « قال (عمر) ذات ليلة فى مسيرة لابن عباس : انشـدنا لشاعر الشعراء ، قال : ومن هو يا امير المؤمنين ، قال : الذى لم يعاظل بين القول ، ولم يتبع حوشى الكلام ، قال : ومن هو ؟ قال : زهير ، فجعل ينشـــــده الى ان برق الصبح » وقد فسر ابن قتيبة معنى المعاظلة بقوله :

« لم يعاظل بين القول اى لم يكرره ويحمل بعضه على بعض» (٣٠) وبعد ان افاض فى بيان معنى الاصل الاشتقاقى للمعاظلة لم يزد فى تفسيره للحوشى على ان قال : « وحوشى الكلام ووحشيه واحد ، وكانه يعنى ان فى الكلام قلبـا مكانيا (حوش ـ وحش) ، ثم اشار ابن قتيبة الى احتمال ان تكون « الحوشية » منسوبة الى الحوش اذ قال : « ويقال الابل الحوشية منسوبة الى الحوش وهى فحول نعم الجن ضربت فى بعض الابل فنسبت (الابل) اليها ، قال رؤبة جرت رحانا من بلاد الحوشى » .

ونستخلص من جملة ما ذكره ابن قتيبة ان مصطلح الحوشى قد يكون له نفس معنى الوحشى اذ هو مقلوب منه والوحشى لفظ يطلق على النـــاس وعلى الكلام اذا كان منهمـــا نافـرا كالوحش ، اما المعنى الثـانى للحوشى فهو اطلاقـه وصفا للكلمات الغريبة التى ليســت

---

(٢٩) الرواية التى ذكرناها عن ابن قتيبة فى غريب الحديث ٣٤/٢ ، وقد ورد هذا الحديث فى المجموع المغيث ٥٢٤/١ ، والنهاية ٢٥٩/٣ والفائق ٣/٣ .

(٣٠) غريب الحديث لابن قتيبة ٣٥/٢ ، وقد خالف ابن قتيبة بعض العلماء فى هذا المفهوم اذ ذكر قدامة بن جعفر فى « نقد الشـــعر » ان المعاظلة « ان يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه وما هو غير لائق به » ، ثم ذكر انه لا يعرف ذلك الا فاحش الاستعارة مثل قول اوس بن حجر :

وذات هدم عار نواشـــرها تصمت بالمـــاء تولبا جدعـــا

فسمى الصبى تولبا وهو ولد الحمار .. (انظر ص ٧٧ من نقد الشعر). وانظر ، معنى المعاظلة ايضا مفاتيح العلوم الخوارزمى ص ٤٩ .

كسائر الكلمات كما ان الابل الحوشية ليست كسائر الابل ولكن ابن قتيبة لم يذكر شيئا عن العلاقة بين الغريب والحوشي على نحو ما فعل الجوهري عندما عرف الحوشي من الكلام بانه « وحشيه وغريبه » (٣١) وكانه يشير بذلك الى المعنيين اللذين اومأ اليهما ابن قتيبة بيد انه لم يفسر الوحشي او الغريب في موضعيهما من الصحاح .

ان لفظ الحوشي ـ الوحشي قد كثر استخدامهما عند النقاد وعلماء البلاغة بجانب مصطلح الغريب ، وقد اختلف هذا الاستخدام عندهم اختلافا كبيرا وسنتناول ذلك عندما نعرض لمفهوم الغريب عند هؤلاء العلماء .

الغريب والنادر :

ذكر السيوطي ان النوادر من الالفاظ التي تقرب في معناها من الغرائب وانها مثلها مما يخالف الفصيح(٣٢) ، ولكي نحدد مفهوم «النادر» فانه لابد منالرجوع الى ما ذكره اللغويون من ناحية والىدراسة المؤلفات التي تحمل عنوان « النوادر » من ناحية ثانية ، اما اللغويون فانهم قد ربطوا بينه وبين الغريب تارة وبينه وبين الشاذ تارة اخرى ، فذهب الجوهري الى ان النوادر مأخوذة من قولهم « ندر الشيء : سقط وشذ ومنه « النوادر » (٣٣) ، وربط الزمخشري بين النادر والغريب عندما قال : « وهذا كلام نادر : غريب خارج عن المعتاد (٣٤) ، والى مثل هذا ذهب ابن منظور عندما عرف النوادر بانها « ما شذ وخرج عن الجمهور (٣٥) ، والمتأمل لهذه التعريفات يلمح بوضوح العلاقة بين المعنى اللغوي لمادة (ن در) والمعنى الاصطلاحي للنوادر عندما يراد بها طائفة معينة من الكلمات ، يقول ابن فارس : « النون والدال والراء اصل صحيح يدل على سقوط او

---

(٣١) الصحاح ١٠٠٣/٣ .
(٣٢) المزهر ٢٣٣/١ .
(٣٣) الصحاح ٨٢٥/٢ .
(٣٤) اساس البلاغة ٦٢٥ .
(٣٥) لسان العرب ١٩٩/٥ .

اسقاط ، وندر الشيء : سقط ويقال ضربته على راسه فندرت عينه اى خرجت عن موضعها ..» (٣٦) ، وقد حدد السيوطى بعد ذكره تعريف النوادر نقلا عن صاحب الصحاح رتبة النادر فى الاستعمال بانها تلى القليل بمعنى انه اقل منه ورودا وقد اخذ ذلك من عبارة ابن هشام : « اعلم انهم يستعملون غالبا وكثيرا ونادرا وقليلا وسطردا ، فالمطرد لا يتخلف ، والغالب اكثر الأشياء ولكنه يتخلف والكثير دونه ، والقليل دون الكثير ، والنادر اقل من القليل ، فالعشرون بالنسبة الى ثلاث وعشرين غالبها والخمسة عشر بالنسبة اليها كثير لا غالب،والثلاثة قليل والواحد نادر فعلم بذلك مراتبهما يقال فيه ذلك » (٣٧) .

لقد اصبح العلم بهذه الالفاظ النادرة مما يحرص عليه العلماء ويتفاضلون بمعرفته فهذا هو ابو محمد الأموى يسال الاعراب عن النوادر والغريب ، وذاك ابو زيد تغلب عليه النوادر وقد جاء فى وصف الأزهرى لكتابه « النوادر » بانه جامع للغرائب الكثيرة والالفاظ النادرة » (٣٨) ، وقد وصف ابو الطيب فى مراتبه قطربا بمثل ما وصف الأزهرى ابا زيد (٣٩) مما يعنى ان النوادر تختلف ان قليلا وان كثيرا ــ عن الالفاظ الغريبة والا لما كانا فرعين يشار الى كل منهما على حدة .

اننا نستطيع ان نحدد العلاقة بين الغريب والنادر فى ضوء ما ذكره العلماء من ان الغريب انما كان كذلك بسبب قلة الاستعمال (٤٠) اذ يعنى هذا ان الغريب قد ورد به الاستعمال قليلا اما النادر فهو اقل منه فاذا كان النادر فى المثال الذى اورده السيوطى انفا يمثل واحدا الى ثلاثة وعشرين فان الغريب يمثل ثلاثة بالنسبة لها ومن ثم فان كل نادر يدخل فى اطار الغريب وليس العكس .

---

(٣٦) مقاييس اللغة ٤٠٨/٥ .

(٣٧) المزهر ٢٣٥/١ .

(٣٨) مقدمة تهذيب اللغة ص ١٩ ، ص ٢٠ .

(٣٩) مراتب النحويين ص ١٠٩ .

(٤٠) انظر على سبيل المثال تعريف ابن الصلاح للغريب بانه « الالفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلة استعمالها » علوم الحديث ص ٢٤٥ .

اما كتاب النوادر المنسوب لأبى زيد (٤١) فانه يحتوى على ابواب للنوادر واخر للشعر وثالثة للرجز مما يعنى ان اطلاق اسم النوادر عليه انما هو من قبيل التغليب وقد تبين من مراجعة المادة اللغوية التى تضمنها انه فى ابواب الرجز والشعر كان يذكر الابيات ثم يعقب عليها بشرح المفردات اللغوية التى يغمض معناها ولعل هذا هو ما يقصده الأزهرى بالغرائب الكثيرة (٤٢) ، اما النوادر او بالاحرى ما كان يذكره ابو زيد تحت هذا العنوان فانها تضمنت الوانا من الخواص اللهجية لبعض العرب لا تقتصر فقط على النواحى الدلالية المتعلقة بمعانى الالفاظ عند هذه القبائل وانما تشمل الى جانب ذلك بعض الخصائص الصرفية والنحوية وربما الصوتية ايضا ومن امثلة ذلك :

١ — الألفت فى كلام بنى تميم : الأعسر ، والألف العيى اللسان ، وقال رجل من بنى حنظلة : ما رايت من المراة الا موقفها : موقف مثل مجلس وهو يداها وعيناها وما لابد لها من ان تظهره (ص ١٧٠) .

٢ — وقال رجل من بكر بن وائل اخذت هذا منه يا فتى ومنهم ومنهم بكسر الاسم المضمر (الهاء) فى الادراج والوقف (ص ١٧١).

٣ — وقال القشيريون : جئت فلانا لدا غدوة فتحوا الدال (من لدن) وقال بعضهم لدى غدوة فاضاف وجزم الالف (ص ١٧١) .

٤ — وسمعت بعض بنى كلاب يقول غلام يفعة وبعضهم وفعة .

٥ — ويقال : لقيت فلانا الندرى وفى الندرى ولقيته ندرى ، ولقيته القينة وفى القينة وقينة ، ولقيته الندرة وفى الندرة ، كله

(٤١) طبع الكتاب للمرة الاولى بتصحيح سعيد الخورى الشرتونى فى بيروت ١٨٩٤ ، ويبدو ان النسخة التى اعتمد عليها الناشر انما هى تهذيب لنوادر ابى زيد اذ هى تحوى كثيرا من النصوص التى اضافها بعض العلماء فى وقت متاخر لانه من غير المعقول ان يقول ابو زيد : اخبرنا ابو العباس احمد ابن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابى لما نعرفه من أن وفاة ابى زيد كانت سنة ٢١٥ هـ وولادة ثعلب كانت فى حدود سنة ٢٠٠ هـ .

(٤٢) مقدمة تهذيب اللغة ص ٢١ .

واحد اذا لقيته بعد ايام (ص ١٣٥) ، وذكر ايضا انه يقال فقأت عينه فقأ وفضخت عينه فضخا وهما واحد (ص ١٣٥) .

ونخلص من ذلك الى ان النوادر كما اوردها ابو زيد لا تشمل فقط الالفاظ التى يندر استعمالها ومن ثم فهى تحتاج الى التفسير باعتبارها من ذلك النوع الذى تختص به قبيلة ما ولم يكتب لها الذيوع حتى يتداولها سائر العرب ، وانما يشمل ايضا تلك الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية التى تخالف المعهود فى مثلها كما فى المثالين الثانى والثالث ، اما المثال الرابع فانه يعالج ما يعرف عند اللغويين بظاهرة الابدال وهو ظاهرة صوتية تعنى وجود صورتين صوتيتين لكلمة واحدة وغالبا ما تختص احدى الصورتين بقبيلة والاخرى بقبيلة ثانية ، اما فى المثال الاخير فان ابا زيد يعالج فيه ما يمكن ان نعتبره من تبيل الترادف سواء فى دلالة التراكيب ام المفردات .

لقد كان ابن دريد من علماء اللغة الذين تناولوا موضوع النوادر من الناحيتين النظرية والتطبيقية فذكر فى الجمهرة (٢٨٥/٢) ان كل شيء زال عن مكانه فقد ندر .. وسمى نوادر الكلام (كذلك) لانه كلام ندر فظهر من بين الكلام ، اما من الناحية العملية او التطبيقية فانه قد عقد فى آخر الجمهرة ابوابا للنوادر يظهر من تحليلها ان المراد من النوادر ما يأتى :

١ - تلك الصيغ الصرفية التى وردت فيها عين الفعل مرة مكسورة واخرى مضمومة من نحو قولهم يعرشون ، يعكفون ، يحسدون (٤٤٩/٣) .

٢ - الالفاظ المختلفة للمعنى الواحد اذ نقل عن الاصمعى انه يقال للذئب : الجروة والثروة والقرون والقرين والقرينة والجرشى والكذوب والحوباء (٤٤٩/٣) ، وعن ابى مالك قوله : المتك والذوف والحنتاب والينظر والعنبل والعذاب كله (واحد وهو) ما تقطعه الخافضة من الجارية (٤٥٤/٣) وعن ابى عبيدة قوله : يقال : حلق رأسه وسخصه وسبته وجلطه وجلمطه وسلته وغرفه اذا حلقه (٤٥٩/٣) (٤٣) .

٣ ـ نقل ابن دريد عن الأصمعي قوله : الجون : الأسود والأبيض والأحمر (٤٨١/٣) .

٤ ـ تلك الألفاظ التي تحتاج الى تفسير اما لانها مختصة ببعض القبائل كما في الضحضاح اذ انه بلغة عذيل : الكثير وبلغة سائر العرب الماء المتضحضح اى المترقرق على وجه الأرض ..

واما لأنها من الألفاظ القديمة التي هجر استعمالها كما في اسماء الأيام والشهور التي كانت مستعملة في الجاهلية كقولهم للسبت : شيار ، والأحد : أول والاثنين : اهون واوهد واهود ، والثلاثاء : جبار (وقال بعضهم دبار) ، والأربعاء : دبار والخميس : مؤنس ، والجبعة : العروبة ، اما اسماء الشهور فان المؤتمر هو المحرم وصفر هو ناجر الخ (٤٨٢/٣) ، ومن هذا القبيل ما ذكره ابن دريد في صفة القوس والسهام والنعل (انظر الجمهرة ٤٥٦/٣ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩) .

ونخلص من جملة ما تقدم الى ان النوادر سواء اكانت من ندر الشيء بمعنى سقط كما ذكر الجوهري والسيوطي او من قولهم : ندرت عينه بمعنى خرجت عن موضعها (فأصبحت ظاهرة) لأن النادر كلام ندر فظهر من بين الكلام كما يقول ابن دريد تلتقي مع الغريب بل وتشكل جزءا منه اذا كانت هذه النوادر من النوع الأول الذي ذكره ابو زيد او الصنف الرابع الذي ذكره ابن دريد اما الأنواع الأخرى التي تشير اليها بقية الأمثلة التي اقتبسناها من العالمين فانها ليست من الغريب بمعناه الاصطلاحي في شيء ، يدل على ذلك ان صاحب الغريب المصنف عندما عقد بابا للنوادر فانه قد اقتصر على تلك الألفاظ التي

---

(٤٧) غالبا ما يهتم مؤلفو النوادر بهذا النوع من المترادفات فقد ذكر ابو مسحل مثلا ، انه يقال : امتقع لونه ، وانتقع ، والتقع ، واهتلع ، والتمع ، والتهم ، والتمع ، وانتسف ، وانتشف ، وابتسر ، واستفع ومعناه : تغير وحال عن حاله . انظر هذا المثال وغيره في نوادر ابي مسحل ٧٨/١ وما بعدها .

يغمض معناها(٤٤) ، ومن هنا فان التسوية بين المصطلحين لا تجوز الا على نحو التسامح ، وعلى هذا ايضا يمكن ان نفهم قول الزمخشري: هذا كلام نادر اى غريب خارج عن المعتاد (٤٥) ، اذ ان الخروج عن الاعتياد قد يكون فى المعنى كما يكون فى الصيغة او التركيب وقد خص الخوارزمى الفصل الثانى عشر من الباب الثالث فى كتابه « مفاتيح العلوم » لهذا النوع الاخير (وهو ما يندر من التراكيب) وذكر من ذلك « الاغراء » كقولك دونك زيدا وعليك عمرا الخ : (٤٦) .

الشواذ والشوارد :

جاء فى عنوان النوع الثانث عشر من المزهر « معرفة الحوشى والغرائب والشواذ والنوادر » ويبدو ان فى هذا العنوان تصحيفا من ناشرى المزهر وان المقصود بالشواذ هنا الشوارد لانه لم يذكر الشواذ فى هذا الباب وانما ذكرها فى النوع الثانى عشر وجعلها فى مقابل المطرد بخلاف الشوارد التى قابل بها الفصيح ، ومما يؤكد هذا ان السيوطى قد ذكر فى المقدمة فى ترجمة هذا النوع (الثالث عشر) مصطلح الشوارد لا الشواذ (٤٧) .

لقد ربط بعض العلماء بين الحوشية والشذوذ فقال قدامة ابن جعفر « من عيوب اللفظ فى الشعر ان يركب الشاعر منه ما ليس

---

(٤٤) نقل السيوطى فى المزهر (٢٣٦/١) كثيرا من الامثلة التى ذكرها ابو عبيد فى نوادر الاسماء ونوادر الافعال ، ومن دراسة هذه الامثلة يتضح انه لم يذكر سوى الاسماء او الافعال التى يغمض معناها ولم يذكر سوى مثال واحد تعلقت فيه الندرة بالصيغة الصرفية وذلك قوله : « القاصاة : الناصية فى لغة طيء».

(٤٥) اساس البلاغة ص ٦٢٥ .

(٤٦) مفاتيح العلوم ص ٣٥ ، وقد عقد أيضا بابا للنوادر فى الفقه ذكر فيه الالفاظ الفقهية التى ربما كانت غير شائعة الاستعمال من نحو : اليمين الغموس والنكول ، والتدبير ، انظر ص ١٦ ، ١٧ .

(٤٧) انظر مقدمة المزهر ٣/١ .

مستعملا الا فى الفرط ولا يتكلم بـه الا شـاذا وذلك هو الحوشى الذى مدح عمـر بن الخطـاب زهيرا بمجانبتـه له ٠٠ » (٤٨) ، كمـا ربط بعضهم بين النوادر والشـواذ فقـد جاء فى تعريف النوادر عند الزبيدى انهـا : ما شـذ وخرج عن الجمهور (٤٩) ، ويفهم من كلام ابن جنى ان الشـذوذ صفة تلحق الكلمة لا من اجل معناها وانما من قبل صياغتها اللفظية او حكمها الاعرابى ، يقول ابو الفتح فى الخصائص (٩٧/١) « جعل اهل علم العرب ما استمر فى الاعراب وغيره من مواطن الصناعة مطردا وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك الىغيره شاذا» ويتاكد هذا الفهم من خلال الامثلة التى اوردهـا بعد ذلك ومنها : مبقل ، عسى زيد قائما ، استصوب ، استنوق ، ثوب مصوون ، ومسك مدووف » وقد قسم ابن جنى هذه الشواذ الى شـاذ فى الاسـتعمال فقط وشاذ في القياس والاستعمال معا وشاذ في القياس فقط (٥٠) ، ولا يدخل فى اطار الغرابة الا النوعان الاولان اما الثالث وهو ما شذ فى القياس (واطرد فى الاستعمال) فلا علاقة له بذلك ، على ان الغرابة هنـا ليست صفة متعلقة بالمعنى المعجمى وانما بالمعنى الاشتقاقى للصيغة التى يرد عليها اللفظ ، او الاستعمال الذى يرد فيـه التركيب ، فان ادى ذلك الى خفـاء المعنى كنا بصدد غرابة حقيقية والا فان اللفظ او التركيب (فى مثل عسى الغوير ابؤسـا) يوصف بكونه شـاذا فقط - ونخلص بذلك الى ان الشـذوذ والغرابة امران مختلفان اذ يتعلق الشـذوذ اساسا باللفظ وتتعلق الغرابة بالمعنى ، اللهـم الا اذا ادى الشـذوذ فى الصيغة او التركيب الى خفاء المعنى فنكون حينئذ امام لفظ غريب فى معنـاه شـاذ فى لفظـه ، وعلى ذلك فاننا نستطيع ان نحدد المـراد من الشـاذ فى كلام قدامة السابق بانـه الذى يشـذ فى الاستعمال شـذوذا يؤدى الى خفاء معنـاه .

---

(٤٨) نقد الشعر ص ١٧٣ .

(٤٩) تاج العروس ٥٦٠/٣ .

(٥٠) مثال الشاذ فى الاستعمال فقط استعمال الماضى من نحو يذر ويدع ، وكذلك مكان مبقل ، ومثال الشـاذ فى القياس فقط استصوب واستحوذ ، اما الشاذ فى القياس والاستعمال جميعا فمثاله ثوب مصوون .

الشـــوارد :

عرف الزبيدى الشوارد بانهـــا « اللغـات الحوشية الغريبـــــة الشاذة » (٥١) ويعنى هذا ان الشوارد قد جمعت بين الغرابة فى المعنى والشذوذ فى اللفظ وانها تنتمى الى الخواص اللهجية للقبائل ، وقد ســـوى السيوطى بين الغرائب والشـــوارد ولم ير فرقا بينهما كمـــا لم ير فرقا بين الغريب والحوشى واوما الى الصلة القوية بين الشـــاذ والشـــارد ، يقول فى المزهر (٢٤٣/١) ، والغرائب جمع غريبة وهى بمعنى الحوشى والشـوارد جمع شاردة وهى ايضا بمعناها » ثم ذكر ان اصل التشريد التفريق ، فهو من اصل باب الشذوذ » وقد مثل للشوارد بما حكاه ابن الاعرابى من ان الاجبار جمع جار ، وما حكاه اللحيانى من ان مصدر اجاب عند بعضهم جيبى على وزن فعلى (٥٢) ، ويتضح من المثالين ان الشوارد مثل الشواذ يتعلق كلاهما بالصيغة اللفظية لا بالمعنى الذى تـدل عليـه .

لقد وصل الينا كتاب الشوارد فى اللغـة لابى الحسن الصـغانى (٦٥٠ هـ) وقد قسمـه المؤلف الى اربعـة اقســام :

الاول : فيما قرىء فى الشواذ من القراءات ومن امثلة ذلك اقن يؤقن ، وقرا ابو حية النميرى « وبالآخرة هم يؤقنون » (ص ١٣١) .

الثانى : فيما تفرد بـه يونس بن حبيب ، ومن امثلة ذلك متى لغـة فى متى فى الاستفهام والشرط دون الظرف ... (ص ١٧٥) .

الثالث : فيما تفرد به ابو حاتم سهل بن محمد السجستانى فى كتاب « تقـويم المفسـد والمزال عن جهته من كلام العرب » ومن امثلة ذلك :

---

(٥١) تاج العروس ٢١/١ .

(٥٢) المزهر ٢٣٨/١ ، وقد ذكر السيوطى ايضا ان « من عبارات العلماء المستعملة فى ذلك النادرة وهى بمعنى الشوارد (٢٣٤/١) .

رجل مال ومال اى ذو مال ، وامراة مالة ومالية ، ومن ذلك ايضا « جرف هار بالرفع لغـة فى قولهم جرف هار ·· (ص ٢٠١) ·

الرابع (الفـاظ) من سائر كتب اللغـة وشروح شوارد الاشعار ، ومن امثلة ذلك مجمع الشيء بكسر الميم الثانية لغـة فى فتحها ، وهذا على خلاف قياس الباب (ص ٢٠٩) ، وقال فى (ص ٢١٠) الذمرة الصـــوت ·

وقد ذكر الصغانى (ص ٣٥٦) : اجراشت الابل : سمنت واغتلات بطونها فهى مجراشـة ـ بفتح الهمزة ـ وانما ادخل هـذه اللفظة فى الشـــوارد انفتـاح همزة مجراشـة لا متنهـا ، قال ابن خالوية وجدت هـذه اللفظة بعد سبعين سنة ·· » ·

ان قراءة ما تحويـه هـذه الابواب الاربعة التى عقـد الصغانى كتـابه عليها تشير الى ان الشوارد قد تكون :

١ ـ وصفا للصيغة الصرفية ـ وهـذا هو الغالب عليها ـ وهى بهذا تلتقى مع الشـواذ فى القياس والاسـتعمال وليس من النادر ان تكون هذه الصيغ الشـاذة مما يطلق عليـه العلماء لفظ « لغـة » التى تعنى فى الغالب انهـا خاصة بقبيلة من القبائل او بيئـة من البيئات ·

٢ ـ وصفا للفظة ذاتهـا او كما يقول الصغانى من « اجل متنهـ » حيث يحتـاج هـذا المتن الى الشرح والتفسير ، مثال ذلك : الوظيف من الرجال : الذى يقوى على المشى فى الحزن ، الوقع : السـحاب المطامع(٥٣) وتلتقى الشوارد بهذا المعنى مع الغرائب ·

٣ ـ توصف الكلمة بانها شـاردة لان صيغتها الصرفية قـد حـل فيها صوت محل اخـر على طريق الابدال وذلك كما فى قراءة زيـد ابن ثابت وابى كعب « ان يأتيكم التـابوه » قال الصغانى « التبوت والتابوه : لغتـان فى التابوت وبالهاء لغـة الانصار (ص ١٤٢) ومن

---

(٥٣) الشوارد فى اللغة ص ٣٥٠ ·

امثلة ذلك ايضا ما حكاه عن الانبارى من قولهم « قام ذالك الرجـــل اى ذلك الرجل وقال اللام وخلت بدلا من الهمزة فى ذالك » (ص ٣٥٢) ومن الامثلة المهمة التى اوردها الصغانى فى هـذا النوع ما حكاه ايضا عن ابن الانبارى عن أبى حاتم قال : ســمعت من الأعراب من يقـول نسروال شروال بالشين معجمة ، كانـه سمعه بالفارسية وهو لا يعرفه فحكاه (ص ٢٢٩) .

الغريب فى اصطلاح النقـاد وعلماء البلاغة

قبل ان نتحدث عن مفهوم الغريب عند النقـاد وعلماء البلاغة فان علينـا ان نلقى نظرة سريعة على واقع الاستعمال اللغوى للعربيـة الفصحى خاصة فى تلك الفترة التى عاصرها الرعيـل الأول من هؤلاء النقاد لما لذلك من تاثير كبير على نظرتهم للمفردات اللغوية المستخدمة فى لغـة الأدب او لغة الحياة اليومية .

اللغـة العربية بعد الفتح الاسلامى :

بعد ان اتم اللـه نعمته على المسلمين بفتح فارس وبلاد الشام ومصر وغير ذلك من البلدان التى دخل اهلها فى دين الله افواجا ، كان لابد ان تبـدأ صفحة جديدة فى تاريخ اللغـة العربية نظرا لاقبال الملايين من المسلمين الجـدد من غير العرب على تعلم العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .

ولقد استطاع هـؤلاء بالفعل ان يتخذوا من العربية لسـانا لهم ، بيـد انهم لم يتمكنوا من النطق باللغـة او استخدام مفرداتها كما كان يفعل العرب الخلص « وبهذا عانت العربية على لسـان هؤلاء المسلمين من غير العرب تغييرات هددت بالمسخ صورة وقعهاوجرسها وطبيعـــة تكوينها وتركيبها فى الصميم » (٥٤) ، ولم تلبث هـذه التغييرات ان شـملت بعض العرب ، خاصة هؤلاء الذين كانت امهاتهم تنتمى الى عنصر غير عربى ، وقد تم ذلك كما يقول ابن خلدون نتيجة « ملابسة

---

(٥٤) العربية لبوهان فك ص ٢١ .

العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد الى موضوعات الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب فى غير موضعه عندهم ميلا الى هجنة المستعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية » (٥٥) .

لقد بدأت ردود الفعل ازاء هذا الفساد فى الملكة اللغوية تظهر منذ نهاية العصر الاموى متمثلة فيما يعرف بمبدأ تنقية اللغة الذى حمل لواءه رجال من امثال ابى عمرو بن العلاء والخليل والاصمعى وابى زيد وابى عبيدة وسواهم وقد حاول هؤلاء العلماء حماية اللغة من تيار العجمة الجارف فتنافسوا فى جمع الثروة اللغوية للعربية الخالصة من افواه العرب الاقحاح الذين كانوا لا يزالون حتى ذلك العهد محافظين على نقاء اللغة ، والى جانب هؤلاء العلماء وجدت طائفة اخرى حاولت الخروج من حيز النظرية (اى معرفة كلام البدو وتسجيله) الى اطار التطبيق فاستخدموا فى كلامهم تلك الالفاظ التى كان يستخدمها الموغلون فى البداوة وكانوا يعتقدون بذلك انهم يضربون مثلا عمليا فى الفصاحة ومن امثلة ذلك ما حكاه الجاحظ عن رسالة يزيد بن المهلب الى الحجاج ، تلك الرسالة التى كتبها يحيى بن يعمر العدوانى وقد جاء فيها :

« انا لقينا العدو فقتلنا طائفة واسرنا طائفة ، ولحقت طائفة بعراعر الاودية وهضام الغيطان ، وبتنا بعرعرة الجبل وبات العدو بحضضيه » (٥٦) .

وقد ادرك الحجاج ان يزيد بن المهلب ليس ممن يصدر عن مثله هذا الكلام فقال : ليس يزيد بأبى عذر هذا الكلام ، فقيل

---

(٥٥) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٨ وقد ذكر ابن خلدون ايضا ان « سبب فساد ملكة العربية ان الناشىء من الجيل صار يسمع فى العبارة عن المقاصد كيفيات اخرى غير الكيفيات التى كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة الخالطين للعرب من غيرهم ، ويسمع كيفيات العرب ايضا ، فاختلط عليه الامر واخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة كانت ناقصة عن الاولى (انظر المقدمة ص ٥٥٥) .

(٥٦) البيان والتبيين ٣٧٨/١ .

ـــه : ان معـــه يحيى بن يعمر ... وبعد ان فسر الجاحظ العراعـــر والاهضام والغيطان ، ذكر ما ينسب الى يحيى هـــذا من قوله : « ان ســـائلك ثمن شكرها وشبرك انشات تطلها وتضهلها » (٥٧) ، وبعـــد ان فسر الجاحظ الضهل والشكر والشبر و « تطلها » و « تضهلها » قال : فان كانوا قـــد رووا هذا الكلام لانه يـــدل على فصاحة فقد باعـــده الله من صفة الفصاحة والبلاغة وان كانوا انما دونوه فى الكتب وتذاكروه فى المجالس لانـــه غريب فابيات من شعر العجاج وشعر الطرماح واشعار هذيل تاتى لهم مع حسن الرصف على اكثر من ذلك ، ولو خاطب بقوله « ان ســـائلك ثمن شـــكرها وشبرك انشـــات تطلها وتضهلها الاصمعى لظننت انـــه سيجهل بعض ذلك ، وليس هـــذا من اخلاق الكتاب ولا من ادابهم » (٥٨) .

مفهوم الغرابـــة عند الجاحظ :

من جملة ما ذكره الجاحظ ـ فيما سبق ـ يمكننا القول بان الغرابة عنده تتعلق باستعمال الكلمات ذات المعنى الغامض التى يخفى بعضها على علمـــاء اللغـــة المبرزين من امثال الاصمعى ، ناهيك عمن دونهم ، وقـــد صور الجاحظ هذا الغموض باســـلوبه الساخر عندما عقب على كلام ابى علقمـــة النحوى « ما لكم تتكاكئون على كما تتكاكئون على ذى جنـــة ، افرنقعوا » بقول ابى الحسن « دعوه فان شيطانه يتكـــلم بالهنـــدية » (٥٩) ثم ذكر ان حديث ابى علقمة فيـــه غريب ... وانـــه « ليس فى كلام يحيى بن يعمر شىء من الدنيا الا انـــه غريب ، وهـــو ايضـــا من الغريب بغيض » وهذه العبارة الاخيرة يمكن فهمها على ان يحيى يعمر ليس من هؤلاء الاعراب الذين قد يكون من الطبيعى ان يصدر عنهم هذا الكلام ، ومما يرجح هـــذا الفهم ما ذكره الجاحظ فى موضع آخـــر « وكما لا ينبغى ان يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا ، فكذلك لا ينبغى ان يكون غريبا وحشيا ، الا ان يكون المتكلم بدويـــا

---

(٥٧) ذكرت هذه الحكاية عن يحيى ايضا فى مراتب النحويين لابى الطيب ص ٥٠ .

(٥٨) البيان والتبيين ٣٧٩/١ .

(٥٩) السابق ٣٨٠/١ .

اعرابيا ، فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس ، كما يفهم السوقى رطانة السوقى وكلام الناس فى طبقات كما ان الناس انفسهم فى طبقات » (٦٠) وعنده ولاشك نظرة وصفية لا تاريخية لانه ينظر الى واقع الاستعمال الحسى للغة فى العصر الذى قيلت فيه ٠

والملاحظ هنا ان الجاحظ يستعمل الغريب والوحشى لنفس المعنى، كما انه يربط الغرابة بالطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليهـا المتكلم (والسامع) ، اى انه ينظر الى الغرابة بمقياس نسبى يختلف باختلاف من يستعملها من الناس ٠

ويبدو ان حملة الجاحظ ومن نحا نحوه من نقاد الادب — على استعمال تلك الالفاظ القديمة ذات الطابع البدوى فى بيئة كانت قد ابتعدت عن البداوة منذ عهد بعيد لم تؤت ثمارها كاملة اذ وجدنا بعد الجاحظ بما لا يقل عن قرن ونصف من الزمان من يقول : « قد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد ويستفصحونه اذا وجدوا الفاظا كزة غليظة وجاسية غريبة ويستحقرون الكلام اذا راوه سلسا عذبا وسهلا حلوا ولم يعلموا ان السهل ممنع جانبا واعز مطلبا » (٦١) ٠

مفهوم الغرابة عند عبد القاهر :

لقد نظر جمهور النقاد والبلاغيين الى الغرابة باعتبارها صفة متعلقة بالمعنى ، بيد ان احدا قبل عبد القاهر لم يوضح لنا المعنى المقصود ، فهل هو المعنى المعجمى او المعنى المجازى او غير ذلك ؟

وقبل ان نتحدث عن راى عبد القاهر في المعنى الذى تتعلق به الغرابة فاننا نود الاشارة الى ان مصطلح « الاستعارة » الذى استعمله عبد القاهر وهـو يتحدث عن الغرابة قد يطلق ويراد منه ما يشـمل المجاز كمـا

---

(٦٠) السابق ١/١٤٤ ، وقد وردت هذه العبارات فى رسالة بشر بن المعتمر التى نقلها الجاحظ فى البيان والتبيين ٠

(٦١) الصناعتين لأبى هلال ص ٧٥ ٠

يقول العز بن عبد السلام (٦٢)٠«لقد كان عبد القاهر الجرجانى اماما فى هذه القضية - كما هو شانه فى كثير من القضايا التى تناولها فى دلائل الاعجـــاز - وقد كان مدخـله الى تنـاول قضيـة المعنى الذى تتعلق بـه الغـرابة هو الرد على اولئك الذين كانوا يذهبون الى ان الفصاحة صفة للفظ فى ذاتـه ، وقد اشـار الى ان الفصاحة التى تتفاضل بهـا الاسـاليب ليست هى الفصاحة التى يتحدث عنها اللغويون ويعنون بهـا عدم اللحن فى الاعراب وفى اساليب الصياغة الصرفية او غير ذلك مما يعتدون به » ، وقد ذكر « انه لا يجوز لنا ان نعتد فى شـاننا هذا بأن يكون المتكلم قد استعمل من اللغتين فى الشىء ما يقال انه « افصحهما » او بأن يكون قد تحفظ مما تخطىء فيه العامة ولا بأن يكون قد استعمل الغريب ، لأن العلم بجميع ذلك لا يعدو ان يكون علمـا باللغة ، وبانفس الكلم المفردة ، وبما طريقـه طريق الحفظ ، دون ما يستعان عليه بالنظر ويوصل اليه باعمال الفكر ، وان كانت العامة واشباه العامة لا يكادون يعرفون الفصاحة غير ذلك ، فان من ضعف الذخيرة اخطار مثله فى الفكر واجرامه فى الذكر ٠٠ » (٦٣) ٠

ان عبد القاهر هنـــا يرد على فريق يعتقد ان الاعجـاز القرآنى يرتبط باستخدام هـذه الألفاظ ذات الغرابة فى معناها المعجمى لأن الكثيرين يعجزون عن الاتيان بمثل ذلك ، ثم اوضح ان هذا ليس من الاعجاز فى شىء وان الغرابة فى القرآن ليست من هذا الصنف وانما ترجع الغرابة غالبا الى امر آخر هو المعنى الدلالى المستفاد من الاستعارة وغيرها من الوان المجاز ، وقد قرر هـذه الحقيقة بقوله :

« اترى ان العرب تحدوا ان يختاروا الفتح فى الميم من « الشمع » والهاء من « النهر » على الاسكان وان يتحفظوا من تخليط العامة فى مثل « هذا يسوى الفا » او الى ان ياتوا بالغريب الوحشى فى كلام

---

(٦٢) الاشـــارة الى الايجاز فى بعض انواع المجاز للعز بن عبد السـلام ص ٢٩ ٠

(٦٣) دلائل الاعجاز ٣٩٧ ٠

يعارضون بـه القرآن ؟ كيف وانت تقرأ السورة من السور الطوال فـلا تجد فيها من الغريب شيئا ، وتتامل ما جمعه العلمـاء فى غـريب القـرآن فترى الغريب منـه ـ الا فى القليل ـ **انما كان غريبا من اجل استعارة هى فيه** ، كمثل : « واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم » ، ومثل « خلصوا نجيـا » ، ومثل فاصدع بما تؤمر « دون ان تكون اللفظة غريبـة فى نفسـها » (٦٤) .

ان موقف عبد القاهر من الغرابة فى المعنى المعجمى لا يختلف عن موقف الجاحظ منها اذ قال بعد ان فند الزعم بأن لهذا الغريب دخلا فى الاعجـاز :

« وكيف بأن يدخل الغريب فى باب الفضيلة وقد ثبت عنهم انهم كانوا يرون الفضيلة فى ترك استعماله وتجنبه ؟ افلا ترى الى قول عمر رضى الله عنه فى زهير انه كان لا يعاظل بين القول ولا يتتبع حوشى الكلام ؟ فقرن تتبع الحوشى وهو الغريب من غير شبهة الى المعاظلة التى هى التعقيد » (٦٥) .

اذن فالغريب عند عبد القاهر نوعان :

الأول : الغريب من غير شبهة وهو الحوشى او الغريب الحوشى وهو ان يكون اللفظ غريبـا فى ذاتـه وهذا لا دخل له فى الاعجـاز ولا يصح ان يتحدى بـه .

الثانى : الغريب من اجل استعارة هى فيه وهو ما يمكن ان نطلق عليـه الغريب الاستعمالى ومكمن الغرابة فيـه هو المعنى المجـازى لا المعنى المعجمى ، ويرى عبد القاهر ان الغريب فى القرآن الكريـم يرجع ـ فى معظمـه ـ الى هـذا النوع الثانى وهو بهـذا يفتح بابا جـديدا فى فهم ظاهرة الغرابة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشـريف .

---

(٦٤) السابق ٣٩٦ وما بعدها ، انظر فى مصطلح الاستعارة عند عبد القاهر المجاز فى البلاغة العربية ص ٩٨ .

(٦٥) السابق ٣٩٨ .

الغريب والحوشى عند النقاد وعلماء البلاغة :

سبق ان ذكرنا ان اللغويين لم يفرقوا بين الغريب والحوشى او الوحشى وكثيرا ما كانوا يقرنون بينهما فيقولون « الغريب الوحشى »، اما النقاد والبلاغيون فلا نكاد نلمح عند معظم المتقدمين منهم فرقا بين الاصطلاحين فكلاهما يستعمل لنفس المعنى ومن هؤلاء : الجاحظ وعبد القاهر وابن سنان الخفاجى وابو هلال العسكرى وقدامة ابن جعفر وابن الاثير (٦٦) ، وقد يستعمل هؤلاء مصطلح الغريب فقط وقد يستخدمون مصطلح « الحوشى » فقط ، وربما جمعوا بينهما فقالوا « الغريب الوحشى » ويعنى الغريب عند هؤلاء تلك الالفاظ التى يخاطب بها من لا يفهم معناها ومن ثم تكون الغرابة صفة متعلقة بالمعنى لا باللفظ ، واذا كان بعض النقاد وهو قدامة بن جعفر قد جعلها عيبا من عيوب اللفظ فى الشعر فان المقصود بذلك انما هو اللفظ من حيث علاقته بمعناه لا من حيث جرسه واستهجانه فى السمع ، ويتضح ذلك من ربطه بين الغريب (او الحوشى) والاستعمال اذ يقول « من عيوب اللفظ فى الشعر : ان يركب الشاعر منه ما ليس مستعملا الا فى الفرط ولا يتكلم به الا شاذا وذلك هو الحوشى » وبعد ان ذكر ان هذا الباب مجوز للقدماء ذكر ما يفيد ان الوحشى والغريب لهما عنده نفس المعنى عندما قال « وللحاجة ايضا الى الاستشهاد باشعارهم فى الغريب ، ولان من كان ياتى منهم بالوحشى لم يكن ياتى به على جهة التطلب له » (٦٧) .

على ان من النقاد من كان يرى ان الوحشى انما هو اللفظ الذى ينبو عنه السمع ـ بالاضافة الى كونه غريبا فى معناه ـ وممن ذهب الى هذا ابن رشيق الذى يرى ان الوحشى من الكلام « ما نفر عنه السمع » ،

---

(٦٦) انظر امثلة لهذه الاستخدامات فى :
ـ البيان والتبيين للجاحظ ١٤٤/١ ، ٣٧٧ وما بعدها .
ـ دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى ، ص ٣٧٦ ـ ٣٧٩ .
ـ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٢٢٢ .
ـ كتاب الصناعتين لابى هلال العسكرى ، ص ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٦ ، ٧٥ .
ـ نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، ص ١٧٢ ، ١٧٤ .
ـ المثل السائر لابن الاثير ، ٢٤٤/١ وما بعدها .
(٦٧) نقد الشعر ، ص ١٧٢ .

وهو لهذا كثيرا ما يصفه بالوحشى الخشـــن ، وقد ذكر انه اذا كانت « اللفظة خشنة مستغربة لا يعلمها الا العالم المبرز والأعرابى القح ، فتلك وحشية » (٦٨) ، وقد ذهب الآمدى الى نحو من هذا حيث فسر الحوشى بانـه « الذى لا يتكرر فى كلام العـرب كثيرا فاذا ورد ورد مستهجنا » ، (٦٩) ، وفى هـذا اشارة الى ان الحوشى يراعى فيـه امران : اولهما قلة وروده فى الاستعمال ، والثانى كونـه فى حالـة وروده مستهجنا فى السمع .

اما المتاخرون من علمـاء البلاغة فقـد فرقوا بين الغـــريب والحوشى على نحو اوضح مما ذهب اليـه الآمدى وابن رشيق فقد ذكر التفتازانى « ان الوحشية هى المشتملة على تركيب ينفر الطبع منـه وهى فى مقابلة العـذبة » وعلى ذلك « فان الغريب يجوز ان يكون عـذبا فلا يحسن تفسيره بالوحشى بل الوحشية قيـد زائد على فصاحة اللفظ المفـرد » (٧٠) ، وقـد استخلص بعض الباحثين من ذلك ان الغريب عيبـه فى معنـاه والحوشى عيبـه فى لفظـه (٧١) ، وينبغى ان يضاف الى ذلك ان الحوشى عيبـه فى لفظه وفى معناه معـا .

وتنبغى الاشارة فى هذا المقام الى ان الحوشى ـ وليس الغريب ـ قـد استعمل عند طائفة من المتقدمين وصفا للشـعر او للقصيدة وليس وصـــفا للكلمة المفـردة ومن امثـلة ذلك ما ذكره ابن رشـيق فى العمدة (٩٢/١) « وقائل الشعر الحوشى بمنزلة المغنى الحاذق بالنغـــم غير المطـرب الصوت يعرض عنه الا من عرف فضل صنعته » ومنه مـا

---

(٦٨) العمدة ٢٦٥/٢ ، وقارن بالمزهر للسيوطى ٣٣٣/١ حيث تصحف عليه لفظ « خشنة » فذكر بدلا منها « حسنة » وشتان ما هما .

(٦٩) الموازنة ص ٢٦٩ ، وقد علق بعض الباحثين على عبارة الآمدى بان الاستهجان حكم ذوقى قد يقع ما يخالفه والا لما تكلف الشاعر قوله لو لم يجد له صدى عند طائفة من المتلقين ، انظر جرس الالفاظ ودلالتها لحامد هلال ص ١٩٨ ، وهذه الطائفة التى يشير اليها الباحث هى اصحاب اللغة والغريب كما أشار الى ذلك الآمدى عند ما قال : « ولهذا انكر الناس على رؤبة استعماله الغريب الوحشى وذلك لتاخره وقرب عهده حتى زهد كثير من الرواة فى رواية شعره الا اصحاب اللغة والغريب (الموازنة ص ٢٦٨) .

(٧٠) المطول على التلخيص ص ١٨ .

(٧١) انظر « ابو هلال العسكرى » لبدوى طبانة ص ١٣٦ .

ذكره عبد القاهر الجرجانى على لسان بشار بن برد فى تلك الحكاية المشهورة عن خلف الاحمر اذ قال له :

« بلغنا انك اكثرت فيها (أى القصيدة) من الغريب . قال : نعم ، بلغنى ان سلم بن قتيبة يتباهر بالغريب فاحببت ان اورد عليه ما لا يعرف ، فقال فانشد فيها يا ابا معاذ ، فانشد :

بكرا صاحبى قبل الهجير ان ذاك النجاح فى التبكير

فقال له خلف : لو قلت يا ابا معاذ

مكان « ان ذاك النجاح فى التبكير »
بكرا فالنجاح فى التبكير كان احسن

فقال بشار : انما بنيتها اعرابية وحشية فقلت : ان ذاك النجاح فى التبكير كما يقول الاعراب البدويون ، ولو قلت « بكرا فالنجاح » كان هذا من كلام المولدين ، « وهو » لا يشبه هذا الكلام ولا يدخل فى معنى القصيدة .. » (٧٢) .

وخلاصة القول ان جل النقاد وعلماء البلاغة المتقدمين لم يفرقوا بين الغريب والوحشى وانهم كثيرا ما كانوا يكتفون بمصطلح منهما وربما جمعوا بينهما وقد بدا مصطلح الحوشى او الوحشى عند الآمدى وابن رشيق يأخذان بعدا جديدا هو مراعاة ان تكون الكلمة المتسمة به مما ينفر عنه السمع بالاضافة الى كونها مستغربة لا يعرفها الا الاعرابى القح او العالم المبرز ، وقد ازداد هذا الفرق وضوحا عند متأخرى البلاغيين حيث جعل التفتازانى المألوف فى مقابل الغريب والعذب فى مقابل الوحشى ، وكما راينا فى قصة خلف مع بشار فان الوحشى ربما وصف به اسلوب القصيدة وبناؤها فى حين وصفت الألفاظ بانها غريبة ، على ان الغريب عند المتقدمين ممن لم يفرق بينه وبين الحوشى كان يشمل ايضا تلك الألفاظ التى ينبو عنها السمع (٧٣) وهذه

---

(٧٢) دلائل الاعجاز ٢٧٢ .

(٧٣) قارن بـ « أبو هلال العسكرى .. » نهدوى طبانة ص ١٢٦ .

يطلق عليها احيانا صفات اضافية كالمتوعرة او الخشنة او الكزة الغليظة او ما شابه ذلك .

مصطلح الغريب عند علماء المعانى

علماء المعانى او اهل المعانى مصطلح يطلق على طائفة من العلماء الذين يهتمون بدلالة بعض الالفاظ او التراكيب فى القرآن الكريم او الحديث النبوى الشريف او الاشعار ، وقد ذكر ابن الصلاح انه « حيث رايت فى كتب اهل التفسير قال اهل المعانى فالمراد به مصنفو الكتب فى معنى القرآن كالزجاج والفراء والاخفش وابن الانبارى (٧٤) ، وقد تناولت هذه الطائفة من العلماء « ما يشكل فى القرآن الكريم ويحتاج الى بعض العناء فى فهمه ، وكان هذا بازاء معانى الآثار ومعانى الشعر او ابيات المعانى » (٧٥) .

لقد حدد التهانوى مفهوم الغريب عند اهل المعانى عندما تحدث عن معانى هذا المصطلح فقال : ومنها (اى من معانى الغريب) ماهو مصطلح اهل المعانى ، قالوا : الغرابة كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مانوسة الاستعمال سواء كانت بالنظر الى الاعراب الخلص او بالنظر الينا وتلك الكلمة تسمى غريبا ، ويقابله المعتاد ويرادفه الوحشى » (٧٦) .

ان هنا اشارة واضحة الى ان الغريب قد يكون غير ظاهر المعنى

---

(٧٤) كذا نقل عنه السيوطى فى الاتقان ١٤٩/١ .

(٧٥) مقدمة معانى القرآن للفراء للاستاذين محمد على النجار ويوسف نجاتى ص ١١ ، وقد ذكر محقق كتاب المعانى الكبير فى ابيات المعانى لابن قتيبة (ص « ج ») : ان من تدبر ابيات المعانى بان له ان خفاء معانيها يكون غالبا لغرابة الاسلوب وبعد المأخذ وطرافة الاستعارة ، اما معانى الحديث فقد تناولها الطحاوى فى كتابه شرح معانى الآثار وقد تناول فيه احاديث « الاحكام التى يتوهم فيها اهل الالحاد والضعفة من اهل الاسلام ان بعضها ينقض بعضا » وهو بهذا يتناول المعنى العام للحديث فى ضوء الاحاديث الاخرى ، او الآيات الاخرى وهو بهذا اقرب الى تاويل مشكل الحديث لابن قتيبة ، انظر مقدمة المؤلف ص ١١ .

(٧٦) موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروفة بكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١٠٨٦/٥ .

عند الأعراب الخلص ولا يكون كذلك الا اذا كان اللفظ المستعمل ينتمى الى لهجة من اللهجات المغمورة غير الشائعة وفى هذا مراعاة للبعد المكانى او الجغرافى لظاهرة الغرابة ، أما الغريب الذى يكون غير ظاهر المعنى لدينا فالمراد به تلك الألفاظ التى كانت قديما مستعملة ومفهومة ولكنها وبفعل التطور اللغوى لم تعد مستعملة وفى هذا مراعاة للبعد الزمانى .

ان اهل المعانى وفقا لما يذكر التهانوى لم يفرقوا بين الغريب والحوشى / الوحشى ولكنهم فرقوا من ناحية ثانية بين نوعين من الغريب هما :

١ - الغريب الحسن ، وهو الذى لا يعاب استعماله على الاعراب الخلص لانه لم يكن غير ظاهر المعنى ولا غير مانوس الاستعمال عندهم .. ومن ذلك غريب القرآن والحديث وهذا غير مخل بالفصاحة .

٢ - الغريب القبيح ، وهو الذى يعاب استعماله مطلقا اى عند الخلص من الاعراب وغيرهم سواء كان كريها على السمع والذوق او لم يكن فمنه ما يسمى الوحشى الغليظ وهو ان يكون مع كونه غريب الاستعمال ثقيلا على السمع كريها على الذوق ويسمى المتوعر ايضا .. ، **ومنه ما يحتاج فى معرفته الى ان ينقر ويبحث عنه فى كتب اللغة** المبسوطة ... ، ومنه ما يحتاج الى ان يخرج له وجه بعيد مثل «مسرجا» فى قول العجاج : وفاحما ومرسنا مسرجا (٧٧) .

ان ما ذكره التهانوى هنا عن مفهوم الغريب عند اهل المعانى يكاد يتفق الى حد كبير مع مفهوم « الغريب » عند متاخرى البلاغيين ، وقد اشار هو نفسه الى ذلك عندما صرح بانه قد استخلص مادته من شروح التلخيص كالمطول والاطول والجلبى وغيرها .

ان الرجوع الى كتب المعانى يوقفنا على مجموعة اخرى من المصطلحات التى ترادف الغريب او تقاربه مثل المجاز والمشكل والمتشابه ، ولا يقتصر استعمال هذه المصطلحات بما فيها الغرابة على معنى اللفظ

---

(٧٧) السابق ١٠٨٧/٥ .

المفرد اى على المعنى المعجمى وانما يشمل الى جانب ذلك المعنى الدلالى او المجازى وكذلك المعنى النحوى المستفاد من العلامة الاعرابية ، ثم انها تهتم ايضا بالوجوه المحتملة فى معانى التراكيب او المعانى العامة (٧٨) ، وسنوضح فيما يلى المراد من هذه المصطلحات لنتبين العلاقة بينها وبين مصطلح « الغريب » عند علماء المعانى .

المشكل والمتشابه والمجاز :

لقد استعمل علماء المعانى الى جانب مصطلح « الغريب » مصطلحات المشكل والمتشابه والمجاز وربما حل بعضها محل بعض فى ترجمات مؤلفاتهم فالى جانب « معانى القرآن » للفراء نجد مجاز القرآن لابى عبيدة ، وتاويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، بل ان الكتاب الواحد قد يطلق عليه اكثر من مصطلح ، ومن ذلك ما ذكره الزبيدى من ان مروان ابن عبد الملك قال : سالت ابا حاتم عن غريب القرآن لابى عبيدة الذى يقال له « المجاز » (٧٩) .

لقد اوضح ابن قتيبة معنى المصطلحين المشكل والمتشابه بقوله « ان اصل المتشابه : ان يشبه اللفظ اللفظ فى الظاهر والمعنيان مختلفان، قال تعالى : « واوتوا به متشابها » اى متفق المناظر مختلف الطعوم ، ثم يقال لكل ما غمض ودق متشابه وان لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره ، الا ترى انه قد قيل للحروف المقطعة فى اوائل السور متشابه ، وليس الشك فيها والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها والتباسها به » ، اما المشكل فانه يعنى ايضا الغامض يقول ابن قتيبة « ومثل المتشابه المشكل

---

(٧٨) انظر على سبيل المثال الوجوه التى ذكرها النمرى فى تفسير قول الشاعر :

بيض مفارقنا تغلى مراجلنا نأسو بأموالنا اثار ايدينا

فى « معانى ابيات الحماسة لابى عبيد الله الحسن بن على النمرى ص ٢٥ » .

(٧٩) طبقات النحويين واللغويين ص ١١٦ ، وقد ذكر الزبيدى ايضا (ص ٧٣) قول ابى حاتم : « كان الاخفش قد اخذ كتاب ابى عبيدة فى القرآن (اى فى كتابه معانى القرآن) فاسقط منه شيئا وزاد شيئا وابدل شيئا ، قال ابو حاتم : فقلت له اى شىء هذا الذى تصنع ؟ من اعرف بالغريب ؟ انت او ابو عبيدة ، فقال ابو عبيدة » .

وسمى مشكلا لانه اشكل اى دخل فى شكل غيره فاشبهه وشاكله ، ثم يقال لما غمض ـ وان لم يكن غموضه من هذه الجهة مشكل » (٨٠) .

اننا نستطيع فى ضوء ما ذكره ابن قتيبة ومن واقع الأمثلة القرآنية التى تناولها القول بأن بين الغريب من ناحيـــة والمشكل والمتشابه من ناحية ثانية نســـبا قريبا وصلة وثيقة غير ان الغموض فى الغـريب يتأتى غالبـا من قبل معناه المعجمى ، اما الغموض فى المشكل والمتشابه فقـد يأتى من استعمال اللفظ فى معنى مجازى كما فى قوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » قال ابن قتيبة اى عن شدة من الأمر ... وأصل هـذا ان الرجل اذا وقع فى امر عظيم يحتـاج الى معاناته والجد فيـه شمر عن ســاقه فاستعيرت الساق فى موضع الشدة » (٨١) ، وقد يشكل الكلام ويغمض بالاختصار والاضمار ، او بسبب مخالفة ظاهر اللفظ معناه كان يكون ظاهر العبارة « الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع كما فى قـوله تعالى » قتل الانسان ، ما اكفره (٨٢) .

اما المجاز الوارد فىعنوان كتاب ابى عبيدة « مجاز القرآن » فقـد اوضحه ابو عبيدة عندما ذكر فى مقدمته القصيرة للكتاب « لم يحتج الســلف ولا الذين ادركوا وحيه سبحانه الى نبيـه ان يسألوا عن معانيه ، وعما فيه مما فى كلام العرب مثـله من الوجوه والتلخيص ، وفى القرآن مثل مافى الكلام العربى من وجوه الاعراب ومن الغريب والمعانى » (٨٣) فالمجاز هنا يشمل المعانى والوجوه (الدلالات المختلفة للفظ الواحد) والغريب ، وقد ســبق ان ذكرنا ان بعض العلماء كانوا يطلقـون على هـذا الكتاب « غريب القرآن » ومعانى القرآن ويدل هـذا بوضوح على ان تلك المصطلحات لم تكن قد استقرت بعد وان كـــلا

---

(٨٠) تاويل مشكل القرآن ص ١٠٢ .

(٨١) لاحظ بعض الباحثين هنا ان ابن قتيبة قد استعمل لفظ الاستعارة مرادا به الكناية فى اصطلاح المتاخرين ، كما لاحظ انه يطلق الاستعارة ويريد بها المجاز (انظر المجاز فى البلاغة العربية للسامرائى ص ٧٤) .

(٨٢) انظر أمثلة الاختصار والاضمار فى تاويل مشكل القرآن ص ٢١٨ ، وانظر أيضا فى نفس المرجع « باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه » ص ٢٧٥ .

(٨٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ص ٨ .

منها قد يستعمل استعمال الآخر ، وربما ادى هذا الى خطأ فى الاستنتاج مثال ذلك ما ذكره ابن النديم من ان لأبى عبيدة من الكتب : كتاب مجاز القرآن ، وكتاب غريب القرآن ، وكتاب معانى القرآن (٨٤) ، ولا تعدو هـذه كلها ان تكون اسماء مختلفة لمسمى واحد اذ ليس لأبى عبيـدة « غير كتاب المجاز وهذه الأسماء قد اخذت من الموضوعات التى تناولها ابو عبيدة فى كتاب المجاز فهو يتكلم فى معانى القرآن ويفسر غريبه وفى اثناء هذا يعرض لاعرابه ويشرح اوجه تعبيره وذلك ما عبر عنه بمجاز القرآن فكل سمى الكتاب بحسب اوضح الجوانب التى تناولها ولفتت نظره اكثر من غيرها » (٨٥) ٠

ان هذه التسـميات المختلفة ليست بالطبع من صنع ابى عبيدة وانما استنبطها غيره ممن تناول كتابه وقد اشار محقق المجاز الى ان ابا عبيدة كان يستعمل فى تفسيره للآيات « مجازه كذا ، تفسـيره كذا ، معناه كذا ، غريبه كذا ، تقديره كذا وتاويله كذا ، على ان معانيها واحدة او تكاد » (٨٦) ٠

وخلاصة القول ان « المجاز » قد يكون مرادفا للغريب كما هو الحال عند ابى عبيدة وقد يكون المجاز بمعناه الاصطلاحى عند المتاخرين (اسناد اللفظ الى غير ما هو له اذا كان عقليا او استعماله فى غير ما وضع له اذا كان لغويا) سببا فى غموض اللفظ واعتباره مشكلا كما رايتا عند ابن قتيبة ٠

لقد جعل ابن فارس المشكل فى مقابل الواضح وجعل الغريب نوعا منه وسببا من الاسباب التى تؤدى اليه فقال فى باب « مراتب الكلام فى وضوحه واشكاله » ٠٠ واما المشكل فالذى ياتيه الاشكال من غرابة لفظه او من ان تكون فيه اشارة الى خبر لم يذكره قائله على جهته ، او ان يكون الكلام فى شىء غير محدود ، او يكون وجيزا فى نفسـه غير مبسوط ، او تكون الفاظه مشتركة » (٨٧) ٠

---

(٨٤) الفهرست ص ٥٣ ٠

(٨٥) انظر مقدمة مجاز القرآن التى كتبها فؤاد سيسكين ص ١٨ ٠

(٨٦) السابق ص ١٨ ٠

(٨٧) انظر امثلة هذه الانواع فى الصاحبى فى فقه اللغة ص ٧٢ ــ ٧٥ ٠

والذى يدل عليه كلام ابن فارس هو ان المشكل اعم من الغريب وان الاشكال خلاف الوضوح ، ومن ثم فان المشكل هو الغامض وقد كان ابن قتيبة قد سبقه الى هذا عندما اعتبر الغريب صنفا من المشكل وقد علل فى « تاويل مشكل القرآن » بالرغبة فى عدم تطويل الكتاب (٨٨) .

الغريب لدى علمـاء اصول الحديث

لقد اهتم علماء اصول الحديث وهم « مؤلفو علوم الحـديث او مصطلح الحديث » من امثال الحاكم النيسابورى وابن الصلاح بالغريب من جهتين :

الأولى : باعتباره مصطلحا خاصا برواية الحديث او سنده .

الثانية : باعتباره وصفا لمتن الحديث او نصه .

لقد كان هؤلاء العلماء من الدقة بحيث جعلوا كلا من النوعين يتمايز عن الآخر فى صياغة المصطلح وكيفية استعماله فاضافوا الى النوع الأول لفظ « من » وعرفوه بالألف واللام وقالوا الغريب من الحديث ، وعرفوا لفظ الغريب فى النوع الثانى بالاضافة فقالوا « غريب الحديث » .

الغريب من الحديث :

لقد تناول الحاكم النيسابورى (٤٠٥ هـ) الغريب من الحديث ولم يذكر له تعريفا محددا واكتفى بذكر امثلة له منها « كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كذانة فقلت يا رسول الله كذانة قد عرضت فيه ، فقال عليه الصلاة والسلام : رشوا عليها ، ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم فاتاها وبطنه معصوب من الجوع الخ الحديث » قال الحاكم : فهذا حديث صحيح وقد تفرد به عبد الواحد بن اعين عن ابيه وهو من غرائب الصحيح (٨٩) .

---

(٨٨) انظر تاويل مشكل القرآن ص ٣٢ ، وتفسير غريب القرآن ص ٣ .

(٨٩) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٥٤ والمراد بغرائب الصحيح ، تلك الاحاديث التى يتفرد بروايتها واحد وتذكرها كتب الصحيح كالبخـارى ومسـلم وغيرهمـا .

ويفهم من تعقيب الحاكم على هذا الحديث انه يرى ان الغريب من الحديث ، هو ذلك الاثر النبوي الذى ينفرد بروايته راو واحد ، وقد حاول بعض الباحثين تعليل تسمية هذا الصنف « بالغريب » فقال : « وقد سمى هذا النوع بالغريب لتفرد راويه عن غيره به وذلك كالغريب الذى شانه الانفراد عن وطنه » ثم ذكر ان هذا النوع من الحديث من قبيل المشترك الذى قد يكون صحيحا وقد يكون حسنا وقد يكون ضعيفا (٩٠) .

لقد صرح ابن الصلاح (٦٤٣ هـ) بما اشار اليه الحاكم وعرف الغريب من الحديث بانه « الذى ينفرد به بعض الرواة او يتفرد فيه بعضهم بأمر لا يذكره غيره اما فى متنه واما فى اسناده » (٩١) ، ويقابل الغريب من الحديث عند ابن الصلاح العزيز من الحديث وهو ما يرويه عن الائمة من جماع الحديث رجلان او ثلاثة فاذا روى الجماعة عنهم سمى الحديث مشهورا وقد قسم الغريب من الحديث الى قسمين :

١ ـ صحيح وقد مثل له بالافراد المخرجة فى الصحيح .

٢ ـ غير صحيح وقد ذكر ان هذا هو الغالب على الغرائب ، وروى عن الامام احمد بن حنبل قوله غير مرة « لا تكتبوا هذه الاحاديث الغرايب فانها مناكير وعامتها عن الضعفاء (٩٢) . وقد ذكر السيوطى عن الامام مالك ما يؤيد هذا المعنى اذ قال « شر العلم الغريب وخير العلم الظاهر الذى قد رواه الناس . (٩٣) ، ولعل الحكم على

---

(٩٠) اصول الحديث لعجاج الخطيب ص ٢٦٠ .

(٩١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٤٣ .

(٩٢) ذكر ابن الصلاح تقسيمات اخرى للغريب من الحديث وتتبعه الحافظ العراقى بذكر تقسيمات اخرى ، ليس هنا محل تفصيلها فليراجعها من شاء فى علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٤٣ ، وفى التقييد والايضاح للحافظ العراقى ص ٢٧٣ ، وقد لخص التهانوى فى « كشاف اصطلاحات الفنون » تقسيمات علماء اصول الحديث لهذا النوع وذكر منها الغريب المطلق والغريب النسبى ، كما ذكر ان الغريب (من الحديث) منه ما هو غريب متنا واسنادا ومنه ما هو غريب اسنادا لا متنا الخ ، انظر موسوعة مصطلحات العلوم الاسلامية جـ ٥ ص ١٠٧٨ ـ ١٠٧٩ .

(٩٣) تدريب الراوى للسيوطى ١٨٢/٢ .

هذا النوع من الحديث بالضعف او الصحة يتوقف على توثيق الراوى او تضعيفه ومن هنا فانه يحتج بالغرائب التى ترويها كتب الصحاح او ينفرد بها الموثوق بهم (وتسمى بغرائب الشـــيوخ) ، وعلى ذلك فالغرابة لا تنافى الصحة دائما (٩٤) .

غـريب الحـديث :

لقد تناول هذا النوع من علوم الحديث علماء الاصول باعتبـاره من العلوم التى حافظت على الاسلام ولم يعرفه الحاكم النيسابورى واكتفى بالتاريخ له وبيان فضله ويبدو ان مدلوله كان واضحا فى عصره ومن ثم فقد اكتفى بذكر بعض الامثلة التى قال عنها : « وانا ذاكر فى هذا الموضوع من الحـديث مالم يذكره واحـد منهم (اى من مصنفى غريب الحديث) نيستدل به على شواهده وذكر من ذلك : الحذيا ، بغيش ، لقست نفسى الخ « وقد اطلق على هـــذا العلم اسم معرفة الالفاظ الغريبة فى المتون » (٩٥) .

ويؤخذ من الامثلة التى ذكرها ان الغريب هنا هو اللفظ الذى يحتاج الى تفسير لعدم وضوحه ، وقد عرفه ابن الصلاح بانه « عبارة عما وقع فى متون الاحاديث من الالفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقـلة استعمالها وقد ذكر ان هذا علم مهم يقبـح جهله باهـل الحديث خاصة ثم باهل العلم عامة ، والخوض فيه ليس بالهين ، والخائض فيه حقيق بالتحرى ، جدير بالتوقى ، وقد روى عن احمد بن حنبل انه سئل عن حرف منه فقال : سلوا اصحاب الغريب فانى اكره ان اتكلم فى قول رسول الله ﷺ بالظن فاخطىء » (٩٦) ، ويبدو ان علمـاء الغريب الذين يشير اليهم الامام احمد هم اولئك الاعلام الذين صنفوا

---

(٩٣) تدريب الراوى للسيوطى ١٨٢/٢ .

(٩٤) انظر فى الاحتجاج بالغرائب ، الحديث النبوى لمحمد الصباغ ص ٢٨٨ .

(٩٥) انظر النوع الثانى والعشرين فى كتاب الحاكم (معرفة علوم الحديث) ص ٨٨ وهذه الكلمات التى ذكرها توجد فى غريب الحديث للخطابى وقد كان معاصرا له ولكنه توفى قبله بقليل (٣٨٨ هـ) فاما انه لم يطلع على كتاب الخطابى واما لان المعاصرة حجاب كما يقولون .

(٩٦) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٤٥ .

فى الغريب ، سواء اكان ذلك فى اللغة بوجه عـــام ، أم فى الحديث الشريف خاصة ، وقد اطلق بعض الباحثين على هـــذا النوع الأخير اسم « غرائب الحديث » وذكر انه يعد من علوم اللغة ايضا (٩٧) .

ونخلص من ذلك الى ان مفهوم « الغريب » عند علماء أصول الحديث انما يتناول فقط معانى تلك الألفاظ المفردة الواردة فى متون الاحاديث اذا كانت غامضة بعيدة عن الفهم ، أما مفهوم الغريب عند مؤلفى غريب الحديث من امثال ابى عبيـــدة وابى عبيد وابن قتيبـــة وسواهم ، فاننا سنحاول الكشف عنه فى ضوء دراسة تحليلية لأقـــدم ما وصل الينا من كتب غريب الحديث ، الا وهو كتاب غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى وذلك فى الفصل التالى من هـــذا البحث .

---

(٩٧) مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ٢/٣٧٩ .

الفصل الثانى

مظـاهر الغرابة فى الحديث الشريف
فى ضـــوء
ما أورده أبو عبيـــد فى غريب الحـــديث

١ ـ أبو عبيد ومكانته العلمية

٢ ـ غريب الحـــديث لأبى عبيـــد

٣ ـ مظاهر الغرابة فى غريب الحديث

(أ) فى المعنى المعجمى

(ب) فى المعنى الاشتقاقى

(جـ) فى المعنى المجـــازى

(د) فى المعنى العـــام (وجه الحديث)

الفصل الثانى

مظاهر الغرابة فى الحديث الشريف
فى ضوء
ما أورده أبو عبيد فى غريب الحديث

أبو عبيد ومكانته العلمية :

أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى علم من اعلام المدرسة اللغوية الكوفية(١) ، ولد بهراة فنسب اليها(٢) ، ثم انتقل الى العراق

---

(١) يكاد يجمع من ترجموا لأبى عبيد على انه كان كوفيا ولم يخرج عن هذا الاجماع سوى بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى ١٥٥/٢ حيث سلكه ضمن اللغويين البصريين ولعل الذى أوقعه فى هذا الوهم اخذ أبى عبيد عن الأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة الذين هم أعلام البصرة فى ذلك الوقت وقد فاته ان الكوفيين يأخذون عادة عن البصرة والكوفة جميعا كما ذكر ابو الطيب فى مراتبه (١٤٣) ، " وكذلك اهل الكوفة كلهم يأخذون عن اهل البصرة " .

والذى يؤكد ماذهب اليه الجمهور ما أشار اليه أبو عبيد نفسه فى غريب الحديث (١٥٧/٣) من انتمائه الى مدرسة الكوفة عندما قال : " ... بلغنى عن يونس بن حبيب البصرى أنه قال : اعنان كل شىء نواحيه ، وأما الذى نحكيه نحن فاعناء الشىء نواحيه قاله ابو عمرو (الشيبانى) وغيره من علمائنا " . اذ من الواضح أن علماءه المشار اليهم هم رجال الكوفة الذين ينتمى اليهم أبو عمرو .

(٢) لقد وقع بعض الناس فى وهم نعاه عليهم ابو الطيب اللغوى منذ القرن الرابع الهجرى فظنوا أن ابا عبيد القاسم بن سلام هو نفسه القاسم بن سلام الجمحى صاحب الطبقات ، يقول ابو الطيب : **وليس أبو عبيد بجمحى** ولا عربى (انظر مراتب النحويين ص ١٨) . قلت وقد رأيت أنا أيضا نسخة من كتاب يسمى " قنعة الأريب فى تفسير الغريب لابن قدامة (٦٢٠ هـ) تكرر فيها لفظ الجمحى فى نسبة أبى عبيد فقد ذكر ابن قدامة المقدسى فى المقدمة " أما بعد فانى اختصرت من كتاب غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام الجمحى رحمه الله الكلمات الغريبة الخ .. " وهذا وهم لعل محقق الكتاب ينتبه له باذن الله .

تياخذ العلم عن البصريين والكوفيين ، ثم اشتغل بالتعليم فصـــار مؤدبا لابناء الهرائمة فى خراسان ، وولى القضاء فى طرسوس وانتقل بعد ذلك الى بغداد ، ثم القى عصا التسيار بمكة المكرمة حيث انتقـل الى جوار ربه سنة ٢٢٤ هـ ، بعد أن عمر ثلاثة وسبعين عاما ملأ الأرض خلالها علما فتنوعت معارفه وكثرت تصنيفاته ، ولم يكتب النـــاس اصح من كتبه ولا اكثر فائدة كما يقول الجاحظ(٣) .

ويقول عنه احمـد بن فارس « انه ثقـة امين فيمـا يحكيه عن العرب »(٤) ، وقد وصفه محفوظ بن احمد الكلوذانى (٥١٠ هـ) مؤلف كتاب التمهيد فى اصـول الفقه بانه « اوثق من نقل اللغـة عن اهلهـا وعرف مقاصـــد كلام العـرب وتبحر فيـه وذكر ذلك فى كتب اللغـة »(٥) .

وليس ادل على فضله وتقدير العلماء له مما ذكره هلال بن العلاء الرقى عندما قال:«لقد من الله على هذه الامة بأربعة : بالشافعى فقه حديث رسول الله ﷺ ، وبأبى عبيد فسر غرائب حديث رســـول الله صلى الله عليـه وســلم ، وبيحيى بن معين نفى الـكذب عن احاديث رسول الله ﷺ ، وباحمد بن حنبل ثبت فى المحنـة بأمـــر رسول الله صلى الله عليـه وســلم ، لولاهم لذهب الاســـلام »(٦) ، وقـد زاد ابو موسى المدينى على ذلك قوله : ولولا ذلك لاقتحم النـــاس فى الخطـأ »(٧) .

وقد جعله عبد الله بن طاهر رابع اربعة هم علماء الاســلام كل

---

(٣) وردت عبارة الجاحظ فى طبقـات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٩٩ .

(٤) الصاحبى فى فقه اللغة ص ٣٢٠ .

(٥) انظر كتاب التمهيد فى اصول الفقه لمحفوظ بن احمد بن الحسن ابى الخطاب الكلوذانى الحنبلى جـ ٢ ص ٢١٥ .

(٦) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابورى ص ٨٨ .

(٧) المجموع المغيث ٧/١ .

فى زمانه : عبد الله بن عبـــاس فى زمانه ، والشـــعبى فى زمانه ، والقسم بن معن فى زمانه ، والقاسم بن سلام فى زمانه(٨) .

ان هذا التقدير العظيم الذى ذكرنا طرفا منه وتلك المكانة العالية التى شغلها ابو عبيد لم يكونا الا عن مقدرة فذة واحاطة عجيبة بفروع شتى من العلم،بغ فيها جميعا والف فيها من التصنيفات ما جعله رائدا لمن اتى بعده ، وقد اربت هذه التصنيفات على الأربعين مؤلفا امتدت لتشـــمل القرآن الكريم والحديث النبـوى الشريف والفقـه والعقائد والتاريخ والأدب والأنساب بالاضافة الى علوم اللغة التى افتن فيهـا وصارت طريقته فى تناولها منهجا يحتذى ، ومن اشهر مؤلفاته كتاب الغريب المصنف ، وكتاب « غريب الحديث » وكتاب الاموال وكتاب الأمثـــال(٩) .

---

(٨) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٠١ ، وقد ذكر الخطيب هـــذه الرواية عن عبد الله بن طاهر فى تاريخ بغداد ٤١٢/١٢ .

(٩) لا يكاد يخلو مصدر فى التراجم أو الطبقات من ذكر ترجمة لأبى عبيد وذكر لمصنفاته وقد جمع الدكتور حسين شرف فى مقدمة تحقيقه لغريب الحديث واحدا وثلاثين مصدرا مطبوعا ترجمت كلها لأبى عبيد فاغنى ذلك عن اعادتها هنا ، وقد اقتبس من هذه المصادر ترجمة ضافية لأبى عبيد جاوزت المائة صفحة من القطع الكبير ، وكان قد سبقه الى كتابة ترجمة وافية له ايضا الدكتور عبد الله ربيع محمود فى بحثه عن « أبى عبيد ، ثقافته العلميـــة وآثاره » وقد رجع الى مصادر عديدة لم يذكرها الدكتور شرف منها : اشارة التعيين لأبى المحاســـن اليمنى (وقد طبع فى الســعودية مؤخرا ١٤٠٦ هـ) البلغة فى شذور اللغة (بيروت ١٩٠٨ م) ، الف باء للبلوى (عالم الكتب ـ بيروت) ، وغير ذلك . وممن ترجم لأبى عبيد ايضا من المعاصرين الدكتور عبد المجيد قطامش فى مقدمته لتحقيق كتاب الامثال لأبى عبيد (دمشـــق ١٩٨٠) ، والدكتور سالم محيش فى بحث له عن أبى عبيد وآثاره اللغوية لما يزل مخطوطا بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، وممن تناول حياة ابى عبيد وآثاره العلمية ايضـــا الباحثان الهنديان : امتيـــاز على عرش فى تقديمه لكتاب الاجناس المنسوب لأبى عبيد ومحمد عظيم الدين مصحح النشرة الأولى لكتاب غريب الحديث ، وقد بقى بعد هؤلاء جميعا ما من الله به علينا مما لم يذكروه عنه وقد عثرنا عليه فى كتاب التمهيد فى أصول الفقه لمحفوظ بن احمـد الحنبلى ، ومعرفة علوم الحديث للحاكم النيسابورى ، والصاحبى فى فقه اللغة لاحمد بن فارس ، والمجموع المغيث لأبى موسى المدينى .

كتاب غريب الحديث :

لقد كان ابو عبيد فى كتابه « غريب الحديث » رائدا فى ميدانه كما كان رائدا فى ميادين اخرى لعل اهمها تصنيف المعجم العربى على الموضوعات فى كتابه « الغريب المصنف » حتى لقد نسب اليه بعض الباحثين مدرسة فى التاليف المعجمى اطلق عليها « مدرسة ابى عبيد »(١٠) .

ان كتاب غريب الحديث بالاضافة الى انه اقدم كتاب يصل الينا فى موضوعه فانه اول كتب ثلاثة فى غريب الحديث والاثر تعتبر بحق - كما يقول ابن الاثير - امهات الكتب فى هذا الفن وهى الدائرة فى ايدى الناس والتى يعول عليها علماء الامصار(١١) ، والكتابان الاخران هما : كتاب غريب الحديث لابى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، وكتاب غريب الحديث لابى سليمان حمد بن محمد الخطابى البستى (٣٨٨ هـ) .

ولا تعنى ريادة ابى عبيد انه كان السابق الى تاسيس هذا العلم او انه كان اول من فكر او صنع كتابا فيه اذ سبقه الى ذلك علماء اجلاء كانوا يتناولون بعض الاحاديث فيما يشبه الكتيبات او الرسائل الصغيرة التى كانت على كثرة عددها اذا حصلت كالكتاب الواحد اذ كان مصنفوها لم يقصدوا بها مذهب التعاقب كصنيع القتيبى فى كتابه (اى انها لم تكن ليكمل بعضها بعضا كما صنع ابن قتيبة عندما اكمل ما فات ابا عبيد فى غريب حديثه) ، انما سبيلهم فيها ان يتوالوا على الحديث الواحد فيعثوروه فيما بينهم ، ثم يتبارون فى تفسيره ولم يكن من شرط المسبوق منهم ان يفرج للسابق عما احرزه ... ثم انه ليس لواحد من هذه الكتب ان يكون شىء منها على منهاج ابى عبيد فى بيان اللفظ وصحة المعنى وجودة الاستنباط وكثرة الفقه »(١٢) كما يقول الامام الخطابى .

---

(١٠) انظر فى نشاة هذه المدرسة على يد ابى عبيد وخصائص التاليف المعجمى لديها مقدمة الصحاح لعبد الغفور عطار ص ٩٩ وما بعدها .

(١١) النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ٨/١ .

(١٢) مقدمة غريب الخطابى ص ٥٠ .

لقد كانت هذه الكتب الصغيرة التى لم يصلنا منها شيء بمثابة ارهاصات ومقدمات لعلم وضعت اسسه وتوطدت اركانه بما صنعه ابو عبيد فى غريب حديثه ، « ولقد كان تعرف هذا (الغريب) واشباهه عسيرا فيما مضى على من طلبه لحاجته الى ان يسأل عنه اهل اللغة ، و (كان) من يكمل منهم لتفسير غريب الحديث ، وفتق معانيه ، واظهار غوامضه (قليلا) ، يقول ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) : فاما فى زماننا هذا فقد كفى فيه مئونة التفسير بما الفه ابو عبيد القاسم بن سلام تم بما الفناه فى هذا بحمد الله » (١٣) .

لقد ذكر الخطابى ان كتاب ابى عبيد هذا قد صار اماما لاهل الحديث به يتذاكرون واليه يحتكمون ، وان ابا عبيد كان اول من سبق اليه ، ودل من بعده عليه(١٤) ، والذى لاتشك فيه هو ان الخطابى يعنى بذلك اسبقية التاليف بالمعنى العلمى الصحيح ، لا انه هو الذى ابتدا الكتابة فى هذا الفرع من فروع العلم(١٥) ، وقد اكد ابن الاثير

---

(١٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١/٦٥٠ .

(١٤) غريب الخطابى ١/٤٧ ، ٤٨ .

(١٥) ذكر الحاكم النيسابورى (معرفة علوم الحديث ص ٨٨) ان البدايات الاولى لهذا العلم كانت على ايدى اتباع التابعين من امثال مالك والثورى وشعبة وان اول من صنف الغريب فى الاسلام هو النضر بن شميل ، وقد خولف الحاكم فى هذا كما يذكر ابن الصلاح (علوم الحديث ص ٢٤٦) فقيل ان اول من فعل هذا هو ابو عبيدة معمر بن المثنى وممن ذهب الى هذا ابن الاثير (فى النهاية ١/٥٠) ، وقد ذهب ابن النديم (فى الفهرست ص ٦٨) الى ان ابا عدنان السلمى كان اسبق الى التاليف فى هذا الفن ونخلص من هذا الى ان هناك ثلاثة آراء فيمن سبق الى التاليف :

١ — ابو عبيدة معمر بن المثنى وهو راى الجمهور وممن نص على ذلك ابن الصلاح وابن الاثير .

٢ — النضر بن شميل وهو راى الحاكم النيسابورى .

٣ — ابو عدنان السلمى وهو راى ابن النديم .

وقد رجح الدكتور حسين نصار (المعجم العربى ١/٥٠) ما ذهب اليه ابن النديم اعتمادا على ان ابا عبيدة كان تلميذا ليونس وان ابا عدنان كان راوية لأبى البيداء الرياحى الذى كان معاصرا ليونس اى ان يونس وابا البيداء كانا متعاصرين ومن ثم فان تلميذ يونس (ابا عبيدة) وراوية ابى البيداء (ابا عدنان) كانا ايضا متعاصرين « وهذا قلايد من قبول ما ذكره ابن النديم فى تقدم =

هذا الذى نذهب اليه عندمـــا قال : « واســـتمرت الحال الى زمن ابى عبيد القاسم بن سلام وذلك بعد المائتين فجمع كتابه المشـــهور فى غريب الحديث والآثار الكثيرة والمعانى اللطيفة والفوائد الجمـــة فصار هو القدوة فى هذا الشان فانه افنى فيه عمره وأطاب به ذكره حتى قال فيما يروى عنه « انى جمعت هذا الكتاب فى اربعين سنة وهو كان خلاصة عمرى ، ولقد صدق رحمه الله فانه احتاج الى تتبع احاديث رسول الله ﷺ على كثرتها وآثار الصحابة والتابعين على تفرقها وتعددها حتى جمع منها ما احتاج الى بيانه بطرق اسانيدها وحفظ رواتها ، وهذا فن عزيز شريف لا يوفق فيه الا السعداء »(١٦) .

انه اذا كان المثل العربى « لا تعدم الحسناء ذاما » صـــحيحا فان صنيع ابى عبيد فى غريب الحديث قد وجد الى جانب من اشاد به كل الاشادة من يقلل من شانه ومن ينتقده فى بعض المواضـــع ، اما التقليل من شـــانه فيتمثل فيمـــا ذكره ابو الطيب اللغوى من ان ابا عبيد قد اعتمد على كتاب ابى عبيدة فى غريب الحديث(١٧) .

=

احدهما على الآخر فى التاليف » قلت : ولما كانت هذه المقدمات غير مسلمة فان نتائجها كذلك اذ ورد ان ابا البيداء نفســـه (لا راويته) كان راوية للاصمعى قرين ابى عبيدة (انظر ترجمة ابى البيداء فى تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ٥٤/٤) . والذى نذهب اليه فى هذا الشان هو ان اولية التاليف المنسوبة لابى عدنان انما ترجع الى انه أول من ذكر الاسانيد كما ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد ٤-٤/١٢ اذ قال : « وكتاب غريب الحديث أول من عمله ابو عبيدة معمر بن المثنى وقطرب والاخفش (لعله الاكبر) والنضر بن شميل ولم يأتوا بالاسانيد وعمل ابو عدنان النحوى البصرى كتابا فى غريب الحديث ذكر فيه الاسانيد وصنفه على ابواب السنن والفقه » ، ويبدو ان كتاب ابى عدنان هذا قد فقد منذ فترة مبكرة حيث لم يذكره الخطابى ضمن الكتب التى سبقت غريب الحديث لابى عبيد فضلا عن ان يذكر سببه ، وايا ما كان الامر فان هذه الكتب ترجع جميعا الى النصف الاخير من القرن الثانى وليس لدينا دليـــل قاطع يسبق احد المؤلفين ولا يبقى امامنا الا ان ناخذ برأى الجمهور وهو سبق ابى عبيدة معمر بن المثنى الى هذا الصنف من التاليف .

(١٦) النهاية لابن الاثير ٦/١ .

(١٧) مراتب النحويين لأبى الطيب ص ١٤٨ .

لقد رد كثير من الباحثين دعوى ابى الطيب هذه لانها تجافى المنطق ، وقد ذكر الدكتور حسين نصار ان قول ابى الطيب لا يمكن تصديقه بسبب ضخامة كتاب ابى عبيد ووصف المؤرخين كتاب ابى عبيدة بالقلة المفرطة (١٨) .

اما الدكتور عبد الله ربيع فقد ذكر ان دعوى ابى الطيب قد يشم فيها رائحة التعصب البصرى ضد علم من اعلام الكوفة وتساءل عما اذا كان كتاب ابى عبيدة — ذو الورقات المعدودات — يصلح حقا ان يكون معتمدا لهذا السفر العظيم(١٩) .

ان الذى يبدو لى تجاه هذه الدعوى ان ابا الطيب اللغوى قد اتى فيها من قبل التعجل وعدم اتمام قراءة كتاب غريب الحديث لان الناظر فى الصفحات الاولى للكتاب يجد ان ابا عبيد يذكر دائما فى صدر تفسيره لالفاظ الحديث عبارة « قال ابو عبيدة » وقد تتابع النقل عن ابى عبيدة هكذا فى الاحاديث الثمانى عشرة الاولى (ص ١ — ص ٣١) ، ولو صبر الناظر فى الكتاب قليلا لعلم ان ابا عبيد قد ذكر بعد ذلك الاصمعى — وباستمرار ايضا — فى اربعين حديثا (ص ٣١ — ص ١٠٨) ، وبعد ذلك صدر تفسيره للالفاظ برواية عن ابى عمرو (الشيبانى) فى ثلاثة وعشرين حديثا (ص ١٠٨ — ص ١٢٤) ثم ذكر الفراء والاموى ... الخ (٢٠) .

ان الذى نستطيع استنتاجه من هذا هو ان دعوى ابى الطيب قد صدرت عن انطباعه الاول لدى قراءة الصفحات الاولى من الكتاب ولو انه صبر قليلا لعلم ان اعتماد ابى عبيد على الاصمعى وابى عمرو يفوق اعتماده على ابى عبيدة ، والذى يبدو لى فى هذا الشان هو ان ابا عبيد كان ينقل آراء هؤلاء العلماء كما دونوها فى كتبهم حتى

---

(١٨) انظر المعجم العربى لحسين نصار ٥٣/١ .

(١٩) ابو عبيد ، ثقافته العلمية واثاره للدكتور عبد الله ربيع ص ٨٦ .

(٢٠) الارقام المذكورة تشير الى الاجزاء والصفحات فى الطبعة الهندية الاولى لغريب الحديث المطبوعة بحيدر اباد الدكن ١٩٦٤ ، وقد اثرناها على غيرها نظرا لاكتمال صدورها .

اذا ما انتهى من كتاب انتقل الى الآخر ، وبعد ان انتهى من الكتب كان يذكر عنهم ما لم يدونوه مما اخذه سماعا منهم بدليل تردد اسماء هؤلاء العلماء بعد ذلك مقرونة بما يفيد سماعه منهم ومن امثلة ذلك : قال ابو عبيد : وسألت عنه الاصمعي فلم يقل شيئا (١٣٠/١)، وقوله في الكظامة (٣٦٩/١) ، وقال ابو عبيد سألت عنها الاصمعي واهل العلم من اهل الحجاز » وغير ذلك كثير .

ان ابا عبيد سواء اخذ عن الكتب او عن غيرها لم يكن مجرد ناقل لراى هذا العالم او ذاك ولكنه كان يذكر راى ابى عبيدة مثلا ثم يذكر آراء العلماء الآخرين ان وجدت ثم يرجح بينها ما وجد الى ذلك سبيلا ، مثال ذلك ما ذكره في الحديث الثاني (٤/١) :

وقال ابو عبيد في حديث النبي عليه الصلاة والسلام « ان منبري هذا على ترعة من ترع الجنة » قال ابو عبيدة : الترعة الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة .... وقال ابو عمرو الشيباني : الترعة الدرجة قال ابو عبيد وقال غيره : الترعة الباب كانه قال : منبري هذا على باب من ابواب الجنة » ثم ذكر ابو عبيد ما يؤيد هذا الراى الاخير بما قاله سهل بن سعد : اتدرون ما الترعة ؟ هي الباب من ابواب الجنة : قال ابو عبيد وهذا هو الوجه عندنا .

ويتضح من هذا النص بجلاء ان ابا عبيد لم يعتمد فقط على ما قاله ابو عبيدة وانما كان يذكر آراء الآخرين ثم يوازن بينها ويرجح ما يراه اقرب الى الصواب وبالاضافة الى ذلك فان احاديث كثيرة تربو على ما يزيد عن نصف الاحاديث المفسرة قد شرحت من قبل ابى عبيد دون الرجوع الى راى هذا العالم او ذاك (٣١) .

من كل هذا يبدو للعيان ان دعوى ابى الطيب يمكن ردها بما يأتي :

---

(٣١) انظر على سبيل المثال الاحاديث التي تضمنها الجزء الثاني من الكتاب .

اولا ـ انه كما صدر تفسيره لبعض الاحاديث بما ذكره ابو عبيدة فانه صدر احاديث تفوقها عددا بروايات عن الاصمعى وابى عمـــــرو الشيبانى وغيرهما .

ثانيا ـ لم يكن يكتفى بذكر راى ابى عبيدة وانما كان يضيف اليه الآراء الاخرى ويرجح بينها وكثيرا ما كان يأتى بـــراى جـديد ومن الامثلة الواضحة على ذلك ما جاء (فى حـ١ ص ١١٨) من قوله : الأرزة عندى غير ما قال ابو عمرو وابو عبيدة انما هى الأرزة بتسكين الراء ، وهو شجر معروف بالشـــام ... الخ » .

ثالثا ـ اعتماده فيما يزيد على نصف الكتاب على رايـه هو دون الرجوع الى شىء سوى النقل عن العرب وقد كان ثقـة صدوقا فيما يرويه عنهم كما ذكر ابن فارس وغيره ، وقد اثبتت الدراسة الاحصائية لمـادة الكتاب ان الاحاديث النبوية المشروحة قد بلغت تسعة وثلاثين وخمسمائة حديث وان الاحاديث التى شرحها اعتمادا على رايه هو او بالاحـرى على سماعه عن العرب تصل الى مـئة وثلاثمائة حديث ، اما الباقى وهو ثلاثة وعشرون ومائتا حديث فقد نقل فيها آراء العلمـاء ووازن بينها ولم يكن من النادر ان يصل الى راى مخالف لما ذهب اليه الذين نقل عنهم كما راينـا فى المثال الذى ذكرناه فى « ثانيا » .

ان هذه الملاحظة الاخيرة تدحض ايضا ما ذهب اليه بعضهم من قلة اعتماد ابى عبيد على السماع عن العرب وقـد عبر عن ذلك ابراهيم الحربى بقوله :«وكتاب غريب الحديث فيه اقل من مائتى حرف سمعت، والباقى قال الاصمعى وقال ابو عمرو ، وفيه خمسة واربعون حديثا لا اصل لها اوتى فيها ابو عبيد من ابى عبيدة » (٢٢) .

---

(٢٢) تاريخ بغداد ٤١٣/١٢ ، وهذا القائل هو ابراهيم بن اســـحاق الحربى وقد نقل عنه ياقوت فى معجم الادباء (١٢١/١) قوله : ان فى كتاب غريب الحديث الذى صنفه ابو عبيد ثلاثة وخمسين حديثا ليس لها اصل وقد اعلمت علتها فى كتاب الشروى » ، ولم يذكر ياقوت من هذه الاحاديث سوى خمسة احاديث ، اما الباقى فلا نعلم عنه شيئا لضياع كتاب الحربى المتضمن تلك الاحاديث ، وهو كتاب « الشروى » كما قال ياقوت .

ان تناول علماء الغريب ومنهم ابو عبيد لبعض الاحاديث التى لا اصل لها انما كان الغرض منه شرح ما تحويه من الفاظ غريبة باعتبارها تمثل جزءا من الثروة اللغـوية وصفها ابن قتيبة بقوله « وختمت الكتاب بذكر احاديث غير منسوبة سمعت اصحاب اللغة يذكرونها لا اعرف اصحابها ولا طرقها حسنة الالفاظ لطاف المعانى تضعف على الاحاديث التى ختم بهـا ابو عبيد كتابه اضعافا » (٢٣) .

اما دعـوى الحربى بان ابا عبيد كان يعتمد فى تفسيره (احيانا) على ما قالـه الاصمعى وابو عمرو ، فتلك لعمرى امانة علميـة يحمد عليهـا ، وحقـا ما يقـوله صاحب المجموع المغيث (١٠/١) عن بعض اهل السلف « من احال على غيره فقـد استوثق » وعن آخر قوله : اذا احلت على غيرك فقـد اكتفيت » فاذا اضفنا الى ذلك ما سبق ان ذكرناه من ان ابا عبيد لم يكن مجرد ناقل وانما كانت له شخصيته المتميزة التى تجلت فى الترجيح بين الآراء من ناحية والادلاء بدلوه فى التفسـير من ناحيـة ثانية لادركنا مـدى عنت الحربى فى دعواه ، وربما كان مبعثـه فى هذا النقد انه لم يكن يثق فى احاديث ابى عبيدة كما يقول بعض الباحثين (٢٤) ، وربما كان عـدم وثوقـه هذا راجعا الى ان ابا عبيدة فى نظره من اصحاب الاهواء فقد قال عن علماء العربية من اهل البصرة « كلهم اصحاب اهواء الا اربعـة : الخليل ويونس وابو عمرو ابن العلاء والاصمعى » (٢٥) .

وقبل ان نختم حديثنا عن قيمة كتاب ابى عبيد فانه لابد من الاشارة الى ان بعض العلماء قد اخذ على ابى عبيد مواضع فى تفسيره لبعض الاحاديث وكان اسبقهم الى ذلك ابو سعيد البغدادى الضرير وتلميذه ابن قتيبـة (٢٦) الذى يقول عن كتابه فى غريب الحديث « ولم اعرض

---

(٢٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١٥٠/١ وما بعدها .

(٢٤) المعجم العربى لحسين نصار ٥١/١ .

(٢٥) غريب الحديث لابراهيم الحربى ٣٥/١ .

(٢٦) مقدمة تهذيب اللغة ص ٣٦ وقد نشر كتاب اصلاح الغلط هـذا بتحقيق عبد الله الجبورى فى بيروت ١٩٨٣ ، وممن نقد ابا عبيد ايضا عبد الواحد بن احمـد المليحى ٤٦٢ هـ ، وموفـق الدين عبـد اللطيف بن يوسف البغدادى ٦٢٩ ، انظر فى هذا حسين نصار ، المعجم العربى ٥١/١ .

فيه لشيء ذكره ابو عبيد الا احاديث وقع فيها فنبهت عليه ودللت على الصواب فيه وافردت لها كتابا يدعى « اصلاح الغلط » وقد ذكر الأزهرى انه تصفح هذه الحروف التى ردها ابن قتيبة ووقف على الحروف التى غلط فيها وعلى الاكثر الذى اصاب فيه (٢٧) ، وتدل عبارة الأزهرى على ان تخطئة ابى عبيد لم تكن مسلمة من قبل علماء اللغة الا فى قليل من المواضع ، وقد تصدى للدفاع عن ابى عبيد كثير من افذاذ العلماء كابن الانبارى (٣٢٧ هـ) ، وابو عبد الله المروزى (٢٩٤ هـ) والقفصى التميمى (٣٣٦ هـ) وابن عبدون الفهرى (٥٢٧ هـ) (٢٨) وكل هذا يذكرنا بالنقد الذى وجه لأبى عبيد فى حياته عندما قيل له : ان صاحب هذه الدار (يعقوب اسحاق الموصلى) يقول : اخطأ ابو عبيد فى مائتى حرف من المصنف .. فقال ابو عبيد : لعل صاحبنا هذا لو بدا لنا فناظرناه فى هذه المائتين يزعمه لوجدنا لها مخرجا (٢٩) ، وقد قيض الله له بعد موته من يجد له هذا المخرج كما صنع الأزهرى وابن الأنبارى وغيرهما ، وان كان هذا لا يعنى بحال عصمته من الخطأ فالكمال لله وحده ، وقد ورد عنه قوله : عملت ثلاثة كتب : فمنها كتاب على ولا لى ، وكتاب منها لى لا على ، وكتاب لا لى ولا على ، فاما الكتاب الذى على ولا لى فكتاب غريب الحديث ، فسرت الفاظ النبى ﷺ فلا ادرى اصبت او اخطأت الخ » (٣٠) ، انه يعلن بكل تواضع العلماء انه كان مجرد مجتهد

---

(٢٧) مقدمة تهذيب اللغة ص ٤٦ .

(٢٨) انظر فى ذلك مقدمة الجبورى لكتاب غريب الحديث لابن قتيبة ٧٣/١ .

(٢٩) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٠١ وقد ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد ٤١٣/١٢ نحوا من هذه الرواية وقد جاء فيها على لسان ابى عبيد : « لعل اسحاق عنده رواية وعندنا رواية فلم يعلم فخطأنا ، والروايتان صواب ولعله أخطأ فى حروف واخطأنا فى حروف فيبقى الخطأ شيئا يسيرا » .

(٣٠) المجموع المغيث ٩/١ ، وبقية الرواية « فاما الكتاب الذى لى ولا على فكتاب الاموال ، فسرت الاموال وكتاب الزكاة وكيف يعمل الناس فى اموالهم فهو لى ولا على ، والكتاب الذى لى ولا على فكتاب القراءات ، وضعت قراءة كل انسان مكانه .

فى تفسيره وان هـذا التفسير قـد يحتمل الخطأ كما يحتمل الصواب ، رحمه الله رحمة واسعة واثابه ثواب المجتهدين المخلصين ·

ترتيب غريب الحديث وتأثر العلماء به :

لقـد شاع بين الباحثين ان ابا عبيد قد اتبـع طريقة المسانيد فى ترتيب كتابه « غريب الحديث » وفى ذلك يقول الدكتور حسين نصار « ان ابا عبيد نهج فيـه نهج كتب المسـانيد فأفرد احاديث رسول اللـه صلى الله عليه وسلم واحاديث كل رجل من الصحابة والتابعين على حدة واورد الاحاديث فى كل مسند بدون اى ترتيب » (٣١) ، ويقول الدكتور عبد الله ربيع « والظاهر ان ابا عبيد كان يقسم كتابه على النحو الذى نراه على اساس المسانيد ، ثم يضع احاديث كل مسند ثم يبحث بعد ذلك عن الغريب فى كل حديث » (٣٢) ·

ان علينـا قبل ان نحدد المراد باتباع ابى عبيد طريقة المسـانيد ان نوضح ما يقصده علمـاء الحديث بمصطلح « مسند » وما الذى يـراد به عندما يطلق وصفا لكتـاب من الكتب او لحديث من الاحاديث، وقد اتضح من تتبع هذا الاستعمال انه يطلق ويراد به :

١ ـ وصف الحديث نفسـه ، وقـد نسب الامـام النووى هـذا الاستعمال الى اهل الحديث فقال « المسند عند اهل الحديث ما اتصل سـنده الى منتهاه واكثر ما يستعمل فيما جاء عن النبى صلى اللـه عليه وسلم دون غيره (٣٣) ·

٢ ـ الكتاب الذى جمع فيه ما اسنده الصحابة اى رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كمسـند الامام احمد بن حنبل ، والمسـند لابى يعلى (٣٤) ، ويرتب المسند على اسماء الصحابة وهذا المعنى هو

(٣١) المعجم العربى ٥٢/١ ·
(٣٢) ابو عبيد ، ثقافته اللغوية وآثاره ص ٨٦ ·
(٣٣) تقريب النواوى ١٨٢/١ ، وقارن بالتهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون ٦٤٦/٣ ·
(٣٤) تدريب الراوى للسيوطى ٤٢/١ ·

المشهور والمتبادر عند اطلاق كلمة مسند على كتاب من كتب الحديث (٣٥) .

٣ - الكتاب الذى يخرج الحديث بسنده مرفوعا ومن ذلك تسمية الامام البخارى كتابه « الجامع المسند الصحيح » .

٤ - الكتاب الذى يجمع أسانيد كتاب معين مثل مسند الشهاب وهو كتاب يذكر أسانيد احاديث كتاب الشهاب (٣٦) .

لقد اتضح من دراسة كتاب ابى عبيد ان لفظ المسند انما يراد به هنا المعنى الثالث وهو انه كتاب يذكر الاحاديث بأسانيدها مرفوعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس المراد به المعنى المشهور الذى يتبادر الى الذهن عند اطلاق لفظ مسند وهو كونه مثل مسند الامام احمد يرتب الاحاديث التى يرويها كل صحابى على حدة فى موضع بعينه كأن تذكر الاحاديث التى يرويها ابو بكر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويطلق عليها مسند ابى بكر) ، ثم الاحاديث التى يرويها عمر عن رسول الله وهكذا .

ان اتباع ابى عبيد لطريقة المسانيد لا علاقة له اذن بترتيب الكتاب والمقصود بها ان الاحاديث التى كان يذكرها انما كانت تذكر بأسانيدها التى ترفعها الى رسول الله صلى عليه وسلم ، وفيما وراء ذلك فقد قسم ابو عبيد كتابه الى اربعة اقسام :

الأول : ويتضمن احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يراع فى ترتيبها منهج معين فهى لم ترتب تبعا لموضوعها ولا وفقا لمن رواها .

الثانى : ويتضمن احاديث الصحابة رضوان الله عليهم وقد ذكرت احاديث كل صحابى على حدة ، والمقصود بأحاديث الصحابة تلك التى رويت عنهم هم ، لا تلك التى رووها عن رسول الله صلى عليه وسلم .

---

(٣٥) المسانيد ومكانتها فى علم الحديث النبوى نور الدين العتر ص ٥١ .
(٣٦) انظر فى النوعين الاخيرين ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الثالث : الاحاديث المروية عن التابعين كحديث كعب الاحبار ومحمد بن الحنفية ، اى تلك التى رويت عنهم .

الرابع احاديث لا يعرف اصحابها وهذا الجزء هو اقلها اذ لم يتجاوز ما ذكر فيه عشرين حديثا .

لقد اتبع كل من ابن قتيبة والخطابى فى غريبيهما طريقة ابى عبيد سواء فى ايراد الاحاديث باسانيدها او بتقسيم الكتاب الى هذه الاقسام الاربعة التى اوردناها آنفا ، يقول ابن قتيبة « لقد تتبعت ما اغفله ابو عبيد وفسرته على نحو مما فسر بالاسناد لما عرفت اسناده والقطع لما لم اعرفه » ولكن ابن قتيبة تقدم بهذا الترتيب خطوة الى الامام اذ قسم الاحاديث المسندة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا باعتبار الموضوع واحيانا بمراعاة طول الحديث او قصره اذ راى ان يبدا كتابه بتبيين الالفاظ الدائرة بين الناس فى الفقه وابوابه والفرائض واحكامها » ثم اتبع ذلك بتفسير ما جاء فى الحديث من ذكر القرآن وسوره واحزابه ، ثم ما جاء فى الحديث والكتاب من ذكر الكافرين والظالمين .. ثم ما جاء فى الحديث من ذكر اهل الاهواء الرافضة والمرجئة والقدرية والخوارج ثم ابتدأ بعد ذلك فى تفسير احاديث رسول الله التى يدعى بها على حملة العلم حمل التناقض ، وختم الاحاديث النبوية بذكر الاحاديث الطوال واحاديث الوفادات ، وبعد ذلك ابتدأ القسم الثانى وضمنه احاديث الصحابة ، ثم الثالث وفيه احاديث التابعين واخيرا ذكر الاحاديث التى يتداولها علماء اللغة لا يعرف اصحابها ولا طرقها بيد انها كما يقول « حسنة الالفاظ لطاف المعانى » (٣٧) .

اما الامام الخطابى فقد سار على نهج صاحبيه ابى عبيد وابن قتيبة ، وقد ذكر ذلك فى مقدمة غريبه فقال « ونحوت نحوهما فى الوضع والترتيب وابتدات اولا بتفسير حديث رسول الله صلى الله

---

(٣٧) باختصار وبعض تصرف عن مقدمة ابن قتيبة فى غريب الحديث ١٥٠/١ وما بعدها .

عليـــه وسلم ، ثم ثنيت باحاديث الصحـــابة ، واردفتها احاديث التابعين ... » (٣٨) .

وممن ســـار على هذه الطريقة ايضا الامام ابن الاثير فى كتابـــه « منال الطالب شرح طوال الغرائب » وقد اقتصر فيه على ذكر الاحاديث الطويـــلة فقـــط .

ان لفظ « المســـند » عندما يطلق وصفا لكتاب من كتب الغريب لا يتعين أن يراد منه ذلك المعنى الذى وجدناه عند ابى عبيد وصاحبيه (ابن قتيبة والخطابى) وانما قد يراد بـــه ايضا ذلك المعنى المتداول المشهور وهو ترتيب الاحاديث وفقا لمن رواها من الصحابة كما صنع الامام احمد فى مسنده ، وممن فعل ذلك ابراهيم بن اسحاق الحربى (٢٨٥ هـ) فى كتابه غريب الحديث ، اذ رتب كتابه وفقا للصحابة رضوان الله عليهم ، فمسند ابن عباس عنده يعنى تلك الاحاديث التى رواها ذلك الصحابى الجليل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الواضح ان الحربى قـــد تاثر هنا باستاذه الامام احمد بن حنبل ولكنه راعى ايضا طريقة الخليل بن احمد فى ترتيب احاديث كل مسند اذ كان يرتب الالفاظ فى كل مسند تبعا لمنهج الخليل فى كتاب العين اى انه كان يبـــدا بالاحاديث التى تحوى الفاظا فيها العين بادئا بالثنائى يليـــه مقلوبه ثم الثلاثى فمقلوبه وهكذا ، ثم يذكر الاحاديث التى تحوى الفاظا فيها الحـــاء ويستمر على ذلك وفقـــا للترتيب الصوتى للحروف متبعا للنظام الكمى ونظام التقليبات فى كل حرف طالما وجدت احاديث فيها هـــذه الكلمات ، مثال ذلك :

غريب حديث عبد الله بن عباس عن النبى صلى الله عليه وســـلم (حـ١ من المجلدة الخامسة ص ٤٢) يبدأ بباب « عق » ثم يذكـــر كل الاحاديث التى رواها ابن عباس وفيها الفاظ فيها العين والقاف ، وبعد ذلك يذكر باب « قع » (وهى مقلوب عق) ، (ص ٥٤) ثم بعد ذلك باب « رم » ص ٦٦ ، ومقلوبها باب « مر » وبعد ان ينتهى من الثنائيات

---

(٣٨) غريب الخطابى ١/٤٠ .

يذكر الثلاثيات فيبدأ بباب « شعر » ص ١٤١ ثم يذكر تقليباتها ، ثم باب « عشر » وتقليباتها الخ ·

لقد حاول الحربى بذلك ان يجمع بين طريقة اللغويين من اتباع الخليل وطريقة المحدثين من أمثال ابن حنبل ولكن بعدت عليه الشقة فلم يستطع ان يوفق بين الطريقتين « وما تاتى له ضبطهما » كما يقول محقق المجلدة الخامسة من كتابه غريب الحديث (٣٩) ·

لقد التبس الأمر على بعض الباحثين فظن ان طريقة المسانيد التى اتبعهـا ابو عبيد هى نفسها التى اتبعها ابراهيم بن اسحاق الحـــربى فقال « وصل الينا ايضا وصف غريب الحديث لأبى اسحاق الحربى وقـد سار المؤلف فيه على منهج ابى عبيد وابن قتيبة فى الترتيب » (٤٠) ·

قلت : لقد وصلت الينا مجلدة من كتاب الحربى ورأينا فيها انه لم يتبع منهج ابى عبيد ولا حـذا حذو ابن قتيبة ولكنه سار على طريقة ابن حنبل والخليل على نحو ما اوضحناه ·

وقبل ان نختم حديثنا عن منهج ابى عبيد وتاثيره فيمن تبعـه من علمـاء الغريب نود الاشارة الى انـه بجانب منهج أبى عبيد ومنهج ابراهيم الحربى يوجـد منهجان آخران فى ترتيب كتب غريب الحديث همـــا :

١ — منهج الهروى فى الغريبين (غريب القرآن والحديث)

ويتلخص هـذا المنهج فى ذكر الكلمات المبدوءة بالهمزة أولا ثـم تليهـا الكلمات المبدوءة بالبـاء · ثم الكلمـات المبدوءة بالتـاء وهكذا وفقا للترتيب الهجائى المعروف ، وقد روعيت ايضا الحروف الثوانى فى الترتيب فالذى أوله همزة تليها بـاء يقدم على ما اوله همزة تليهـــا

(٣٩) انظر فى أوجه قصـــور منهج الحربى ، الدكتور سليمان المعايد فى تقديمه للمجلدة الخامسة ج ١ ص ٩٤ ·

(٤٠) المعجم العربى لحسين نصار ٥٥/١ ، وقد تابعه فى ذلك رضـا السويسى فى تحقيقه لغريب ابن قتيبة ص ١٦ ·

هذا وهكذا ، يقول الامام ابو عبيد الهروى (٤٠١ هـ) موضحا هذه الطريقـــة :

« وهو موضوع على نسق الحروف المعجمة ، نبدا بالهمزة فنفيض بها على سائر الحروف حرفا حرفا ونجعل لكل حرف بابا ونفتتح كل باب بالحرف الذى ثانيـه الهمزة ثم الباء ثم التاء الى آخر الحروف ، الا الا نجده فنتعداه الى ما نجده على الترتيب فيه ، ثم ناخـذ فى كتاب الباء على هذا العمل الى ان ننتهى بالحروف كلها الى آخرها ، ليصير المفتش عن الحرف الى اصابته من الكتاب بأهون سعى واحث طلب » (٤١) .

وممن سـار على هذه الطريقة الزمخشرى (٥٣٨ هـ) فى الفائق وابن الأثير (٦٠٦ هـ) فى النهاية ، وابن الجوزى (٥٩٧ هـ) فى غريب الحديث ، وابن خطيب الدهشة (٨٣٤ هـ) فى « التقريب فى علم الغريب » وغيرهم .

٢ ـ منهج ابن قدامة وهو الامام عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسى (٦٢٠ هـ) فى كتابه « قنعة الأريب فى تفسير الغريب » .

ويتخلص منهجه فى ترتيب الألفاظ الغريبة وفقا للحرف الأول سـواء اكان اصليا ام زائدا مع مراعاة الترتيب الهجائى المعروف فالهمزة تليها الباء فالتاء ولكنه راعى الحركة التى تلى الحرف الأول،فالكلمات التى تحوى همزة مفتوحة تقدم على الهمـــزة المضمومة ثم يلى ذلك التى تحوى همزة مفتوحة تقـدم على الهمزة المضمومة ثم يلى ذلك الكلمات المبدوءة بالهمزة المكسورة ، وذلك بغض النظر عن الحـــرف (الصامت) الثانى او الثالث . لقد راعى ابن قدامـة ايضا ان يقـدم اولا احاديث رســول الله صلى الله عليه وسلم ثم احاديث الخلفـــــاء الراشـدين ثم بقيـة الصحابة ثم يختم البـاب بالفاظ احاديث التابعين وقد تاثر فى ذلك بمنهج ابى عبيد الذى جعل كتابه « قنعة الأريب »

(٤١) الغريبين للهروى ٦/١ .

اختصارا لكتـابه « غريب الحديث » ، وقد ذكر فى مقدمته لهـذا الكتاب ما يشير الى منهجه بقوله « ورتبته على حروف المعجم وبدات بالمفتوح ثم بالمضموم ثم بالمكسور مفتتحا بذكر تفسير كلام رسـول الله صلى الله عليه وسلم ثم بأصحابه رضى الله عنهم ثم بمن بعدهم رحمهم الله» (٤٢) .

مظاهـر الغرابة فى الحديث النبوى
دراســة تحليــلية

نقصد بالدراسة التحليلية هنا دراسة الاحاديث النبوية الشريفة التى اوردها ابو عبيد فى كتابه « غريب الحديث » دراسة تفصيلية لنتبين على ضـوء ما يتجمع لدينا من جزئيات مظاهر الغرابة والاشكال التى تبـدو عليهـا ، وقد سـبق ان ذكرنا ان اختيـار كتاب ابى عبيد ميدان لهذه الدراسة انما يرجع الى كونه اقدم مؤلف يصل الينا فى «الغريب» ، بالاضافة الى ان تاثيره فى المؤلفـات التى تلته كان من القوة بحيث اتخذ منه كل من ابن قتيبة والخطابى المثال الذى يحتذى ، سـواء فى طريقـة الشرح او ترتيب المـادة اللغـوية ، وهذه الكتب الثلاثة هى امهات الكتب فى هـذا الفن او هى « عمدة هـذا الفن » ، وقد دارت فى كتب المتاخرين دورانا عظيما كما يقول بعض الباحثين (٤٣) .

ان من ابرز النتائج التى توصل اليها البحث التحليلى لمـادة غريب الحديث النبوى فى كتاب ابى عبيد ان هـذا الغريب يخلو خلوا تامـا من تلك الالفاظ التى ينبو عنها السمع او تنفر منها الاذن ، تلك التى خصها المتاخرون باسم الوحشى او الحوشى والتى تدخل فى اضـرار الغريب عند القدماء ممن لم يفرق بين الغريب والوحشى على نحو مـا اوضحنا فيما قبل (٤٤) ، و يترتب على هـذه النتيجة ان غريب الحديث النبوى لا يحسن وصفه بالوحشى لانه من ذلك النوع العذب الذى حسن

---

(٤٢) قنعه الاريب ورقه ١ .

(٤٣) مقدمة تحقيق منال الطالب شرح طوال الغرائب للدكتور محمود الطناحى ص ٣ .

(٤٤) انظر تناولنا للعلاقة بين الغريب والوحشى عند النقاد والبلاغيين فى الفصل السابق .

تاليفه ، ويعنى هـذا ان الغرابة فى الحديث النبوى صفة تتعلق بالمعنى المستفاد من اللفظ لا باللفظ من حيث جرسه او وقعـه فى الاذن ، وسنحاول فيما يلى ان نتعرف على مظاهر الغرابة فى المعنى من واقع النصوص التى اوردها ابو عبيد ليتسنى لنا بعـد ذلك الوقوف على الاسـباب التى ادت الى اعتبارها غريبة ثم محاولة تفسير ذلك فى ضوء النتائج التى توصلت اليها الدراسات اللغـوية الحديثة .

ما المعنى الذى تتعلق به الغرابة ؟

انه اذا كانت الغرابة صفة تتعلق بالمعنى فان علينـا ان نبحث هنـا : اى معنى هو المقصود بذلك ؟ هل هو المعنى المعجمى او الوضعى الـذى يسـتفاد من اللفظ بحسب اصل الوضع ، او هو المعنى الذى يستفاد من ورود كلمـة ما على صيغة معينة (معنى الصيغة الصرفية) ، او هو المعنى الذى يسـتفاد من ورود الكلمة فى سـياق بعينه خاصة اذا كانت الكلمـة مستعملة فى غير ما وضعت له او كانت مسندة الى غير ما هى لـه (المعنى المجازى) .

انه اذا كان المعنى فيما سبق يتعلق باللفظ المفرد وكيفية اسـتخدامه فان من وراء ذلك ما يمكن تسميته بالمعنى الاجتماعى او المعنى العام الذى يسـتفاد من التركيب كله مضافا اليه ظروف المقـام الذى قيل فيه ، اى انـه المعنى الذى يستفاد من المقال والمقام معـا .

لقد اظهرت دراسة الاحاديث النبوية الشريفة ان الغرابة قد تتعلق بكل هـذه الانواع من المعانى على تفاوت فى ذلك من حيث النسبة العددية فى كل نـوع .

المظهـــر الاول
الغرابة فى المعنى المعجمى

المراد بالمعنى المعجمى هنا ما يـدل عليه اللفظ بحسب اصل وضعه فى اللغـة وقد يسمى بالمعنى الوضعى ، واذا وضعنـاه بازاء المعنى المجازى فانـه قـد يطلق عليه اسم « الحقيقـة » التى عرفها ابو الفتح عثمان بن جنى بانها « ما اقر فى الاستعمال على اصل وضعه فى اللغة

والمجـاز ما كان بضد ذلك » (٤٥) وقد عرفها ابن فارس بانها « الكلام الموضوع موضعه الذى ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم فيه ولا تاخير كقول القائل : احمد الله على نعمه واحسانه ، وهذا اكثر الكلام »(٤٦) ، والحقيقة عند علماء الأصول « كل اسم افاد معنى على ما وضع له ، وقيل كل اسم وقع عليه الاصطلاح على ما وضع له عند التخاطب»(٤٧) ، ولا شك ان دلالة الالفاظ على معانيها الوضعية هو الطابع الذى يميز اللغة العادية التى تقوم بوظيفة الافهام والبيان .

ان استقراء الاحاديث التى فسرها ابو عبيد يوضح بجلاء ان خفاء هذا المعنى الوضعى او المعجمى يمثل ما يقرب من ٨٠٪ من جملة مافسره ، ويدخل فى هـذه النسبة تلك الالفاظ التى اكتسبت الى جانب معانيها الوضعية معانى اخرى اصطلاحية وذلك كالفاظ الوضوء والصلاة والقنوت وغير ذلك مما يعتبر من الحقائق الشرعية ، ذلك ان تلك الالفاظ على الرغم من دلالتها على معانيها التى نقلت اليها لم تفقـد دلالاتها الأصلية التى ربما توارت بعض الشىء بسبب كثرة استعمال تلك الالفاظ فى معانيها الجديدة ، ومن امثلة ذلك ما ورد فى الحديث الشريف : « اذا دعى احدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليأكل وان كان صائما فليصل » قال ابو عبيـد قوله « فليصل » يدعو له بالبركة والخير ، كل داع فهو مصل ، وكذلك هذه الاحاديث التى جاء فيها ذكر صـلاة الملائكة كقوله : « الصائم اذا اكل عنده الطعام صلت عليه الملائكة حتى يمسى ، وحديثـه : « من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم صلاة صلت عليه الملائكة عشرا » وهذا فى حديث كثير فهو عندى كلـه الدعـاء ... » (٤٨) .

---

(٤٥) الخصائص ٤٤٢/٢ .

(٤٦) الصاحبى ٣٢١ ، وقد خالف ابن جنى هذا الراى وذهب الى ان اكثر الكلام مجاز (الخصائص ٤٤٧/٢) ، وانظر فى هذا ايضا المزهـر للسيوطى ٣٥٥/١ .

(٤٧) التمهيد فى اصول الفقه ٧٧/١ ، وانظر فى التعريفات الأخـرى للحقيقة نظرية اللغة فى النقـد العربى ، لعبد الحكيم راضى ص ١١٤ وما بعدهـا .

(٤٨) غريب ابى عبيد ١٧٨/١ .

ان الكثرة النسبية لهذا المظهر من مظاهر الغرابة (اى خفاء المعنى المعجمى) جعلت بعض الباحثين لا يرون سواه او على الاقل لا يرون غيره جديرا بالدرس والتحليل وذلك على نحو ما فعل الدكتور رضا السويسى فى تحليله لمنهج ابن قتيبة فى شرح المواد اللغوية الغريبة فى الاحاديث النبوية الشريفة ، مع ان المظاهر الاخرى للغرابة لا تقل اهمية عن الغرابة فى هذا المعنى المعجمى(٤٩) .

ونكتفى هنا بايراد مثالين يوضحان منهج ابى عبيد فى شرح الالفاظ **الغريبة معجميا** .

١ - فى حديثه عليه السلام « انه نهى عن بيع الكالئ بالكالئ قال ابو عبيد هو النسيئة بالنسيئة ... » غع ١/٢٠ .

٢ - وقال ابو عبيد فى حديثه عليه الصلاة والسلام « انه كان اذا قام للتهجد يشوص فاه بالسواك » .

قوله : يشوص فاه ، الشوص : الغسيل ، وكل شىء غسلته فقد شصته تشوصه شوصا .. » (غع ١/٢٦٠) .

المظهر الثانى
الغرابة فى المعنى الصرفى

نقصد بالغرابة فى المعنى الصرفى ، ان يكون ثمت غموض فيما يتعلق بما تدل عليه الصيغة المعينة من معنى زائد على المعنى الاصلى او المعجمى حيث يكون استعمال هذه الصيغة بذاتها فى ذلك المعنى امرا غير مالوف فى عصر ابى عبيد مما يحوج معه الى تفسير المعنى الاشتقاقى للصيغة الواردة فى الحديث ، وقد احصينا من هذا

---

(٤٩) غريب الحديث لابن قتيبة ، تحقيق ودراسة السنية ، للدكتور رضا السويسى ، وقد ذكر السويسى فى دراسته الآنفة هذه انه سيحاول الوقوف « على منهجية ابن قتيبة فى شرحه للوحدات المعجمية - الغريبة فى نظره - وذلك بتحليل انماط مميزة من الشروح .. » انظر الفصل الخاص بالدراسة الآنفة (اللغوية) ص ٦٩ - ٩١ .

النوع واحدا وثلاثين موضعا فى كتاب أبى عبيد نكتفى منها بتناول المثالين الآتيين :

- **وقال ابو عبيد فى حديثه عليه الصلاة والسلام « انه سأل رجلا اراد الجهاد معه فقال له : هل فى اهلك من كاهل ؟ ويقال من كاهل ؟** فقال : نعم ... » (غع ١٢/١) .

قال ابو عبيدة : هو ماخوذ من الكهل يقول : هل فيهم من اسن وصار كهلا ، قال ابو عبيد : يقال منه رجل كهل وامراة كهلة وانشدنا لعذافر .

ولا اعـــود بعـدها كربا امارس الكهلة والصبيا (غع ١٢/١)

فى هذا الحديث الشريف روايتان : احداهما كاهل على وزن فاعل (اسم فاعل) فى معنى كهل ، وثانيتهما كاهل على وزن فاعـــل (فعل ماض) فى معنى اكتهل اى اسن وصار كهلا ، وكلا الصيغتين هنا مما يخالف المعهود عند علماء اللغة ، صحيح ان « الكاهل » قـد وردت اسما لا صفة فى معنى آخر هو « الكتد » اى موصل العنق من الصلب(٥١) ، او موصل الظهر فى العنق ، وقد انشد الاصمعى شاهدا للمعنى الاخير قول الشاعر (٥٢) :

اعطاكم المعطى المسلم الاسلاب وكاهـلا فى شرج عبـر ادرما

اما صيغة « كاهل » الواردة فى الحديث فانهـا بمعنى كهل اى رجل مسن كما يفهم مما نقله ابو عبيد عن ابى عبيدة ولم يحدد علماء اللغة سنا معينة يصير فيها الانسان كهلا . اللهم الا ما ذكره صـــاحب

---

(٥٠) غع هنا وفيما ياتى اختصار لقولنا غريب الحديث لابى عبيد .
(٥١) خلق الانسان للاصمعى ص ٢٠٣ .
(٥٢) السابق ص ٢١٠ .

الصحاح من ان الكهل من الرجال هو الذى جاوز الثلاثين(٥٣) .

لقد أورد ابو عبيد رواية اخرى ظهرت فيها الكلمة موضوع الغرابة على الصيغة الفعلية « كاهل » وهى هنا بمعنى اكتهل ، ويبدو ان هذا الاستعمال لم يكن مألوفا فى اواخر القرن الثانى الهجرى اذ لم ينقل الأصمعى سوى الصيغة الفعلية « اكتهل » ، وقد اعتمد صاحب الصحاح على ابى عبيد فى اثبات الصيغتين اللتين وردت بهما الرواية فقال : « الكهل من الرجال : الذى جاوز الثلاثين ووخطه الشيب ، وامرأة كهلة .. وفى الحديث : هل فى اهلك من كاهل ، قال ابو عبيد ويقال من كاهل : اى اسن وصار كهلا(٥٤) .

ـ وقال ابو عبيد فى حديثه عليه الصلاة والسلام « مازالت اكلة خيبر تعادنى فهذا اوان قطعت ابهرى » (غ ٧٣/١) .

قال الأصمعى : هو من العداد ، وهو الشىء الذى يأتيك لوقت ، وقال ابو زيد مثل ذلك او نحوه ، قال ابو عبيد واصله من من العدد لوقت معلوم ، مثل الحمى الربع والغب ، وكذلك السم الذى يقتل لوقت ، وكل شىء معلوم فانه يعاد صاحبه الأيام ، واصله العدد حتى يأتى وقته الذى يقتل فيه ، ومنه قول الشاعر :

---

(٥٣) قال الأصمعى فى خلق الانسان (ص ١٦٠) وهو شاب من الحلم الى ان يكتهل فاذا تم فهو كهل ، وذكر الثعالبى فى فقه اللغة (ص ١١) ان الكهل من الرجال بمنزلة النصف من النساء ولم يذكر سنا معينة لذلك ، وقد ذكر فى الصحاح (١٨١٢/٥) ان الكهل هو الذى جاوز الثلاثين ووخطه الشيب .

(٥٤) الصحاح ١٨١٣/٥ ، وتهذيب اللغة للأزهرى ٢٠/٦ ، ومما تجدر ملاحظته هنا هو ان لفظ « كهل » ذاته قد استعمل فى بعض اللهجات بمعنى ضخم صلة لطائر ، وقد جاء ذلك فى قول بعض المذليين :

فلو كان سلمى جاره أو اجاره رياح بن سعد رده طائر كهل

وقد عيب استخدام « كهل » فى هذا المعنى على ابى تمام فى قوله :

لقد طلعت فى وجه مصر بوجهه بلا طالع سعد ولا طائر كهل

انظر فى وجه الغرابة وانتقاد ابى تمام ، سر الفصاحة لابن سنان ص ٦٦ .

يلاقى من تذكر آل سلمى ... كما يلقى السليم من العداد

ان ما ذكره الاصمعى وابو عبيد هنا لا يعدو ان يكون تفسيرا للصيغة « فاعل » من العداد كما ذكر الاصمعى واصل العداد من العدد كما ذكر ابو عبيد ، ويبدو ان هذه الصيغة لم تكن معروفة او مستعملة فى اواخر القرن الثانى الهجرى اذ حلت محلها الصيغة الاخرى « عاود » على سبيل المخالفة او الابدال اذ تحولت الدال الاولى الى واو تحقيقا للانسجام الصوتى وقد سجل الخليل هذه الحقيقة فى كتاب العين حيث قال : « والعداد : اهتياج وجع النديغ ، وذلك ان تمت له سنة مذ يوم لدغ هاج به الألم ، وكان اشتقاقه من الحساب من قبل عدد الشهور والأيام ، كان الوجع يعد ما يمضى من السنة فاذا تمت عاودت المنديغ ، **ولو قيل عادته لكان صوابا** ، وفى الحديث : « مازالت اكلة خيبر تعاودنى ، فهذا اوان قطع ابهرى » اى تراجعنى ويعاودنى الم سمها فى اوقات معلومة قال الشاعر :

يلاقى من تذكر آل سلمى كما يلقى السليم من العداد(٥٥)

ان ما ذكره الخليل يوضح ما ياتى :

١ ـ ان صيغة « عاد » هى الصيغة القياسية ولكن لم يرد بها ـ عنده ـ سماع ، ولو قيلت لكانت صوابا .

٢ ـ ان للحديث رواية اخرى حلت فيها « عاود » وهى ايضا من العدد (لا من العود) محل عاد ويبدو ان هذا لون من الوان تخلص العربية منذ وقت مبكر من المقطع الطويل المكون من صامت + حركة طويلة + صامت فى حالة الوصل وهو ما يعرف بالمقطع الرابع ، وقد تحول هذا المقطع بطريق المخالفة الى مقطعين هما :

« عا » (صامت + حركة طويلة) و « و » (صامت + حركة قصيرة) .

---

(٥٥) العين للخليل بن احمد (تحقيق د . عبد الله درويش) ٩١/١ .

٣ - يضاف الى ذلك ان الصيغة الأصلية « عاد » وهى التى يقتضيها القياس قد ورد بها السماع ايضا فى الروايات الأخرى للحديث بدليل ما اثبته ابو عبيد ، وقد اعتمدت المعاجم الاخرى رواية أبى عبيد ، واتفقت مع الخليل والأصمعى فى انها من العداد (٥٦) .

اما المواضع الاخرى التى ترجع فيها الغرابة الى معنى الصيغة الصرفية فاننا نشير اليها والى مواضعها فى غريب ابى عبيد فيما يأتى :

— **هو امى** الابل	٢٢/١
— **حميل** السيل	٧١/١
— **لم يرح** رائحة الجنة	١١٥/١
— **ابينى** لا ترموا جمرة العقبة	١٢٨/١
— لا **يتبيغ** الدم باحدكم	١٦٠/١
— « **الا الغير** تريد »	١٦٨/١
— « البعير **الاقرم** »	٢٤٩/١
— « لقد هممت الا **اتهب** الا من قرشى »	٣١٢/١
— « .. أمر بالاثمد **المروح** »	٣٢٨/١
— « لا **تعضية** فى ميراث .. »	٧/٢
— اتاه بشاة **مصلية**	٣٤/٢
— « .. والاستنجاء بالاحجار **والاستحداد** »	٣٧/٢ (٥٧)
— « .. **اشعار** الهدى »	٦٤/٢
— « .. اعطوا **الركب اسنتها** »	٦٩/٢ (٥٨)
— « .. انما هو **اتى** فينا »	٨٢/٢
— « .. ما ادرك مد احدهم **ولا نصيفه** »	١٦٤/٢
— « ..ليس منا من لم يتغن بالقرآن »	١٦٩/٢
— « .. انه **قمن** ان يستجاب لكم »	١٩٧/٢

(٥٦) انظر على سبيل المثال صحاح الجوهرى ٥٠٧/٢ .

(٥٧) قال ابو عبيد موضحا معنى الاستحداد « ونرى ان اصل الاستحداد - والله اعلم - انما هو الاستفعال من الحديدة ، يعنى الاستحلاق بها .

(٥٨) قال ابو عبيد فى الموضع المشار اليه « اما قوله : الركب فانها جمع الركاب ... واما قوله اسنتها فانه اراد الاسنان .. قال ابو عبيد ولم يقل الاسنان ، وهكذا الحديث ولا نعرف الاسنة فى الكلام الا اسنة الرماح فان كان هذا محفوظا فانه اراد جمع السن فعدل اسنان ثم جمع الاسنان فقال اسنة فصار جمع الجمع وهذا وجه فى العربية . (غ ع ٧٠/٢) .

ـــ « .. ان رجلا **تفوت** على ابيه »	٢٢٨/٢
ـــ « .. **هذا فـر** قريش »	٢٤٨/٢
ـــ « .. انى بلبن ابل **اوارك** .. »	٣/٣
ـــ « .. **استحيوا** شرخهم »	١٧/٣ (٥٩)
ـــ « .. **المنمون** هينون ليتون كالجمل **الانف** »	٢٠/٣
ـــ « .. **حريسة** الحبـــل .. »	٩٧/٣
ـــ « .. **قابلوا** النعـال .. »	١١٥/٣
ـــ « .. **اما يفرك** الا ان يقال لا اله الا الله »	١٢٤/٣
ـــ « .. من كل عين **لامة** .. »	١٣٠/٣
ـــ « .. **تحينـوا** نوقكم »	**١٧٥/٣**

ـ ويمكن ان يضاف الى هذا النوع ايضـــا ما جاء فى حديث ام زرع (٢٩٤/٢) من وصف المراة السادسة لزوجها بانه عياياء غياياء لان معنى العى او الغى واضح لاخفاء فيه ، اما الصيغة نفسها وما تدل عليه من مبالغة فى وصفه بالغى فانها لم تكن تستعمل كثيرا حتى ان ابا عبيد لم يعرفها بالغين وذكر انها ليست بشىء ، وهو بهذا يشير الى احتمال التصحيف او الخطأ فى الرواية ، اما العياياء (بالعين) فقد فسرها بقوله « العياياء من الابل الذى لا يضرب ولا يلقح وكذلك هو فى الرجال » وقد ذكر الاصمعى انه يقال فى هذا المعنى « فحـل عيـاء »(٦٠) ، وقد ذكر محقق كتاب الابل انه وجد على الحاشـــية بجانب « عياء » لفظ عيا ياء ومن ثم فقد ادخلها فى الكتاب واضـعا اياها بين قوسين ، وهذا يدل على ان هنـــاك صـيغتين للدلالة على المعنى المذكور وان الصيغة التى وردت فى الحديث كانت من القـلة فى عصر الاصمعى لدرجة انه لم يثبتها فى كتاب الابل ثم اثبتها بعض النساخ فيما بعد اعتمادا على ما اورده ابو عبيد(٦١) .

---

(٥٩) قال ابو عبيد وقوله « استحيوا » انما هو استفعلوا من الحياة اى دعوهم احياء لا تقتلوهم ومنه قول الله عز وجل فيما يروى فى التفسـير « سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم » .

(٦٠) الابل للاصمعى ص ٦٧ .

(٦١) انظر تعليقات هفنر على الموضع المذكور ص ٢٦ وهذه التعليقات مكتوبة بالالمانية فى آخر الكتاب (وما الاستثناء انما هو ترجمة للسطر السابع من الصفحة المذكورة) .

المظهر الثالث
الغرابة فى المعنى المجازى

ليس من النادر ان نجد ضمن ما اورده ابو عبيد فى غريب الحديث اى مما اعتبره غريبا الفاظا تتضح معانيها الوضعية والاشتقاقية او - بعبارة اخرى - معانيها المعجمية والصرفية ، ولكن هذه الالفاظ عندما تتعلق بغيرها يعترى معانيها فى السياق نوع من الغموض يحتاج معه الى الشرح والتفسير ذلك ان هذه الالفاظ قد استعملت فى معان مجازية ، والمعنى المجازى هنا اعم من ان يكون مجازا مرسلا او استعارة او مجازا عقليا او كناية وهذا المعنى المجازى الذى ربما خفى على البعض لا يتصور وجوده الا فى التركيب عندما يضم لفظ الى آخر بحيث يكون احد اللفظين لا يتطلب الآخر وانما يتطلب سواه وقد تسمى هذه الظاهرة بالمفارقة المعجمية نظرا لأن هناك قيودا تراعى فى ايراد الكلمات بعضها مع بعض فى اساليب الكلام العادية فاذا اختل قيد من هذه القيود كان معنى هذا اننا امام نوع من المجاز ، مثال ذلك ان الفعل تكلم بمعناه المعجمى يتطلب الاسناد الى من يستطيع التكلم فاذا اسند الى الدار او الأطلال كما فى قول عوف بن الخرع :

وقفت بها ما تبين الكلام لسائلها القول الا سرارا

كان فى هذا نوع من المفارقة المعجمية وهى التى يطلق عليها من الوجهة الاصطلاحية اسم « المجاز » (٦٢) .

ان ادراك هذه العلاقة الناجمة عن المجاز قد يخفى على بعض السامعين خاصة اذا كانت العلاقة بين المعنيين الحقيقى والمجازى مما يحتاج الى امعان نظر واعمال فكر ، وقد كان ابو عبيد رحمه الله من اسبق العلماء الذين بادروا الى تفسير كثير من المجازات النبوية باعتبارها تمثل نوعا من انواع الغرابة وقد سبق بذلك - من الوجهة العملية -

---

(٦٢) انظر فى المجاز فى هذا البيت : ابن قتيبة - تاويل مشكل القرآن ص ١١٠ .

عبد القاهر الجرجانى عندما قال : « انك تتامل ما جمعه العلماء فى الغريب فلا ترى الغريب منه ـ الا فى النادر ـ إنما كان غريبا من اجل استعارة هى فيه » (٦٣) .

لقد ذكر ابو عبيد فى غريبه ستة وخمسين موضعا ترجع الغرابة فيها الى المعنى المجازى نكتفى منها بايراد الامثلة الآتية :

ـ وقال أبو عبيد فى حديث عليه الصلاة والسلام « بلوا ارحامكم ولو بالسلام » قال ابو عمرو وغيره : بللت رحمى ابنها بلا وبللتها اذا وصلتها وندیتها بالصلة ، وانما شبهت قطيعة الرحم بالحرارة تطفأ بالبرد (اى البل) كما يقال سقيته شربة بردت بها عطشه ، يقال كان الصلة هى البرد (او البل) والحرارة هى القطيعة » (غ ع ٣٤٨/١) (٦٤) .

ـ وقال ابو عبيد فى حديث النبى عليه الصلاة والسلام « انا برىء من كل مسلم مع مشرك ، قيل لم يا رسول الله ؟ قال : لا تراءى ناراهما .

قال ابو عبيد : اما قوله : لا تراءى ناراهما ففيه قولان :

اما احدهما فيقول : لا يحل لمسلم ان يسكن بلاد المشركين فيكون منهم بقدر ما يرى كل واحد فيهما نار صاحبه فيجعل (صاحب هذا الراى) الرؤية للنار ولا رؤية للنار وانما معناه ان تدنو هذه من هذه ، وكان الكسائى يقول : العرب تقول : دارى تنظر الى دار فلان ، ودورنا تتناظر ، ويقال اذا اخذت فى طريق كذا وكذا فنظر اليك الجبل فخذ عن يمينه او عن يساره ، هكذا كلام العرب وقال الله عز وجل وذكر الاصنام « .. وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » فهذا وجه .

---

(٦٣) دلائل الاعجاز ٣٩٧ .

(٦٤) لقد صرح الشريف الرضى بما اشار اليه ابو عبيد حيث ذكر ان فى الحديث استعارة اذ المراد « صلوا ارحامكم ولو بالسلام » اى جددوا المودة بينكم وبين اقربائكم ولو بالتسليم عليهم تشبيها ببل السقاء اليابس لانه لا يتبلل الا بملء الماء فيتندى قاحله ويتمدد قالصه فشبهوا بل الارحام بذلك .. » المجازات النبويه ص ١٠١ .

واما الوجه الاخر فيقال انه اراد بقوله : لا ترائى ناراهما ، يريد نار الحرب قال تعالى « كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله » فيقول : نارهما مختلفتان ، هذه تدعو الى الله وهذه تدعو الى الشيطان فكيف تتفقان ، وكيف يساكن المسلم المشركين فى ديارهم وهذه حال هؤلاء وهؤلاء ، ويقال ان اول هذا ان قوما من اهل مكة اسلموا وكانوا مقيمين بها على اسلامهم قبل فتح مكة فقال النبى عليه الصلاة والسلام هذه المقالة فيهم ثم صارت للعامة » (غع ٢/٨٨) .

من تفسير ابى عبيد لهذين الحديثين يتضح ان المعنى المعجمى لكل من الميل والأرحام فى الحديث الاول والرؤية والنار فى الحديث الثانى من الوضوح بمكان مما يعنى ان الغرابة انما نشأت عندما تعلق كل من اللفظين بالاخر على ضرب من المجاز ، بيد ان الغموض فى العلاقة فى الحديث الثانى بين التراثى والنار اتاح المجال لتعدد اوجه التفسير ، وهاهو الشريف الرضى يذكر تفسيرا ثالثا (بعد ان نقل كلام ابى عبيد دون اشارة) قائلا : « وقد يجوز فى ذلك عندى وجه اخر ، وهو ان يكون المراد : لا يجتمع سرباهما ولا يختلط سرحاهما والنار عندهم اسم لسمات الابل ، يقولون : على هذه الابل نار بنى فلان اى وسمهم ... وهذا الوجه يعود الى الوجه الاول لان المراد ان المسلم والمشرك لا يجوز اجتماعهما فى دار حتى تجتمع اذوادهما فى الرعى واورادهما فى الورد فقوله عليه الصلاة والسلام على هذا الوجه : لا يترائى ناراهما ، اى لا يختلط وسماهما .. » (٦٥) .

ان الشريف الرضى يشير هنا الى ان الكلام مجازا مرسلا علاقته السببية اذ اطلق لفظ النار واريد ما يتسبب عنها من الوسم اما على الوجهين الاولين اللذين ذكرهما ابو عبيد فان فى الكلام كناية حيث كنى بعدم رؤية نار احدهما لنار الاخر عن ابتعادهما .

- قوله عليه الصلاة والسلام « من احيا ارضا ميتة فهى له وليس لعرق ظالم حق » غع ١/٢٩٥ .

---

(٦٥) المجازات النبوية ص ٢٦٨ ، وقد ورد هذا المعنى فى حديث رواه ابن قتيبة فى غريب الحديث ١/٣٣٩ .

لقد نقل ابو عبيد تفسير قوله صلى الله عليه وسلم « عرق ظالم » عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي الذى ذهب الى ان العرق الظالم هو ما ينجم عن مجيء رجل الى ارض قد احياها رجل قبله فيغرس فيها غرسا او يحدث فيها حدثا فيستوجب به الارض ، قال ابو عبيد هذا الغارس فى ارض غيره هو العرق الظالم ، وعلى ذلك فان مكمن الغرابة هنـــا هو ما يسميه البلاغيون بالمجاز العقلى الذى علاقته السببية حيث اسند الظلم الى ضمير العرق لانه سببه يقول الرضى « وانما اضاف عليـــه الصلاة والسلام الظلم الى العرق لانه انما ظلم بغرس عرقه فنسب الظلم الى العرق دون صاحبه وذلك كما يقال ليل نائم ونهار صائم اى ينام فى هـذا ويصام فى هذا » (٦٦) .

لقد صرح الشريف الرضى فى مقدمة « المجازات النبوية » بان كتب غريب الحديث كانتبمثابة الرافد الاول الذى مده بتلك الروائع منالأدب النبوى الكريم ، وذلك فى قوله « والذى اعتمد عليـــه فى استخراج ما يتضمن الغرض الذى انحو نحوه واقصد قصده كتب غريب الحديث المعروفة ، واخبار المغازىالمشهورة ومسانيد المحدثين الصحيحة »(٦٧) ، على ان الشريف الرضى لم يكن يأخذ من كتب الغريب دون تثبت او تمحيص وانما كان يتفحص ذلك بعين الناقد البصير ، فيقر من ذلك ما يراه ويضيف اليه ، وربما خالف ما تورده كتب الغريب فمن ذلك على سبيل المثال مخالفته لراى ابى عبيد فى تفسير المجاز فى قوله صلى الله

---

(٦٦) من الواضح ان العلاقة فى ليل نائم ونهار صائم تختلف عنها فى عرق ظالم اذ انهـا فى ليـل نائم ونهار صائم هى الزمانية وفى عرق ظالم السببية وقد وهم محقق المجازات النبوية فاعتبر المثال « عرق ظالم » من المجـاز المرسل (انظر هامش ٢ ص ٢٥٦) ، اما مؤلف كتاب الحديث النبوى من الوجهـة البلاغية فقد راى فى المثال استعارة مكنية وقال « هذا التصوير معبر عنـه باسلوب الاستعارة المكنية فقـد شبه العرق المغروس فى غير الملك لقاعـدة الغارس دون اذن المالك بالانســان الظالم المغتصب مكان غيره ، ثم طوى ذكر الانســان المشبه به ، ونسب للمشبه وصفه اللازم وهو الظالم » انظر : الحديث النبوى من الوجهة البلاغية لعز الدين السيد ص ١٧٤ ، وقد اكد السيوطى المعنى الذى ذهب اليه ابو عبيد فيما رواه عن سبب ورود الحديث - انظر أسباب ورود الحديث للسيوطى ص ١٤٧ .

(٦٧) المجازات النبوية ص ١٢ .

عليه وسلم « الانصار كرشى وعيبتى » فقد ذهب ابو عبيد الى ان الاصل فى عيبة الرجل موضع سره الذين يائتمنهم على امره ومن ذلك الحديث الآخر « كانت حزاعة عيبة النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنهم وكافرهم وذلك تحلف كان بينهم فى الجاهلية ، قال ابو عبيد ولا ارى عيبة الثياب الا ماخوذة من هذا لانه انما يضع الرجل فيها خير ثياب وخير متاعه عنده » (غع ١٣٧/١) وقد خالفه الشريف الرضى فى ذلك وعكس القضية اذ راى ان الاصل فى العيبة هى تلك التى يضع الانسان فيها نفائس ذخره وكرائم وفره » وقد شبه الانصار بالعيبة لانهم موضع ثقته ومستودع ثقته ومكان سره ولجأ ظهره كالعيبة » (٦٨) .

والذى ذهب اليه الشريف الرضى احرى بالقبول لان الاصل فى المعانى ان ينتقل فيها من الحسى الى المعنوى وليس العكس وقد ذكر فى الصحاح (١٩٠/١) ، ان العيبة : ما يجعل فيه الثياب ثم ذكر حديث الانصار مقدما للمعنى الحسى على العقلى . وفيما عدا ذلك فقد افاد الشريف الرضى بما ذكره ابو عبيد ونقل عنه ولكنه نادرا ما كان يصرح بذلك (٦٩) ، وكثيرا ما وشت به عبارته واشارت الى اعتماده على غريب ابى عبيد ، مثال ذلك :

قول الرضى فى الحديث الشريف « عائد المريض على مخرفة من مخارف الجنة حتى يرجع » : « فى هذا الكلام مجاز على التاويلين جميعا فان كان المراد المخارف جمع مخرف وهو جنى النخل فكانه عليه الصلاة والسلام شبه تعائد المريض بدخول الجنة وحقق له ذلك حتى عبر عنه - وهو بعد فى دار التكليف - بعبارة من صار الى دار الخلود ثقة له بالوصول الى الجنة وهو موضع المجاز ، وان كان المراد بالمخارف جمع مخرفة وهى الطريق ، فموضع المجاز انه عليه الصلاة والسلام جعل عائد المريض كالماشى فى طريق يفضى به الى الجنة .. »

---

(٦٨) السابق ٧١ ، ٧٢ .

(٦٩) انظر على سبيل المثال المجازات النبوية ص ٢٨٩ ، ٢٩٨ حيث صرح الشريف الرضى بالاخذ عن ابى عبيد .

وهذان التاويلان اللذان اشار اليهما فى صدر كلامه انما يرجعان بلا ريب الى ابى عبيد فى غريب الحديث (٧٠) .

انه ليس ادل من تعلق الغرابة بالمعنى المجازى من تلك المواضع العديدة التى فسرها ابو عبيد على انها من غريب الحديث وذكرها الشريف الرضى باعتبارها من المجاز النبوى ، ونشير الى اهم هذه المواضع فيما يأتى :

- قوله عليه الصلاة والسلام « لان يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلىء شعرا » غع ٣٦/١ والمجازات ١١١
- « « « « « « لو نظرت اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما » غع ١٤٢/١ والمجازات ١١٤
- « « « « « « لا يصلى الرجل وهو زناء » غع ١٤٩/١ والمجازات ١٢٤
- « « « « « « اغبطت عليه الحمى » غع ١٥٧/١ والمجازات ٢٩٨
- « « « « « « الرحم شجنة من الله » غع ٢٠٩/١ والمجازات ١٣٨
- « « « « « « فى صفة الخوارج « يمرقون من الدين كما يمرق السهم » غع ٢٩٧/١ والمجازات ٣٣
- قوله ﷺ « لعلكم تدركون اقواما يؤخرون الصلاة الى شرق الموتى » غع ٣٢٩/١ والمجازات ص ٣٠١
- « « « « لا ترفع عصاك عن اهلك » غع ٣٤٤/١ والمجازات ص ٣٠٢
- « « « « لا تعضية فى ميراث » غع ٧/٢ والمجازات ص١٦٧
- « « « « دع داعى اللبن » غع ٩/٢ والمجازات ص ٢٥٠

---

(٧٠) انظر غريب الحديث لابى عبيد ٨١/١ والمجازات النبوية ١١٢ وانظر امثلة اخرى فى غريب الحديث ٤/١ والمجازات ١٠٧ (ان منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة) ، وغريب الحديث ١٤٢/١ والمجازات ١٢٤ (لو نظرت اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما) .

- « » « ما نزل من القرآن آية الا لها ظهر وبطن »
غع ١٢/٢ والمجازات ص ٣٥١
- « » « ان عم الرجل صنو ابيه »
غع ١٥/٢ والمجازات ص ٣٦٨
- « » « تمسحوا بالأرض فانها بكم برة »
غع ١٩/٢ والمجازات ص ٣٦٩
- « » « ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق »
غع ٢٧/٢ والمجازات ص ٣٦٠
- « » « اعطوا الركب اسنتها » غع ٦٩/٢ والمجازات ص ٣٠٦
- « » «المسلمون تتكافأ دماؤهم» غع ١٠٢/٢ والمجازات ص ١٧
- « » « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر »
غع ١٤٥/٢ والمجازات ص ٣٣٥
- « » « الايمان يمان والحكمة يمانية »
غع ١٦١/٢ والمجازات ص ٣٣٩
- « » « هدنة على دخن وجماعة على اقذاء »
غع ٢٦٢/٢ والمجازات ص ٣٤٨
- « » « المؤمن ياكل فى معى واحد .. »
غع ٢٢/٣ والمجازات ص ٣٧٥
- « » « من سره ان يذهب كثير من وحر صدره »
غع ٤٧/٣ والمجازات ص ٣٧٢
- « » « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه »
غع ٧٧/٣ والمجازات ص ٣٧٤
- « » « لعلى بن ابى طالب « انك لذوقرنيها »
غع ٧٨/٣ والمجازات ص ٩٦
- « » « العينان وكاء السه » غع ٨٢/٣ والمجازات ص ٣٧٧
- « » « اياكم وخضراء الدمن » غع ٩٩/٣ والمجازات ص ٦٩

- « « « « فى وصف السحابة « كيف ترون قواعدها وبواسقها »
غع ١٠٤/٣ والمجازات ص ٣٧٨
- « « « كـــان يتعـــــوذ مـن الأبهمـــــين »
غع ١١٩/٣ والمجازات ص ٢٨٤ (٧١)
- « « « ... الا ان يتغمـــــدنى اللـــــه برحمتـــــه »
غع ١٦٥/٣ والمجازات ص ١١٧

ان تعلق الغرابة فى الأحاديث السابقة بالمعنى المجازى لا يعنى بالضرورة ان يقتصر ابو عبيد على شرح ذلك المعنى المجازى كما فعل الشريف الرضى وانما كان يشرح ايضا بعض المفردات ببيان معانيهـــا الوضعية او المعجمية كما فعل فى شرحه للتعضية (٧/٢) وللوحـــر (٤٧/٣) ، وربما شرح معنى الصيغة الصرفية كما فى «الركب والأسنة» (٦٩/٢) ، ولكن السمة الغالبة فى الشرح انما كانت للمعنى المجازى الناشىء عن التركيب-ويعنى هذا ان الحديث الواحد قد يكون فيه مظهران من مظاهر الغرابة يتعلق احدهما بالمعنى المعجمى او الصرفى ويتعلق الثانى بالمعنى المجازى .

لقد ذكر ابو عبيد مجموعة أخرى من الأحاديث التى ترجع الغرابة فيها الى المعنى المجازى ولم نعثر عليها فى المجازات النبوية للشريف الرضى مما يعنى ان الشريف انما كان يعمد الى عنصر الانتقاء والاختيار مما ذكره ابو عبيد ، ويؤكد فى الوقت نفســه اهمية كتاب ابى عبيد فى الدراسة البلاغية للحديث النبوى الشريف ، فمن ذلك :

- قوله ﷺ عن الرقبة « انها هادية الشاة » غع ٢٥٠/١
- قوله ﷺ عن الهرة « انما هى من الطوافين عليكم » غع ٢٧٠/١
- قوله ﷺ للمستحاضة « تلجمى وتحيضى ... » غع ٢٧٩/١ (٧٢)

---

(٧١) لقد أورد الشريف الرضى « الأبهمين » بالباء بدلا من الياء والصواب ما ذكره ابو عبيد بدليل ماذكره الصحاح محتجا بما أورده ابو عبيد وقد فسر الأبهمين بانهما عند اهل البادية السيل والجمل الهائج وعند اهل الأمصار السيل والحريق ، انظر الصحاح ٢٠٦٥/٥ .

(٧٢) ذكر ابو عبيد ان تلجمى هنا شـــبيه بقوله استظفرى (فى الرواية الأخرى) ، ثم ذكر ان الاستظفار ماخوذ من احد شيئين : يكون من ظفر الدابـة ،

- قوله ﷺ عن الزبير « انـــه ابن عمتـى وحـــــوارى من امتى » غع ١٥/٢
- قوله ﷺ « لا يموت لمؤمن من ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم » غع ١٦/٢
- قوله ﷺ لسراقة : الا ادلك على افضل الصدقة ؟ ابنتك مردودة عليك غع ٧٥/٢
- قوله ﷺ « وتسيرون اليهم فى ثمانين غاية » (على رواية الباء) غع ٨٧/٢
- قوله ﷺ « ... وان جاءت به اورق جعدا جماليـا (بضم الجيم) غع ٩٧/٢
- قوله ﷺ « اقـــروا الطير على وكناتها وبعضهم يقـــول مكناتهـا » غع ٣٥/٢
- قوله ﷺ « نعـــم الادام الخـل » غع ١٥٢/٢
- قوله ﷺ « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين » غع ١٧٣/٢
- قيل له عليه الصلاة والسلام « ان صـــاحبا لنـــا اوجب فقـــال : مـــروه فليعتق رقبـة » غع ٢١١/٢ (٧٣)
- نهى صلى الله عليه وسلم عن ذبائح الجن غع ٢٢١/٢
- قوله عليه الصلاة والسلام « لا تصـــروا الابـــل والغنـــم ... » غع ٢٤٠/٢
- قوله ﷺ « فى العقيقـــة عن الغـــلام شـــاتان .. » غع ٢٨٤/٢

=

وانه شبه اللجـــام بالثغر لانه يكون تحت ذنب الدابة ، ويكون من الثغر والثغر للسباع كما يقال للذاقة حياؤها وانما هذه كلمة استعيرت كما استعارها الاخطـل فى قوله :

جزى الله فيها الاعورين ملامة وفروة ثغر الثورة المتضاجم

فقال ثغر البقرة وانما هى للسباع فكذلك نرى استثفرى اخذه من هذا وانما هو كناية عن الفرج (٢٨٠/١) .

(٧٣) فى هذا المثال مجاز عقلى علاقته السببية لأن الذى يوجب النار انما هو السيئة وقد فسر ابو عبيد الحديث على انه ارتكب كبيرة أو خطيئة موجبـة للنـــار .

ـ ما جاء فى حديث ام زرع من قول الاولى :
زوجى لحم جمل غث لا ســـــهل فيرتقى ولا ســـــمين فينتقى »
غع ٢٨٩/٢
وقول الرابعة : زوجى كليل تهامة لا حر ولا قر » غع ٢٩٢/٢
وقول السابعة : زوجى ان دخل فهد وان خرج اسد» غع ٢٩٥/٢
وقول الثالثة : زوجى المســـس مس ارنب والريـــح ريـــح زرنب
غع ٢٩٦/٢
وقول التاسعة : زوجى رفيع العماد ، طويل النجاد عظيم الرماد ، قريب
البيت من الناد » غع ٢٩٨/٢
وقول الحادية عشرة « ٠٠ مـــلء من شـــحم عضـــدى ٠٠ »
غع ٣٠٠/٢ (٧٤)
ـ قوله ﷺ «انى لاكره الرجل شاثرا فريص رقبته» غع ١٩/٣
ـ قوله ﷺ « فى لبن الفحل انه يحرم » غع ٣٤/٣
ـ ما جاء فى حديث قيلة « لا تخبرها فتتبع اخا بكر بن وائل فى سمع
الارض وبصرها » غع ٥٥/٣
ـ قوله ﷺ «انظروا الى فلان اتانا بفصيل مخلول» غع ٨٤/٣
ـ قوله ﷺ « لا تمككوا غرماءكم » غع ١٢٢/٣
ـ قوله ﷺ « الحج المبرور ليس له ثواب الا الجنة قيل وما بره يا رسول
الله قال : العج والثج » غع ١٤٠/٣
ـ قوله عليه الصلاة والسلام : « ان من اكبر الكبائر ان
تقاتل اهل صفتك وتبدل سنتك ٠٠ » غع ١٧٤/٣
ـ قوله عليه الصلاة والسلام « لا تغار التحية غع ١٧٥/٣
ـ قوله عليه الصلاة والسلام « الا جلس فى حفش امه فينظر اكان
يهـدى اليه شىء » غع ١٩٥/٣

ان هذه الاحاديث الشريفة التى سبق ابو عبيد ببيان ما تضمنته من معان مجازية توضح بما لا يدع مجالا للشك ان خفاء المعنى السياقى للعبارة (فى المجاز العقلى والكناية) او المعنى المجازى للكلمة هو

---

(٧٤) انظر فى هذه المجازات الحديث النبـوى من الوجهة البلاغيـة للدكتور عز الدين السيد ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣١٧ ٠

المسئول عن عن اعتبار هذه الاحاديث من الغريب ، ويتضح من تناول ابى عبيد لبعض هذه الاحاديث ان الغرابة كانت على عهد الصحابة رضوان الله عليهم والرسول ﷺ لا يزال بين ظهرانيهم يعلمهم الكتاب والحكمة ، وربما كان الغرض من ذلك هو اثارة انتباههم للمعنى الذى يريد الرسول ﷺ ان يثبته فى اذهانهم ، ومن اجل ذلك فقد كان عليه الصلاة والسلام يعمد الى ابتكار اساليب جديدة تستعمل فيها الكلمات فى غير المألوف من سياقاتها ، وهنا كان الصحابة يسألون عن معنى التركيب الجديد فيجيبهم ﷺ موضحا ومبينا ، ومن امثلة هذا النوع « خضراء الدمن » ، « الحج المبرور » ، « همز الشيطان ونفثه ونفخه » .

ان القول بالغرابة فى تلك الاستعمالات المجازية التى اوردها ابو عبيد لا يعنى بالضرورة ان كل المجازات النبوية من قبيل الغريب ، اذ ان الحكم بذلك يتوقف على وضوح العلاقة بين المعنيين الوضعى والاستعمالى او المجازى وعلى مدى قلة او كثرة استعمال التعبير فى المعنى المراد .

ان كثيرا من الاحاديث النبوية الاخرى التى اوردها ابو عبيد يتضمن الوانا من المجاز ، بيد ان مناط الغرابة لا يتعلق الا بالمعنى المعجمى لبعض الالفاظ الواردة فيها ، وهنا كان ابو عبيد يكتفى بشرح الالفاظ الغريبة معجميا تاركا لمن يأتى بعده مهمة الحديث عن الوجوه البيانية التى تتضمنها ، من ذلك على سبيل المثال :

- فى قوله ﷺ : « ان منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة » ، اكتفى ابو عبيد ببيان المعنى المعجمى للفظ الترعة ونقل فى ذلك ثلاثة آراء : هى ان تكون بمعنى الروضة على المكان المرتفع ، او بمعنى الدرجة او بمعنى الباب ، ثم اتى الشريف الرضى بعد ذلك ليقول : « وفى هذا الكلام مجاز على الاقوال الثلاثة » ، ثم يشرح المجاز فى كل وجه من هذه الوجوه (٧٥) .

---

(٧٥) انظر فى تناول ابى عبيد ، غـريب الحديث ٤/١ ، وفى شرح الرضى للمجاز المجازات النبوية ١٠٦ ، ١٠٧ .

- فى قوله عليه الصلاة والسلام : « ان الاسلام ليارز الى المدينة » ..
فقـــد شرح ابو عبيد المعنى المعجمى للفعل « يأرز » ، ثم جاء الشريف الرضى ليوضح أن فى الكلام استعارة وان المراد هو ان الاسلام يأوى الى المدينة كما تأوى الحية الى جحرها (٧٦) .

المظهـر الرابـع
الغـرابة فى المعنى العام (وجه الحديث)

المراد بالمعنى العام هنا هو ما يطلق عليه ابو عبيد « وجـه الحديث » (٧٧) ، وقد يسمى ايضا بالمعنى الاجتماعى ويقصـد به ذلك المعنى الذى يســتفاد من النص أو المقال مضافا اليـه مراعاة الظرف الذى قيل فيه ، اى انه يستفاد من جملة العناصر اللغوية بما تدل على معان وظيفية عديدة كالمعنى الوضعى او المعجمى والمعنى الصرفى او الاشتقاقى والمعنى النحوى أو التركيبى ، مضافا الى ذلك كله العناصر غير اللغوية ، التى يطلق عليها المقـام او الحـــال ، ومما ينبغى ان يراعى فى وجه الحديث ايضا ما تدل عليه الأحاديث الأخرى ذات العلاقة بموضوعه اذ تلقى هذه الأحاديث ضوءا كاشـفا لا يمكن اغفاله من منطلق ان الأحاديث الشريفة كلها تتضافر لبيـان مقاصد الشريعة ، ولما كان عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهـوى

---

(٧٦) انظر ابو عبيد ، غريب الحديث ٣٧/١ والمجازات النبوية ص ١٠٨ وانظر ايضا فى المواضع المشابهة :

أبو عبيد جـ ١ / ص ١٣ ، ٢٢ ، ٦٥ ، ١٧٥ ، ٢٥٣ ، جـ ٢ / ص ١ ، ٢٠ ، ١٤١ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ جـ ٣ / ص ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ٢٠١ ، ويقابلها على الترتيب فى المجازات النبوية ٢١٦ ، ٢٥٩ ، ١١٢ ، ٢٠ ، ١٤٣ ، ٢٥٧ ، ٢٧١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٨١ ، ١٨٧ ، ٢٩٠ ، ١٥٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ .

(٧٧) انظر مثلا غريب الحديث لأبى عبيـد ٣١٦/١ « وهـذا عندى وجـه الحديث » او قوله فى جـ ٢ ص ١٤ « ولكل وجه غير صاحبه » ، ولفظ الوجوه اذا اطلق فى كتب علوم القرآن فان المقصود به المعنى المراد من اللفظ فى الموضع المعين ، وغالبا ما يضاف اليه لفظ النظائر فيقال « الوجـــوه والنظائر » فى القرآن الكريم واقدم ما وصل الينا فى هذا الموضوع كتاب مقاتل بن سليمان البلخى (١٥٠ هـ) « الوجـوه والنظائر فى القرآن الكريم » .

استلزم ذلك ايضا عدم التناقض بين الاحاديث وأى القرآن ، فاذا ورد من ذلك ما يوهم ظاهره التناقض استلزم ذلك من علماء الغريب ان يتناولوا الحديث فى ضوء الاحاديث الاخرى وأى القرآن لدفع الشبهة وبيان المعنى المراد .

لقد اشار ابن قتيبة — وهو فارس الحلبة فى هذا الميدان — الى جهود ابى عبيد فى هذا المجال او — بعبارة اخرى — حول هذا المظهر من مظاهر الغرابة وقد راى ان تناول هذا الجانب من جوانب الغرابة احرى بان ينشغل به العلماء ، فقال : « ولو يسر (العالم) للصواب نعلم ان اوجب عليه من (تناول) حديث اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ... ان يسال عن قوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » ، ليعلم تاويله فلا يعلق بقلبه الهول بالقدر ، وعن قوله ﷺ : « الحياء شعبة من الايمان » ، كيف جعل الحياء وهو غريزة شعبة من الايمان وهو عمل ، ولم سمى الغراب فاسقا ، والغراب غير مكلف ولا مامور ، ولم تعوذ صلى الله عليه وسلم فى وقت من الفقر وسال الله غناه وغنى وغنى مولاه ، وسال فى وقت (اخر) ان يحييه مسكينا وان يحشره فى زمرة المساكين ، وقال : الفقر احسن بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس ، ليعلم معنى الحديثين فلا يتوهم على نقلة الحديث ما يشنع به ذو الاهواء عليهم فى مثل هذه الاحاديث من حمل الكذب والتناقض حتى قال بعضهم : « يروى احاديث وتروى نقضها » ، وعن قوله : « لعن الله السارق ، يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده » واهل العلم مجمعون على انه لا يقطع مما دون ثمن المجن .. فاذا احتج عليهم محتج بهذا الحديث (المجن) عارضوه بذلك الحديث مع ظاهر الكتاب .. ، وان يسال عن قوله : « ضرس الكافر فى النار مثل احد ، وكثافة جلده اربعون ذراعا بذراع الجبار » ، وعن قوله : « لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن .. » (٧٨) .

وبعد ان اورد ابن قتيبة امثلة اخرى لهذا النوع اشار الى جهود

---

(٧٨) غريب ابن قتيبة ١/١٥٠ ، وقد تناول هذا ايضا الطحاوى فى كتابه « شرح معانى الآثار » .

ابى عبيد ، فقال : « وقد كان تعرف هذا واشباهه عسيرا فيما مضى على من طلبه لحاجته الى ان يسأل عنه اهل اللغة ، ومن يكمل منهم ليفسر غريب الحديث وفتق معانيه واظهار غوامضه قليل ، فاما زماننا هذا فقد كفى حملة الحديث فيه مؤنة التفسير والبحث ما الفه ابو عبيد القاسم بن سلام ثم بما القناه فى هذا بحمد الله » (٧٩) .

ان ما ذكره ابن قتيبة يؤكد ان المعنى العام الذى يدل عليه الحديث قد يشكل مظهرا من مظاهر الغرابة ، بل يعتبره المظهر الجدير برعاية العلماء وتناولهم ، وبصفة خاصة اذا كان هذا المعنى مما يوحى ظاهره بالتناقض مع حديث آخر او مع اصل من الاصول المقررة عقلا او شرعا ، كما يدل كلامه على ان لأبى عبيد فى هذا الميدان جهدا مشكورا .

ولقد اكدت الدراسة التحليلية لكتاب غريب الحديث لابى عبيد صحة ما ذهب اليه ابن قتيبة اذ وجدناه يتناول كثيرا من الاحاديث التى لا يعترى كلماتها — سواء من النواحى المعجمية او الاشتقاقية او المجازية — اى نوع من الغموض يبرر القول بغرابتها ، مما يتيح القول بأن الغرابة انما تكمن فى معناها العام او فى وجه الحديث كما يسميه ابو عبيد ، من ذلك مثلا :

— وقال ابو عبيد فى حديث النبى عليه الصلاة والسلام : « ان الله تبارك وتعالى جعل حسنات ابن آدم بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف » ، وقال الله عز وجل : « الا الصوم فان الصوم لى وانا اجزى به » ، قوله : الصوم لى وانا اجزى به « قد علمنا ان اعمال البر كلها لله تعالى وهو يجزى بها فنرى — والله اعلم — انه انما خص الصوم بأن يكون هو الذى يتولى جزاءه لأن الصوم لا يظهر من ابن آدم بلسان ولا فعل فتكتبه الحفظة وانما هو نية بالقلب وامساك عن حركة المطعم والمشرب والنكاح ، فيقول (عز وجل): فانا اتولى جزاءه على ما احب من التضعيف وليس على كتاب كتب له ، ومما يبين ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « ليس فى

---

(٧٩) السابق ، نفس الصفحة .

الصوم رياء » وذلك ان الاعمال كلها لا تكون الا بالحركات الا الصوم خاصة فانما هو بالنية التى خفيت على الناس ، فاذا نواها فكيف يكون هناك رياء ، هذا عندى - والله اعلم وجه الحديث (٨٠) .

ان ابا عبيد هنا لم يتناول هذا الجزء من الحديث بالشرح لغموض فى معنى بعض الفاظه وانما لدفع ما قد يتوهم من ظاهر لفظه من ان بعض اعمال البر ليست لله ، وهذا هو موطن الغرابة الذى جعل ابا عبيد يورد الحديث ليوضحه وليبين السبب الحقيقى فى تخصيص الصوم بكونه لله تعالى (٨١) .

- وقال ابو عبيد فى حديث النبى ﷺ : « اذا تمنى احدكم فليكثر فانما يسأل ربه » .

قال ابو عبيد : قد جاءت فى هذا الحديث الرخصة فى التمنى عن النبى ﷺ وهى فى التنزيل نهى ، قال تعالى : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » (النساء ٣٢) ، ولكل وجه غير وجه صاحبه ، فأما التمنى المنهى عنه فان يتمنى الرجل مال غيره ان يكون ذلك له ويكون صاحبه خارجا منه على وجه الحسد من هذا

---

(٨٠) غريب الحديث لأبى عبيد ٣٢٥/١ ، هذا وقد ذكر ابو عبيد وجها آخر للحديث نقله عن سفيان بن عيينة وخلاصته انه لما كان الصوم هو الصبر وكان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب فان ثواب الصبر ليس له حساب يعرف من كثرته ، ثم ذكر أبو عبيد انه مما يقوى هذا الرأى ما جاء فى تفسير السالكين من أنها تعنى الصائمين اذا الصائم بمنزلة السالك ليس يتلذذ بشىء .

(٨١) جاء فى تحرير التحبير لابن ابى الاصبع (ص ١٥٣) ان فى الحديث مبالغة مدمجة تتمثل فى كون الحق « أضاف الصيام الى نفسه دون سائر الاعمال لقصد المبالغة فى تعظيمه وتشريف واخبر عز وجل انه يتولى مجازاة الصائم بنفسه ، مبالغة فى تعظيم الجزاء وشرفه ، ثم ذكر ان الاعمال كلها لله سبحانه ولعبده باعتبارين : اما كونها للعبد فلأنه يثاب عليها ، اما كونها لله فلأنها عملت لوجهه الكريم ومن أجله ، فتخصيص الصيام من بينها بالاضافة الى الرب سبحانه وتخصيص ثوابه بما خصصه به انما كان للمبالغة فى تعظيمه والحض عليه ، وقد اعتبر بعض الباحثين ذلك لونا من الوان البديع ! ، انظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغية لعز الدين السيد ص ٢٨٩ .

والبغى عليه وقد روى فى بعض الحديث ما يبين ذلك ، حدثنى كثير ابن هشام قال : مكتوب فى الحكمة او فيما انزل الله على موسى عليه السلام لا تتمن مال جارك ولا امراة جارك » ، فهذا المكروه الذى الذى فسرنا واما المباح فان يسال الرجل ربه فهذه امنيته من امر دنياه وآخرته . قال ابو عبيد : فجعل التمنى هنا المسالة وهى الامنية التى اذن الله فيها لان القائل اذا قال : ليت الله يرزقنى كذا وكذا فهو تمنى ذلك الشىء ان يكون له الا تراه يقول : « واسالوا الله من فضله » ، وهذا تاويل الحديث الذى فيه الرخصة .

من تناول ابى عبيد لهذا الحديث يتضح ان ليس هناك تناقض بين المعنى العام الذى يستفاد من الحديث والمعنى المستفاد من الآية الكريمة ، كما يتضح ايضا ان الغرابة هنا تتعلق بمعنى الحديث اجمالا لا بمعنى الالفاظ المفردة ولا بتركيب الجملة .

ان هناك الى جانب تلك الاحاديث التى يخفى وجهها نظرا لوجود ما يوهم التناقض مع اصل مقرر عقلا او شرعا كما فى المثال الأول ، او مع آية كريمة كما فى المثال الثانى احاديث اخرى يخفى معناها العام نظرا لأن المقام الذى قيلت فيه قد غاب عنا ، ومن ثم اصبحنا فى حاجة الى تفسيرها فى ضوء استحضار ظروف السياق الذى قيلت فيه ومن امثلة ذلك :

- قوله عليه الصلاة والسلام فى لفظة « مكة » : « لا تحل لقطتها الا لمنشد » ، قال ابو عبيد : اما قوله : لا تحل لقطتها الا لمنشد انما معناه لا تحل لقطتها كانه يريد البتـه فقيل له : الا لمنشد ، فقال : الا لمنشد وهو يريد المعنى الاول ، قال ابو عبيد .. وذلك كالرجل يقول : والله لا فعلت كذا ، ثم يقول : ان شاء الله وهو لا يريد الرجوع عن يمينه ولكنه لقن شيئا فلقنه ، فمناه انه ليس يحل للملتقط منهـا الا انشادها فاما الانتفاع بها فلا .

لقد اورد ابو عبيد رايين آخرين فى معنى الحديث ولكنه لـم يرتض اياً منهما ، اما الأول فيعتمد على تفسير المنشد بانه الطالب لها وقد رد ابو عبيد على ذلك بانه مجاف لروح العربية اذ لا يجوز ان يقال للطالب منشد وانما هو ناشد ، واما الثانى فانه اريد بقوله :

« الا لمنشد » انه ان لم ينشدها فلا يحل له الانتفاع بها فاذا انشدها ولم يجد طالبها حلت له ، وقد اعترض ابو عبيد على هذا الراى بانه لو كان هذا هكذا لما كانت مكة مخصوصة بشيء دون البلاد لان الارض كلها لا تحل لقطتها الا بعد الانشاد - ان حلت - وبعض الناس لا يحلونها (٨٢) .

ومن الاحاديث الاخرى التى اوردها ابو عبيد ولم يوضح فيها الا المعنى العام او وجه الحديث ما يلى من اقواله عليه الصلاة والسلام :

- « لا تماروا فى القرآن فان مراء فيه كفر » غع ٢/١١

- « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه او ينصرانه »(٨٣) غع ٢/٢١

---

(٨٢) انظر غريب ابى عبيد ٢/١٣٢ .

(٨٣) فى هذا الحديث اختلفت وجهتا ابى عبيد وابن قتيبة فبينما ذهب ابو عبيد الى ان وجه الحديث والمراد به هو انه ما من مولود يولد الا على الاسلام ، وان هذا قد كان فى بداية الدعوة قبل ان تنزل الفرائض ، فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم ان ابناء الكفار يولدون على دين آبائهم ، وقد اخذ هذا عن محمد بن الحسن وقد نقل عن عبد الله بن المبارك انه عندما سئل عن تاويل هذا الحديث قال : تاويله الحديث الاخر وهو ان النبى سئل عن اطفال المشركين فقال : الله اعلم بما كانوا عاملين يذهب الى انهم يولدون على ما يصيرون اليه من اسلام او كفر ، فمن كان فى علم الله ان يصير مسلما فانه يولد على الفطرة ، ومن كان فى علمه انه يموت كافرا مات على ذلك » . .

لقد رد ابن قتيبة هذين الوجهين واعتبرهما غلطا من ابى عبيد او بالاحرى ممن اخذ عنه وذكر ان المراد انه ما من مولود يولد الا على « الاقرار بالله وهو الميثاق الذى اخذه الله عليهم حين اخرجهم من ظهر آدم امثال الذر فالناس جميعا وان اختلفوا فى اديانهم ونحلهم عالمون بان الله عز وجل خالقهم ، والفطرة ابتداء الخلقة » غريب الحديث لابن قتيبة ١/٣٥٠ ، وانظر ايضا ما نقله محقق النسخة الهندية لغريب ابى عبيد عن اصلاح الغلط لابن قتيبة (هامش ٤ ص ٢٢ من الجزء الثانى لغريب ابى عبيد) .

- « .. كيف يستخدمه وهو لا يحل له ؟ ام كيف يورثه وهو لا يحل له »(٨٤) غع ٢/٨١

- « .. قد كانت احداكن تمكث في شر احلاسها في بيتها الى الحول فاذا مر كلب رمته ببعرة ثم خرجت ، املا اربعة اشهر وعشرا » (٨٥) غع ٢/٩٦

- « من ادخل فرسا بين فرسين فان كان يؤمن ان يسبق فلا خير فيه ، وان كان لا يؤمن ان يسبق فلا بأس به غع ٢/١٤٣

- « انظرن ما اخوانكن فان الرضاعة من المجاعة » غع ٢/١٤٩

- « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها اربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » غع ٢/١٥٧

- قال بعض الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام : « اني لأعمل العمل سره فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه الصلاة والسلام : اجران اجر السر واجر العلانية » غع ٢/٢١٧

- حديثه ﷺ في المخنث الذي كان يدخل على ازواجه فقال (المخنث) لعبد الله بن امية اخي ام سلمة : ان فتح الله عليكما الطائف غدا دللتك على ابنة غيلان فانها (**تقبل باربع وتدبر بثمان** » فقال عليه الصلاة والسلام : لا يدخل **هذا عليكن** » غع ٢/٢٥٩

---

(٨٤) فسر ابو عبيد وجه الحديث في الجزء الذي نقلنا منه ، اما صدر الحديث فقد اشتمل على كلمة غريبة هي مجح بمعنى الحامل المقرب ، ويدل هذا على ان الحديث يشتمل على مظهرين من مظاهر الغرابة ، يتعلق الأول بالمعنى المعجمي والثاني بوجه الحديث .

(٨٥) لقد شرح ابو عبيد هنا المقام الذي قيل فيه الحديث وهو ان المرأة كانت في الجاهلية تعتد سنة على زوجها فاذا انقضى الحول خرجت ورمت كلبا ببعرة لتبين ان اقامتها حولا بعد زوجها اهون عليها من بعرة يرمى بها كلب ، وقد استنكر الرسول ﷺ عدم الصبر اربعة وعشرا وقد كانت تصبر فيما قبل حولا كاملا وتراه هينا .

- في حديث النبي ﷺ ان المهـــاجرين قالوا : يا رســـول الله ان الانصار قد فضلونا ، آوونا ، وانهم فعلوا بنـا وفعلوا ، فقـــال رســـول الله ﷺ : الستم تعرفون ذلك لهم ؟ قالـــوا : نعم ، قال : فان ذلك » غع ٢٧١/٢

في هذا الحديث والذي قبله يلاحظ ان الغرابة في وجه الحديث قد نشات من ايجاز العبارة حيث حذف تمييز العدد في قوله : تقبـل بأربع وتدبر بثمان اى بأربع عكن في بطنها تقبل بهن والثمـــانى هي اطراف هذه العكن الاربع ، اما في الحديث الثاني فان ايجـازه في الاشارة الى مفهوم من السياق ، يقول ابو عبيد (٢٧١/٢) وهذا اختصار من كلام العرب وهو من افصح كلامهم اكتفى منه بالضـــمير (المراد اسم الاشارة) لانه قد علم معناه وما اراد به القائل ، وقـــد ذكر ابو عبيد امثلة عديدة لهذا النوع من الاختصار من القرآن الكريم والشعر وكلام العرب وعقب على ذلك بقوله : وهو عندنا اعرب الكلام وافصحه (٨٦) .

- « من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقـــاءه » غع ١/٣

- « ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى : اذا لم تســـتحى فاصنع ما شئت » غع ٣١/٣

في هذا الحديث الشريف نجد لونا اخر من مظاهر الغرابة في وجه الحديثاذ يتعلق ذلك باستخدام اسلوب الامر في مجال التهديد والزجر ، ولعل الذى دفع ابا عبيد الى تناوله هو ان بعض النـــاس قد اخذه على ظاهره ورأى ان معناه « ان يريد الرجل ان يفعل الخير فيدعه حياء من الناس كانه يخاف مذهب الرياء ، يقول : فلا يمنعك الحياء من المضى لما اردت » قال ابو عبيد » وهذا الحديث ليس يجيء سياقه ولا لفظه على هذا التفسير .. وانما وجهه عندى انه اراد بقوله : اذا لم تستحى فاصنع ما شئت انما هو : من لم يستحى صنع ما شاء

---

(٨٦) غريب ابى عبيد ٢٧٠/٢ .

على جهة الذم ، ولم يرد بقوله فاصنع ما شئت ان يأمره بذلك امرا ، وهذا جائز فى كلام العرب ان تقول : افعـــل كذا وكذا وليس بامر (حقيقى) ولكنه امر بمعنى الخبر » ، ثم يختم ابو عبيد بحثه فى هذا الموضوع بقوله : « وانما المراد من الحديث انه يحث على الحياء ويأمر به ويعيب تركه » وقد ذهب ابن قتيبة وابن فارس الى ما ذهب اليه ابو عبيد فى تفسير هذا الحدث وما اشبهه(٨٧) .

- قضى ﷺ « ان الخراج بالضمان »(٨٨) غ ٣٧/٣
- قوله ﷺ « ليس على مسلم جزية »(٨٩) غ ٣٨/٣
- قوله ﷺ «المكيال مكيال اهـل المدينة والميزان ميزان اهـل مكة غ ٤٠/٣
- قوله ﷺ « لا ياخذ احدكم نباع اخيه لاعبا جادا » غ ٦٦/٣
- قوله ﷺ « ما تعدون الرقوب فيكم ؟ قالوا : الذى لا يبقى له ولد قال (عليه الصلاة والسلام) : بل الرقوب الذى لم يقـــدم من ولده شـــيئا » غ ١٠٨/٣

لقـــد ذكر ابو عبيـــد ان ما ذهب اليه الصـــحابة فى اجابتهم

---

(٨٧) بايجاز وبعض تصرف عن غريب ابى عبيد ٣٢/٣ ، وقد تناول ابن قتيبة هذا النوع وما شاكله واطلق عليه « باب مخالفة ظاهر اللفظ معنـــاه وجعل من انواع ذلك ان ياتى الكلام على لفظ الامر وهو تهديد ومثل له بقوله تعالى « اعملوا ما شئتم (تاويل مشكل القرآن ٢٧٥ ، ٢٨٠) .

وقد ذكر ابن فارس فى الصاحبى (ص ٢٩٩) ان الأمـــر يحتمل معانى عديدة ذكر منها الوعيد ومثل له بالآية الكريمة « اعملوا ماشئتم » وبالحديث الشريف الذى معنا ، وطبيعة الأمر فى الآية الكريمة هى التى انبثق منها قدر هائل من التهديد ، ذلك التهديد الذى « ينحدر فى السياق من مصدر بعيد عن الصيغة » كما يقول الدكتور ابو موسى (دلالة التراكيب ص ٢٦٥) والدليل على ذلك ان نفس الصيغة « اعملوا ما شئتم » تدل على نهاية الرضا والقبول فى سياق آخر (انظر المرجع المذكور ٢٦٦) .

(٨٨) شرح ابو عبيد هذا الحديث ببيان الظرف الذى قيل فيه مستعينا بحديث آخر يروى عن شريح .

(٨٩) شرح ابو عبيد هذا الحديث ببيان الظروف التى قيل فيها كما انه قد استعان بالأحاديث المشابهة وبالظروف التاريخية التى مرت بها الأمة ، حتى ان بنى امية لم يكونوا يسقطون الجزية عمن يســـلم من أهل الســـواد . انظر فى احتجاج ابى عبيد لما يراه وجها للحديث ، غريب ابى عبيد ٣٨/٣ .

صحيح .. فكان مذهبه عندهم على مصائب الدنيا فجعلها النبى عليه الصلاة والسلام على فقدهم فى الآخرة ، وليس هذا بخلاف ذلك فى المعنى **ولكنه تحويل** الموضع الى غيره وهذا نحو الحديث الآخر : ان المحروب من حرب دينه ، ليس هذا ان يكون من سلب ماله ليس بمحروب ، انما هو على تغليظ الشان به ، يقول : انما الحرب الأعظم ان يكون فى الدين وان كان ذهاب المال قد يكون حربا .. » ويتضح من هذا ان الغرابة هنا قد نشات عن تحويل الموضع الى غيره اى اكتساب اللفظ مفهوما جديدا بالاضافة الى مفهومه القديم للاشارة الى ان المفهوم الجديد هو الجدير بالمراعاة .

- قوله ﷺ فى الضالة اذا كتمها (من وجدها) « فيها قرينتها مثلها ان اداها بعدما كتمها ، او وجدت عنده فعليه مثلها(٩٠) غ ٣/١٧٢
- قوله عليه الصلاة والسلام « من منحه المشركون ارضا فلا ارض له » غ ٣/١٧٢
- قوله عليه الصلاة والسلام « لمن كسا امراة قبطية » مرها فلتتخذ تحتها غلالة لا تصف حجم عظامها » غ ٣/١٧٩
- قوله ﷺ لما فتح الله عليه مكة « لا تغزى قريش بعدها » ٣/١٩٠
- قوله ﷺ « ليس منا من غشنا » غ ٣/١٩١
- قوله ﷺ حين ندب الناس الى الصدقة فقيل له : قد منع ابو جهم وخالد بن الوليد والعباس - عم النبى ﷺ - فقال : اما ابو جهم فلم ينقم منا الا ان اغناه الله ورسوله من فضله ، واما خالد فان الناس يظلمون خالدا ، ان خالدا قد جعل رقيقه ودوابه حبسا فى سبيل الله ، واما العباس فانها عليه ومثلها معها » غ ٣/١٩٣

ان تناول ابى عبيد لهذه الاحاديث لم يكن ابدا من اجل خفاء

---

(٩٠) ذكر ابو عبيد ان رد الضالة ومثلها معها انما هو على وجه العقوبة واستشهد لرايه بما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذكر ان الحكام فى ايامه لا ياخذون بهذا . انظر غريب ابى عبيد ٣/١٥٢ .

او غرابة المعانى المعجمية او الصرفية للكلمات ولا من اجل استعمالها فى غير المتوقع من السياقات استعمالا مجازيا وانما من اجل خفـــاء وجهها او معناها العام وقد كان هذا لواحد من الأسباب الآتيه : ـ

١ ـ دفع ما قد يتوهم منه تناقض معنى الحديث ـ ظاهريا ـ مـع اصـل من الأصـــول المقررة عقلا او شرعا كمـــا فى الحديثين الأول والثانى على سبيل المثال .

٢ ـ كون معناها الاجتماعى غير واضح بسبب ما غيب عنـــا من ظروف السياق او المقام الذى قيلت فيه كما فى المثال الثالث .

٣ ـ كون عبارة الحديث موجزة مختصرة كما فى حديث الانصـــار وحديث ام قيـــلان .

٤ ـ استخدام بعض الأساليب على خلاف ظاهرها كما فى قوله ﷺ **اذا لم تستحى فاصنع ما شئت** .

٥ ـ اذا كان فى الحديث « تحويل الموضع الى غيره » كما يقـــول ابو عبيد ، وذلك عندما يريـد الرســـول لفت نظر المسـلمين بتحويل الدلالة من المعنى القديم الى معنى جديد هو الاولى بالاعتبار كما فى الحديث الخاص بـ « الرقوب » .

التفاوت فى مظاهر الغـرابة :

لقد ثبت من الدراســة التحليلية لمـادة الاحاديث التى اعتبرها ابو عبيد من الغريب ان الغرابة صفة تلحق بالالفاظ لا من اجل تنافر حروفها او ثقلها على السمع وانما من اجل علاقتها بمعانيها ، او ـ بعبارة اخرى ـ ان الغرابة صفة للمعنى لا للفظ ، وان هذا المعنى قد يكون معجميا او مجازيا او صرفيا او عاما ، بيد ان هذه المظاهر ليست سواء من حيث ورودها ، اذ بينما تمثل الغرابة فى المعنى المعجمى اكثر المظاهر ورودا تاتى الغرابة فى المعنى العام او وجه الحديث فى المرتبة الاخيرة ، ويمثل الجدول التالى نسبة ورود كل مظهر من مظاهر المغرابة وفقا لما تناوله ابو عبيد من الاحاديث النبوية :

الغرابة فى المعنى المعجمى	٤٣٦
الغرابة فى المعنى المجازى	٥٦
الغرابة فى المعنى الصرفى	٣١
الغرابة فى المعنى العـام	٢٦
جملة الاحاديث النبوية	٥٣٩

ان هذه الدراسة الاحصائية توقفنا على نتيجة هامة هى ان غريب الحديث ليس كغريب القرآن فيما يتعلق بالغرابة فى مظهرها المجازى فيما لو سلمنا بما ذهب اليه عبد القاهر الجرجانى من ان الغالب على غريب القرآن هو المظهر المجازى او بسبب استعارة هى فيه كما يقول عبد القاهر فى دلائل الاعجاز (ص ٣٩٧) ، على ان هذه النتيجة تظل افتراضا حتى يتسنى دراسة الغريب القرآنى دراسة تحليلية فى ضوء ما ذكره هذا العالم الجليل .

مظاهر الغرابة عند ابن قتيبة والخطابى :

انه اذا كان مفهوم الغرابة عند ابى عبيد شـــاملا لهذه المظاهر الاربعة التى اوضحناها فيما سبق ، فان للمرء ان يتساءل عما اذا كان علماء الغريب الآخرون لهم نفس النظرة الى مفهوم الغرابة ، وسنكتفى هنا ببيان هذا المفهوم عند كل من ابن قتيبة والخطـــابى نظرا لأن كتابيهما فى غريب الحديث يشكلان مع كتاب ابى عبيد امهات الكتب فى هذا الفن ولأن المتأخرين قد اعتمدوا عليهما مع كتاب ابى عبيد اعتمادا كبيرا .

اما ابن قتيبة فقد صرح فى مقدمته باهمية تناول وجه الحديث

(٩١) لم يفسر ابو عبيد من هذا الحديث سوى الجزء الاخير فقط وهو قوله ﷺ فى شـــان العباس « فانهـــا عليه ومثلها معها » وذلك بتوضيح الظـــــرف الذى قيل فيه ذلك وهو ان العباس كان قد اخر الصدقة عامين انظر غريب ابى عبيد ١٩٤/٣ .

او معناه العام فى ضوء الآيات والاحاديث الاخرى حتى « لا يتوهم على نقلة الحديث ما يشنع به ذو الاهواء عليهم فى مثل هذه الاحاديث من حمل الكذب والتناقض ... » (٩٢) ، كما اشار ايضا الى اهمية ادراك المعنى المجازى فى نحو قوله ﷺ : « لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن » (٩٣) ، وكذلك المعانى الصرفية المتمثلة فى الفـرق بين الصيغ التى ترجع الى نفس المادة ، اذ راى انه يجدر بمن يتناول هذا الفن ان يسأل عن معنى قوله عليه الصلاة والسلام فى يوم الجمعة « من غسل واغتسل وبكر وابتكر واستمع ولم يلغ كفر ذلك ما بين الجمعتين » ليعرف معنى ما غسل واغتسل ويعرف الفرق بين بكر وابتكر فياخذ به ليكفر الله عنه » (٩٤) ، اما الوحدات المعجمية التى تناولها فقد تجاوزت الالف وحدة كما يقول بعض الباحثين (٩٥) ، ويدل هذا بوضوح على ان مظاهر الغرابة كما تناولها ابن قتيبة فى غريب الحديث هى نفسها تلك المظاهر التى تناولها ابو عبيد ، اى ان مفهوم الغرابة يشمل المعانى الوضعية او المعجمية وكذلك المعـانى الصرفية او الاشتقاقية بالاضافة الى المعانى المجازية والمعانى العامة او وجوه الاحاديث ويتاكد هذا من تناول ابن قتيبة للاحاديث الآتية :

١ ـ وقال ابو محمد (ابن قتيبة) فى حديث النبى ﷺ ان العركى ساله ، فقال يا رسول الله :« انا نركب ارماثا لنا فى البحر ... » قال الاصمعى : العركى صائد السمك ... والارماث خشب يضم بعضه الى بعض ، وقد فسره ابو عبيدة (غريب ابن قتيبة ٣١٠/١) .

٢ ـ قوله (فى حديث ام معبد) مشـــتين يريد داخلين فى الشتاء ، يقال : شتا القوم بالمكان اذا اقاموا به (شتاء) ، وصافوا كذلك ، ويقال اشتوا واصافوا اذا دخلوا فى الشـــتاء والصيف ... » (غريب ابن قتيبة ٤٦٥/١) .

---

(٩٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١٤٩/١ .
(٩٣) السابق ، نفس الصفحة .
(٩٤) السابق ، ١٤٨/١ .
(٩٥) مقدمة تحقيق غريب الحديث لابن قتيبة للدكتور رضا السويسى ، جدول ٦ ص ٧٠ .

٣ - وقال ابو محمد فى حديث النبى عليه الصلاة والسلام : « اجد نفس ربكم من قبل اليمن .. انما يعنى بذلك ان الانصار من اليمن وان الله نفس عنه الكرب بهم » ، ويقال انت فى نفس من امرك اى فى سعة .. (غريب ابن قتيبة ٢٩١/١) .

٤ - وقال ابو محمد فى حديث النبى ﷺ : « الحياء شعبة من الايمان » انما جعل الحياء وهو غريزة شعبة من الايمان وهو اكتساب لان المستحى ينقطع بالحياة عن المعاصى وان لم يكن له تقية فصار كالايمان الذى يقطع عنها » (غريب ابن قتيبة ٣٦٥/١) .

فى معالجة ابن قتيبة لهذه الاحاديث وما يشبهها نجد تنوعا واضحا فى مظاهر الغرابة فهو فى المثال الاول يكشف لنا غموض المعنى المعجمى لكلمة « عركى » و « ارماث » ، وفى الثانى يكشف لنا عن معنى صيغة افعل وانها تفيد الدخول فى شىء زمانا كما ورد بالحديث او مكانا كما فى قولهم انجد واتهم ، وفى المثال الثالث يوضح المعنى المجازى فى قوله عليه الصلاة والسلام : « نفس ربكم » ، وفى الرابع يوضح وجه الحديث فيزيل التناقض الظاهرى بين اعتبار الحياء وهو غريزة شعبة من الايمان وهو اكتساب .

اما الامام الخطابى فقد حذا حذو ابى عبيد وابن قتيبة ليس فى الوضع والترتيب فقط وانما ايضا فى اعتبار مظاهر الغرابة ، وقد ذكر فى مقدمة غريبه « ان الغريب من الكلام يقال به على وجهين : احدهما ان يراد به بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم الا عن بعد ومعاناة فكر ، والوجه الآخر ان يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب » (٩٦) .

ان الواضح من هذا التقسيم هو ان الخطابى يتحدث عن الغريب بوجه عام لا عن غريب الحديث النبوى على وجه الخصوص ، اللهم الا اذا حملنا كلامه على ان الرسول ﷺ كان يستعمل بعض الالفاظ ذات الطابع المحلى لبعض القبائل لمن لا يفهم غيرها او جوابا على من

---

(٩٦) غريب الحديث للخطابى ٧١/١ .

يخاطبه بمثلها كما يقول ابن الاثير (٩٧) ، ويبدو ان المعنى الذى يشير الى بعده وغموضه فى الوجه الاول من وجوه الغراية انما يشمل كلا من المعنى المعجمى والمعنى المجازى وايضا المعنى الصرفى ووجه الحديث او معناه كما يتضح فى الامثلة الآتية :

١ - وقال ابو سليمان (الخطابى) انهم كانوا معه فى سفر فاصابهم بغيش ... » ، بغيش تصغير بغش وهو المطر الخفيف . (غريب الخطابى ٧٢/١) ، فهذا تفسير للمعنى المعجمى .

٢ - وقال ابو سليمان فى حديث النبى ﷺ : « ان رجلا قال له انى لقيت ابى فى المشركين فسمعت منه مقالة قبيحة لك فما صبرت ان طعنته بالرمح فقتلته فما سوا ذلك على » قوله فما سوا ذلك على اى ما عابه ولا قال له اساءت وهو مهموز من السوء ، ومنه قوله تعالى : « ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوءى » وزن فعلى من السوء . (غريب الخطابى ٥٣٨/١) ، فهذا من ابى سليمان شرح للصيغة الصرفية « سوا » .

٣ - وقال ابو سليمان فى حديث النبى ﷺ انه قال لعدى ابن حاتم : « ان وسادك اذن لطويل عريض ، انما هو الليل او النهار » قوله : « ان وسادك اذن لعريض » معناه ان نومك اذن لطويل ، كنى بالوساد عن النوم .. ، وقد يكون فيه وجه غير هذا وهو ان يكون الوساد كناية عن موضع الوساد من راسه وعنقه .. (غريب الخطابى ٢٣٢/١) . فالشرح هنا للمعنى الكنائى للعبارة وليس للمعنى المعجمى للمفردات .

٤ - وقال ابو سليمان فى حديثه ﷺ : « اذا قال الرجل هلك الناس فهو اهلكهم » ، تاويل هذا على وجهين : احدهما ان يكون ذلك فى اصحاب الوعيد ومن يرى راى الغلاة منهم فى الخلود على الكبيرة ... ، والوجه الآخر ان يكون ذلك فى الرجل يولع بذكر الناس واحصاء عيوبهم وعد مساوئهم فهو لا يزال يقول هلك الناس وفسدت

---

(٩٧) المثل السائر لابن الاثير ٢٣١/١ .

نياتهم وقلت اماناتهم ، ويذهب بنفسه عجبا ويرى لها على الناس فضلا ، يقول : فهذا بما يناله فى ذلك من الاثم اشدهم هلاكا واعظمهم وزرا » (غريب الخطابى ١/٥٣٧) ، وفى هذا الحديث بيان للمعنى العام للحديث والأوجه الجائزة فى ذلك .

مفهوم الغرابة عند المتأخرين من علماء غريب الحديث :

لم يخرج مفهوم الغرابة عند المتأخرين ممن الفوا فى غريب الحديث عما ذهب اليه هؤلاء الاعلام الثلاثة ابو عبيد وابن قتيبة والخطابى ، بيد ان اعتماد هؤلاء المتأخرين فى تريب مادة الأحاديث الغريبة على الطريقة الهجائية جعلهم يكتفون فى شرح الغريب بالمعانى المعجمية والمجازية وربما تناولوا الصيغ الصرفية ولكن وجه الحديث او معناه العام لم يكن ليحظى منهم غالبا بالشرح او التفسير لأن معتمدهم انما هو الألفاظ المنتزعة من الاحاديث لا الاحاديث ذاتها ، وقد قرر ابن الأثير هذه الحقيقة عندما تحدث عن مادة الغريب التى اودعها كتابه « النهاية فى غريب الحديث والأثر » فقال : « وكان الغريب الوارد فيه المدرج فى اثنائه ومطاويه مفرقا فى انواع صنوفه ، مقسما فى ابواب حروفه حيث التزمنا فى وضعه التقفية على حروف المعجمو الابتداء بالأول فالأول والأقدم فالأقدم فلا تكاد تجد فيه حديثا تاما وان قل كلمه ولا اثرا متسقا وان استقل منتظمه » وما ذكره ابن الأثير هنا ينطبق على جل الكتب المؤلفة فى غريب الحديث ككتاب ابن الجوزى « غريب الحديث » ، وكتاب ابن خطيب الدهشة « التقريب فى علم الغريب » او الكتب المؤلفة فى غريبى القرآن والحديث كالغريبين للهروى ، والمجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث لأبى موسى المدينى وغيرهم .

---

(٩٨) منال الطالب ، شرح طوال الغرائب ص ٣ .

الفصل الثالث

أسباب الغرابة فى الحديث النبوى

١ ـ الاسباب الذاتية

(ا) المشترك

(ب) الاختلافات اللهجية

(ج) المعرب

(د) المجاز

٢ ـ الاسباب الخارجية

(ا) تاثير الاسلام فى اللغة
- اكساب الالفاظ معانى جديدة
- الالفاظ الاسلامية
- الفاظ الجاهلية

(ب) التطور اللغوى

(ج) اختلاف الرواة

الفصل الثالث

أسباب الغرابة فى الحديث النبوى

الغرابة وعلم المعنى :

ان استقراء المادة اللغوية التى اوردها ابو عبيد فى غريب الحديث توقف الباحث على معلومات مهمة تتعلق بأسباب الغرابة والعوامل التى تؤدى اليها ، ليس فى الحديث الشريف فقط وانما فى اللغة بوجه عام ، وقبل ان نتحدث عن تلك العوامل نود الاشارة الى ان ظاهرة الغرابة او غموض المعنى فى بعض الكلمات او العبارات او الجمل مما لا تنفرد به اللغة العربية وانما هو امر شائع فى جميع اللغات ، ويمكن ملاحظة ذلك « فى كل اللغات البشرية الطبيعية » كما يقول لواندوفسكى (١) .

ان ظاهرة الغرابة او الغموض هى المسئولة الى حد كبير عن تعدد التفسيرات للكلمة او العبارة او الجملة ـ او بمعنى ادق ـ لمعانى هذه العناصر اللغوية ، وقد اصبحت دراسة المعنى خاصة فى العصر الحديث هى المشكلة الجوهرية فى علم اللغة كما يقول اولمان (٢) .

لقد تعددت الاتجاهات فيما يتعلق بهذه الدراسة ما بين تركيز على الجانب اللغوى للمعنى او الجانب الفلسفى او الجانب الدلالى اى المعنى بمفهومه العام حيث يراعى المقال والمقام جميعا ، وكما تعددت جوانب الدرس وتنوعت مناحيه اختلقت ايضا النظريات

---

(١) لواندوفسكى ٤٠/١ ، والمراد باللغات الطبيعية ، تلك اللغات البشرية التى يتكلمها الناس جميعا على نحو طبيعى لا صناعى ، ويقابل اللغة الطبيعية اللغة الصناعية التى تصطلح عليها طائفة معينة كلغة الكمبيوتر ولغة الاسبرانتو ، ولغة المصطلحات العلمية مثلا .

(٢) دور الكلمة فى اللغة ص ٦١ .

والمناهج التى يتناول بهـــا - او على ضوئها - العلماء مشـــكلات المعنى (٣) .

وفيما يتعلق بالمعنى ومشكلاته فى اللغة العربية فانه لا يمكن بحال اغفال ذلك الجهد الرائع الذى بذله علمـــاء الغريب ، وفى مقدمتهم ابو عبيد فى كتابه « غريب الحديث » ، ذلك انه لم يقتصر فيه على ازاحة الغموض او تناول المعانى فى الالفاظ المفردة وانما تجاوز ذلك الى الحديث عن المعانى المجازية فى العبارات ، وعن المعانى العامة للنصوص ، وهـــذه الانواع الثـــلاثة (المفردات - العبارات - الجمل او النصوص) تشكل موضوعات علم الدلالة او علم المعنى فى الدراسات اللغوية الحديثة (٤) ، وبهذا يتأكد لنـا ســـبق الافذاذ من علمائنـــا للاوربيين فى كثير من جوانب الدرس اللغوى بما ينيف على الف عام .

ان السؤال الذى سنحاول الاجابة عليه هنا هو « لماذا كانت تلك الالفاظ او العبارات او الجمل غريبة ؟ وليس » لماذا استعمل الرسول ﷺ هذه الانواع التى اعتبرها العلماء من قبيل الغريب ؟ « ذلك ان الرسول ﷺ لم يكن ليخاطب احدا الا بمـــا يفهم لان الرسول ﷺ - كما سيتضح فيما بعد - لم يكن ليخاطب الناس بما يخفى عليهم مصداقا لقوله تعالى « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » .

ان محاولتنا لمعرفة اسباب الغرابة انما هى محاولة للتفســـير لا للتعليل وقد اتضح من الدراسة التحليلية لمادة « الغريب » ان

---

(٣) انظر مثلا ما كتبه احمد مختار عمر عن النظريات : الاشـــارية ، والتصويرية والسلوكية والسياقية ، ونظرية الحقـــول اللغوية . والنظرية التحليلية فى الباب الذى عقده لمناهج دراســـة المعنى فى كتاب « علم الدلالة » ص ٥٤ وما بعدها .

(٤) عرّف مؤلفو H. B. der J inguistik علم المعنى بانه « العلم الذى يبحث فى معانى المفردات او العبارات (اجزاء الجمل) او الجمل او النصوص » انظر ص ٣٧٢ .

لذلك عوامل عديدة واسبابا مختلفة يمكن تقسيمها الى قسمين اساسيين : احدهما يتعلق باللفظ ذاته ويمكن ان نطلق عليها العوامل الذاتية للغرابة وثانيهما يتعلق بالظروف والملابسات التى استعمل فيها اللفظ ، وهذه يمكن ان نطلق عليها العوامل الخارجية وسنتناول فيما يلى كلا النوعين بشيء من التفصيل .

العوامل الذاتيـة للغرابـة

المقصود بالعوامل الذاتية تلك الأسباب التى ترجع الى اللفظ ذاته بغض النظر عن ظروف استخدامه وذلك ككون اللفظ مما يتعدد معناه او كونه معربا او خاصا بلهجة من اللهجات ، وقد يطلق على هذه العوامل ايضا العوامل الداخلية او اللغوية .

١ ـ المشـــترك

ان تعدد معانى اللفظ الواحد وهو ما يطلق عليه فى اصطلاح اللغويين « المشترك اللفظى والمتضاد قسم منه » يعد احدى السمات البارزة للكلام الانسانى بوجه عام وقد قرر بعض المحدثين هـذه الحقيقة عندما قال : « ان قدرة الكلمة الواحدة على التعبير عن مدلولات متعددة انما هو خاصة من الخواص الأساسية للكلام الانسانى ، وان نظرة واحدة فى اى معجم من معجمات اللغة لتعطينا فكرة واضحة عن كثرة ورود هذه الظاهرة » (٥) .

لقد ادرك العلماء العرب منذ وقت مبكر ان الالفاظ ذات المعانى المتعددة تمثل قسما لا يستهان به فيما يتعلق بالثروة اللغوية فى اللغة العربية ، يقول قطرب (٢٠٦ هـ) : « الكلام فى الفاظه بلغة العرب على ثلاثة اوجه :

فوجه منها وهو الأعم الأكثر اختلاف اللفظين لا ختلاف المعنيين وذلك للحاجة منهم الى ذلك ، وذلك قولك : الرجل والمراة واليوم والليلة ...

---

(٥) أولمان ، دور الكلمة فى اللغة ص ١١٤ .

والوجه الثانى : اختلاف اللفظين والمعنى متفق واحد وذلك مثل عير وحمار ، وذئب وسيد ... (يشـــير هنا الى ظاهـــرة الترادف) .

والوجه الثالث ان يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا وذلك مثل الأمة (فى معنى الدين ، والرجل يؤتم به ، والقامة) ومن هذا اللفظ الذى يجىء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا اى فى اللفظ وضده "(٦) ، وقد ذهب ابن فارس الى ما ذهب اليه قطرب من ان الوجه الأول وهو اختـــلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو الأغلب او اكثر الكلام (٧) ، وقد رأى فريق آخر من العلماء ان الوجه الثالث وهو اتفاق اللفظ واختـــلاف المعنى (اى المشترك) هو اكثر الكلام وعلل لذلك " بأن الحـــروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة ، والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء ، والمضارع كذلك ، وهو ايضا مشترك بين الحال والاستقبال، والأسماء كثير فيهـــا الاشـــتراك فاذا ضممناها الى قسمى الحروف والأفعال كان الاشتراك اغلب "(٨) ، ومن الواضح ان هذا الفريق انما يدخل فى الاعتبار المعانى الأسلوبية فى الأفعال والمعانى السياقية للحروف اذ لا معنى للحروف فى ذاتها بشهادة النحاة ايضـــا فاذا عرفنا ان مناط الأمر فى المشترك اللفظى انما يتوقف على المعـــانى الوضعية او المعجمية فان حجة هذا الفريق تصبح مرجوحة خاصـــة وان الامام السيوطى قد نقل الاجماع على ان الاشتراك على خـــلاف الأصـــل (٩) .

---

(٦) الأضداد لقطرب ص ٢٤٤ .

(٧) الصاحبى فى فقه اللغة ص ١١٤ .

(٨) المزهر للسيوطى ١/ ١٧٠ .

(٩) السابق ، نفس الصفحة ، وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين الى ان الأصل فى المعنى المعجمى أن يكون متعددا ومحتملا اى انه لا يتعين الا بورود اللفظ فى سياق معين (انظر العربيـــة ، معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ص ٣٢٣) والذى أرجحه ان هذا التعدد وان كان متحققا فى كثير من الأمثلة الا انه لا يطرد فى كل الألفاظ ، كما أن هذه الاستعمالات المختلفة للفظ الواحد لم =

ان الاشـــــتراك وان كان خلاف الأصـــل الا ان له فائدة كبرى لمستخدمى اللغة اشار اليها بعض الباحثين بقوله « ان تعدد المعـانى للفظ الواحد يفتح مجالات متعددة امام الناطقين باللغة ليعبروا عمـا يحتاجون اليه بالفاظ مرنة تطاوعهم على ما يشاءون ، وتجرى حسب ما يريدون ، ولاشك ان لذلك اثرا كبيرا فى ثراء اللغة ونموها يفيـد منه بخاصة الأدباء والشعراء وارباب البيان(١٠) .

وخلاصة القول ان الاشـــتراك موجود فى كل اللغات بما ذلك اللغة العربية ، وانه مما تمس اليه الحاجة وقد ورد به الاســـتعمال فى اللغة عموما وفى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وربما كان بحث هذه الظاهرة فى القرآن الكريم من اقدم البحوث اللغـوية فى العربية ، وقد عرفت فى الدراسات القرآنية باسم « الوجـوه » اى الالفاظ المشتركة التى يستعمل كل منها فى عدة معان(١١) ، وقد قرنت فى الأغلب الأعم بظاهرة اخرى هى « النظائر » ويراد بهـا على ما قرره السـيوطى « ما اختلف لفظـه واتفق معنـاه »(١٢) ، وترجع اقدم المؤلفات التى وصلتنا عن هذه الظاهرة الى النصـف الأول من القرن الثانى الهجرى ممثلة فى كتاب الوجوه والنظـائر لمقاتل بن سليمان البلخى (١٥٠ هـ) ثم تتـابع فيه التاليف بعـد ذلك(١٣) .

=

تنشأ بحسب أصل الوضع اى انها لم توجد دفعة واحدة فى زمان واحد أو مكان واحد ، كما انها ليست جميعا على درجة واحدة من حيث الحقيقة والمجاز ، كل هذا يدفع ان يكون الأصل فى المعنى المعجمى هو التعـدد حتى وان كان ذلك يحدث كثيرا .

(١٠) علم اللغة بين القديم والحديث ص ٢٨٧ .

(١١) انظر الاتقان فى علوم القرآن ١٨٥/١ ، وقد عرف « الوجوه » بانها اللفظ المشترك .. الخ » بصيغة الافراد والمراد ما ابتناه ، وقد اطلق بعضهم على هذه الظاهرة اسم التصاريف كما فعل يحيى بن سلام .

(١٢) معترك الاقران ٥١٤/١ .

(١٣) انظر فى المؤلفات فى هذا الفن ، السيوطى ، الاتقان ١٨٥/١ ، وقارن باحمد مختار عمر علم الدلالة ص ١٤٧ ، وقد نشر كتاب مقاتل بتحقيق الدكتور عبد الله شحاته فى القاهرة ١٩٧٥ م .

المشترك فى الحديث الشريف :

اما فى الحديث النبوى الشريف فقد ذهب كثير من الباحثين الى ان صاحبنا ابا عبيد قد خص المشترك فيه بالتاليف فى كتابه الموسوم « كتاب الاجناس من كلام العرب ، وما اشتبه فى اللفظ واختلف فى بالمعنى » وقد اعتمد هذا الفريق من الباحثين على ما ورد فى بعض النسخ المخطوطة للكتاب من قول المؤلف : « وبعد فهذه رسالة لامام ائمة الادب ابى عبيد القاسم بن سلام فيما اشتبه فى اللفظ واختلف فى المعنى مستخرجة من غريب حديثه وهى موسومة بالاجناس »(١٤) .

لقد اختلف القائلون بهذا الراى حول مؤلف الكتاب فذهب السيد هاشم الندوى(١٥) ، وامثياز على عرش(١٦) ، وكارل بروكلمان(١٧) ، الى ان الكتاب من صنع ابى عبيد وانه هو الذى استخرجه بنفسه من غريب الحديث ، وذهب الدكتور زغلول سلام(١٨) ، والدكتور احمد مختار عمر(١٩) الى ان الكتاب وان كان مستخرجا من غريب الحديث لابى عبيد الا ان الذى قام بذلك احد تلاميذه او احد المتاخرين عنه ، وبينما لم يذكر الدكتور زغلول سلام سببا لهذا الاعتقاد يعلل الدكتور احمد مختار لذلك بقوله « ان المقدمة تتحدث عن ابى عبيد بصيغة الغائب مع خلع صفات التفخيم عليه وهو امر غير مالوف فى المقدمات التى يكتبها اصحابها(٢٠) .

ان ما ذكه الدكتور احمد مختار عمر لا ينهض دليلا كافيا

---

(١٤) كتاب الأجناس ص ١ .

(١٥) تذكرة النوادر للسيد هاشم الندوى (عن « ابو عبيد ثقافته العلمية واثاره » ص ٧٣) .

(١٦) انظر تقديمه لكتاب الاجناس ص ٣ .

(١٧) تاريخ الأدب العربى ١٥٦/٢ (ترجمة الدجار) .

(١٨) اثر القرآن فى تطور النقد العربى ص ١٩١ .

(١٩) علم الدلالة ص ١٤٧ .

(٢٠) السابق ص ١٥٠ .

الا على نفى نسبة المقدمة لأبى عبيد مما يعنى ان المقدمة ربما كانت من الناسخ او من صنع احد المتـاخرين ويؤيد هـــذا ان الكتب التى وصلتنا لأبى عبيد وخاصة غريب الحديث والغريب المصنف كانت بدون مقـدمات ، اما الكتـــاب نفسه فلا يمـــكن الحكم عليه او على كونه مستخرجا من غريب الحديث او كتاب آخر لأبى عبيد الا بالرجوع للكتاب نفسه ومقارنة المادة اللغوية التى يتضمنها بما اورده ابو عبيد فى « غريب الحديث » او « الغريب المصنف » وهذا ما لم يقم به احد من الباحثين الذين ذكرناهم انفـا .

ان واقع الموازنة بين ما اورده ابو عبيد فى غريب الحـــديث وما ذكره المؤلف فى كتاب « الأجناس » تثبت بما لا يدع مجالا للشك ان الكتاب الأخير ليس منتزعا من غريب الحديث فمن بين تســـعة واربعين ومائة مثال وردت فى كتاب الأجناس لا نجـــد سوى ثلاثة وعشرين لفظا فى غريب الحديث ، وحتى هذه الأمثلة المشتركة فى الكتابين لا تدل على ان مؤلف الأجناس قد انتزعها من غريب الحديث بسبب ما بين الكتابين من بون شاسع فى معالجة المادة اللغـــوية ولتوضيح ذلك نسوق الأمثلة الآتية من الكتابين :

اللفظ المشترك	كتاب الأجناس	كتاب غريب الحديث
الألّ	ص ٢٢ الألّ : مصدر الّ الشى اذا اذا لمع . والّ الفرس : اسرع فى عدوه والآل جمع الة وهى الحربة العريضة النصل . والآل:الضرب بالآلة	ج ٢ ص ٢٧٠ قال فى شرح الحديث : « عجب ربكم من الكم .. » انى احسبها من الكم بالفتح (٢١) وهو اشبه بالمصادر ، يقال فيه : ال يؤل الا واليلا والا وهو ان يرفع الرجل راسه بالدعاء ويجار فيه ، قال الكميت : فانت ما انت من غبراء مظلمة اذا دعت اليها الكاعب الفضل والألّ ايضا فى غير هذا الموضع (فيما) قال الاصمعى (مصدر) ال الرجل فى السير يؤل الا اذا اسرع فى السير وكذلك (مصدر قولهم) قد الّ لونه يؤل الا اذا صفا وبرق ، واظن قول ابى داود الايادى من احد هذين ، ذلك انه ذكر فرسا انثى صاد عليها الوحش فقال : فلهز تهن بها يؤل فريصها من لمع رايتنا وهن غوادى وقد يقال لكل شىء محدد هو مؤلل وقال طرفة يذكر اذنى الناقة ويصف حدتهما وانتصابهما : مؤللتان يعرف العتق فيهما كسامعتى شاة بحومل مفرد

(٢١) جاء فى غريب الحديث للخطابى ٢٦٠/٣ ان كسر الهمزة خطا من المحدثين والصواب الكم بفتحها والمراد هنا رفع الصوت بالدعاء ، وانظر ايضا اصلاح غلط المحدثين للخطابى ص ٦٧ .

المشترك	الاجنـاس	غريب الحديث
الالّ	ص ٢٢ والال : الله تعالى	ج ١ ص ٩٩ « وعن مجاهد قوله : الال : الله تعالى ، وعن الشعبى الالّ : اما الله واما كذا وكذا ، اظنه قال : العهد ، قال ابو عبيد : ويروى عن ابن اسحاق ان وفد بنى حنيفة لما قدمـوا على ابى بكر بعد قتل مسيلمة ذكر لهم ابو بكر قـراءة مسيلمة ، فقال : ان هذا الكلام لا يخرج من الّ ، قال ابو عبيـد كانه يعنى الربوبية ، قال : والال فى غير هذين الموضعين : القرابة وانشد لحسان بن ثابت : لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام قال ابو عبيد : فالال ثلاثة اشياء الله تعالى ، والقرابة ، والعهد
ثور	ص ٧ الثور : ذكر النمل والثور : الراس من الاقط والثور : الكساء الأسود والثور : الطحـلب الـذى يكون على الماء والثور : الاكليل من الذهب المفصص بالجواهر والثور : الثور من البقر	ّج ١ ص ١٢٧ الثور : القطعة من الاقط وجمعه الثوار ويروى ان عمرو بن معدى كرب قـال : تضيقت بنى فـلان فاتونى بثور وقوس وكعب ، فاما قوله ثور فهذا الذى ذكرنا ... واما حديث عبد الله بن عمر حين ذكر مواقيت الصلاة فقال : صلاة العشاء اذا سقط ثور الشفق فليس من هذا ولكنه انتشـار الشفق وثورانه ، يقال منه قد ثار يثور ثورا وثورانا : اذا انتشر فى الافق فاذ غاب ذلك حلت صلاة العشاء.

المشترك	الاجنـــاس	غريب الحديث
جون	ص ٧ الجون : السحاب الاسود والجون : الحمار الاخضر الوحشى والجون : الزق والجون : صبغ يسمى الجون	ج ٣ ص ١٠٥ واما قوله : « اجون ام غير ذلك (فى وصف السحابة) فان الجون هو الاسود اليحمومى وجمعه جون
الجلهتين	ص ١٠ الجلهتان : العينان والجلهتان : جانبا الجبل والجلهتان : السالفتان والجلهتان : رابقا صدر الفرس	ج ٢ ص ٢٢٧ « وقول ابى سقيان : حجارة الجلهمتين اراد جانبى الوادى والمعروف فى كلام العرب الجلهتان ، قال الاصمعى : والجلهة : ما استقبلك من حروف الوادى وجمعها جلاة ، قال لبيد : فعلا فروع الايهقان واطفلت بالجلهتين ظباؤها ونعامها وقال الشماخ : . . . . . بجلهة الوادى قطا نواهض قال ابو عبيد ولم اسمع بالجلهمتين الا فى هذا الحديث وما جاءت الا ولها اصل ... »

ان هذه الأمثلة التى اقتبسناها من الكتابين توضح بما لا يدع مجالا للشك انه لا علاقة للكتابين بالآخر ففى المثال الأول ذكر مؤلف الأجناس اربعة معان للآل وذكر ابو عبيد فى غريب الحديث اربعة معان ايضا ولم يشتركا الا فى معنيين فقط هما : الآل مصدر ال بمعنى اسرع ، والآل مصدر ال بمعنى لمع او صفا ، وانفرد صاحب الأجناس بمعنيين هما الآل جمع الآلة والآل الضرب بالآلة ، وانفرد ابو عبيد بذكر الآل فى معنى رفع الصوت بالدعاء - وهو المعنى الذى سيق الحديث لتفسيره - ومؤال بمعنى محدد ويدل هذا على امرين : اولهما ان صاحب كتاب الأجناس لو كان قد انتزعه من كتاب غريب الحديث لم يكن فى وسعه ان يترك المعنى الأساسى الذى سيق الحديث لتفسيره وكذلك المعنى الآخر وهو التاليل فى معنى التحديد، والثانى انه ذكر معنيين لا يمتان بصلة الى غريب الحديث مما يعنى ان له مصدرا آخر ، ومما يشى بذلك ايضا اختلاف العبارة فى المعنيين المذكورين فى كلا الكتابين ففى الأول ال الفرس وفى الثانى ال الرجل فى معنى اسرع ، وفى الأجناس ال الشىء لمع وفى غريب الحديث : ال الشىء صفا وبرق ، وغاية ما يمكن تصوره هو ان للكتابين معا مصدرا آخر رجع اليه المؤلفان فى هذين المعنيين وقد صرح بذلك ابو عبيد حيث نسب ذلك الى الأصمعى ، ولم يصرح مؤلف الأجناس بشىء .

اما المثال الثانى فلم يذكر له كتاب الأجناس سوى معنى واحد ويبدو ان المؤلف قد ذكره لا لكونه مشتركا عنده وانما للتفريق بين الال بالكسر وهو الله تعالى ، والآل بالفتح ، اما ابو عبيد فقد ذكر له ثلاثة معان كما رأينا ولو كان مؤلف الأجناس قد نظر فى كتاب « غريب الحديث » ما وسعه ان يترك المعنيين الآخرين اللذين وردا فيه وهما القرابة والعهد .

وفى المثال الثالث : لا نجد من المعانى التى ذكرها صاحب الأجناس فى غريب الحديث سوى معنى واحد - مع اختلاف عبارة الكتابين - هو الثور فى معنى القطعة من الأقط مع تركه للمعنى الثانى الذى ذكره ابو عبيد وهو الثور فى معنى انتشار الشفق وفى

المثال الرابع نلاحظ البون شاسعا بين الكتابين فالجون فى الأجناس هو السحاب الأسود وفى غريب الحديث هو (السحاب) الأسود اليحمومى ، وبقية المعانى فى الأجناس لا اثر لها فى غريب الحديث فكيف تكون منتزعة منه ؟

اما المثال الأخير : فان الجلهتين فى « غريب الحديث » جانبا الوادى ، وفى الأجناس جانبا الجبل ، وشتان ما هما ، اضف الى ذلك ان بقية المعانى فى الأجناس لا اثر لها فى غريب الحديث (٢٢) .

فاذا اضفنا الى هذا كله ان كتاب غريب الحديث قد تضمن بالاضافة الى هذه الأمثلة الثلاثة والعشرين ثلاثة وسبعين ومائة لفظ من الألفاظ المشتركة جمعها محقق « الأجناس » ولم يرد لها ذكر فيه مطلقا مما جعل المحقق يثبتها في ملحق مستقل - اذا اضفنا هذا ادركنا انه لا علاقة بين الكتابين ، بل ولا بين كتاب الأجناس والمشترك فى الحديث النبوى بوجه عام ، ويترتب على ذلك ضرورة اعادة النظر

---

(٢٢) قارن ايضا بقية الأمثلة الواردة فى الكتابين وهى :

الدوح	فى كتاب الأجناس ص ٧	، وفى غريب الحديث ٢٦/٢
الصوت	فى كتاب الأجناس ص ١٦	، وفى غريب الحديث ١٥٠/٢
الشعر	فى كتاب الأجناس ص ٢	، وفى غريب الحديث ٧٨/٣
الشخيت	فى كتاب الأجناس ص ١٦	، وفى غريب الحديث ٣١٧/٣
الشرخ	فى كتاب الأجناس ص ١٨	، وفى غريب الحديث ١٧/٣
الصوم/الصائم	فى كتاب الأجناس ص ١٧	، وفى غريب الحديث ٣٢٧/١
المصلى	فى كتاب الأجناس ص ١٧	، وفى غريب الحديث ١٧٨/١
الصياصى	فى كتاب الأجناس ص ٣	، وفى غريب الحديث ٨٤/٢
الظباء	فى كتاب الأجناس ص ٢	، وفى غريب الحديث ١٩٧/٣
عضب	فى كتاب الأجناس ص ٩	، وفى غريب الحديث ٢٠٧/٢
العفو	فى كتاب الأجناس ص ١٤	، وفى غريب الحديث ١٤٨/١
عسيب	فى كتاب الأجناس ص ١٦	، وفى غريب الحديث ٥٧/٣
العرق	فى كتاب الأجناس ص ١٩	، وفى غريب الحديث ١٠٥/١
العرض	فى كتاب الأجناس ص ٢١	، وفى غريب الحديث ١٥٤/١
الغفل	فى كتاب الأجناس ص ١٢	، وفى غريب الحديث ٣٠٠/٣
القلة	فى كتاب الأجناس ص ١٨	، وفى غريب الحديث ٢٣٦/٢
الكلب	فى كتاب الأجناس ص ٣	، وفى غريب الحديث ١٦٨/٢

فيما ذكره الدكتور احمد مختار عمر من تقسيم الدراسات المتعلقة بالمشترك الى ثلاثة اقسام اذ ذكر ان التاليف فى المشترك :

١ - منه ما اتجه الى دراسته فى القرآن الكريم .
٢ - ومنه ما اتجه الى دراسته فى الحديث النبوى الشريف .
٣ - ومنه ما اتجه الى دراسته فى اللغة العربية ككل .

وقد تحدث عن النوع الثانى فقال : « اما النوع الثانى الذى توجه الى دراسة المشترك اللفظى فى الحديث النبوى فقط فلم يصلنا منه سوى كتاب واحد هو « كتاب الاجناس ... لابى عبيد القاسم ابن سلام ، كما ذكر ان مادة الكتاب مستخلصة من كتاب آخر لابى عبيد عنوانه « غريب الحديث »(٢٣) .

اما وقد ثبت ان كتاب الاجناس لا علاقة له بغريب الحديث ولا بالحديث اصلا فان الاولى ان يكون تقسيم التاليف فى المشترك الى القسمين الأول والثالث فقط ، ويمكن ان يضاف الى ذلك القول بان كتب غريب الحديث وفى مقدمتها غريب الحديث لابى عبيد قد تناولت هذه الظاهرة بالدراسة فى تضاعيف الكتاب باعتبار ان الاشتراك من الاسباب التى تؤدى الى الغرابة فى الحديث النبوى الشريف .

لقد ذهب الدكتور ابراهيم انيس الى ان كتاب الأجناس منتزع من كتاب آخر لابى عبيد هو كتاب الغريب المصنف فقال « لسنا نعرف من الكتب القديمة التى الفت فى المشترك اللفظى سوى كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه فى اللفظ واختلف فى المعنى لأبى عبيد وهو كتيب صغير يشتمل على نحو ٣٠٠ كلمة كلها مقتبسة من كتاب ابى عبيد نفسه المسمى بالغريب المصنف »(٢٤) .

ولسنا ندرى من اى مصدر او على اى اساس بنى الدكتور انيس رأيه هذا ، ولكنا نعلم على وجه اليقين ان كتاب الاجناس المنسوب

---

(٢٣) علم الدلالة ص ١٤٧ ، ١٥٠ .
(٢٤) دلالة الالفاظ ص ٢١٤ .

لأبي عبيد لا يحوى سوى تسع واربعين ومائة كلمة فقط ، ويبدو ان الأمر قد التبس على الباحث فأخذ من الفهرست عدد الأمثلة على وجه التقريب اذ وردت الكلمات التي اشتمل عليها كتاب الأجناس (١٤٩ كلمة) مع الكلمات التي انتزعها امتياز علي عرشي (محقق الكتاب) وعددها ١٧٣ كلمة في فهرس واحد دون تمييز لهذا عن ذاك .

أما الزعم بأن هذه الألفاظ الثلاثمائة منتزعة من الغريب المصنف فانه وهم كبير خاصة فيما يتعلق بالثلاث والسبعين ومائة كلمة التي اخذها محقق الأجناس من غريب الحديث — وهي موجودة فيه فعلا — لا من الغريب المصنف ، أما الكلمات الأخرى التي تضمنها كتاب الأجناس فان دعوى انتزاعها من الغريب المصنف تحتاج الى دليل ، وطالما ان الدكتور انيس لم يقدم ذلك الدليل فليس امام الباحث المدقق سوى الرجوع الى الغريب المصنف لاستجلاء الحقيقة ، وقد يسر الله لي ذلك فاطلعت على كتاب الأجناس في الغريب المصنف(٢٥) .

وبموازنة ما ذكره ابو عبيد في الغريب المصنف بما ورد في كتاب الأجناس المنسوب له اتضح الفرق الكبير بينهما ، ويكفي دليلا على ذلك انه لم يرد من الأبواب العشرة الأولى في كتاب الأجناس في الغريب المصنف وهي أبواب « عرض — عقل — عقب — ابل — شف — حل — سرب — فرع — ثرو — طرق »(٢٦) سوى مادة واحدة هي « عرض » ، وحتى في هذه المادة فان الكتابين يختلفان

---

(٢٥) لقد قسم ابو عبيد كتاب الغريب المصنف الى ابواب كبرى اسماها كتبا مثل : خلق الانسان والابل والأجناس وغير ذلك ، وتندرج تحت الكتاب الواحد ابواب عديدة هي بمثابة الفصول من الأبواب في التقسيمات الحديثة ، وقد اعتمدت في الموازنة على اقدم نسخة وصلتنا من الغريب المصنف وهي مصورة عن مخطوطة المكتبة الوطنية في تونس (يرجع تاريخ نسخها الى عام ٤٠٠ هـ) ويشغل كتاب الأجناس في الغريب المصنف الأوراق من ٢٧٢ الى ٣٠٥ .

(٢٦) انظر : الغريب المصنف ، الورقات ٢٧٢ — ٢٧٦ من المخطوطة التونسية وقد عقد ابو عبيد لكل مادة من هذه المواد بابا مستقلا وكان يذكر في الغالب مشتقات هذه المادة اذا كانت دالة على اكثر من معنى .

اختلافا كبيرا يجعل انتزاع احدهما من الآخر امرا بعيد الاحتمال ، ونذكر فيما يأتى نص الكتابين لنتبين الفرق بينهما :

المشترك	كتاب الأجناس المنسوب لأبى عبيد	كتاب الأجناس من الغريب المصنف
	ص ٢٢	ورقة ٢٧٢
١ ـ العرض	العرض : ما يكون من الأثاث	العرض : خلاف الطول
	« : عرض البضاعة على السوق	« : ما كان من مال غير نقد . قال ذو الرمة :
	« : خلاف الطول	كما تدهده من العرض الجلاميد
	« : سفح الجبل	« : حطام الدنيا
٢ ـ العرض	العرض : النفس	يقال : استقام خبيث العرض
	« : الحسب	ورجل خبيث العرض اذا كان منتن الريح
	« : كل موضع يعرق من الجسد	واخصب ذلك العرض ، واخصبت اعراض المدينة (٢٧)
	« : الجلد	
	« : الريح طيبة كانت او خبيثة	
	« : الجبل	
٣ـالعريض	« : الوادى	
	العريض : الجدى وجمعه عرضان	
	« : من الظباء التى قاربت الأتنا (٢٨)	
	« : عند ناس ما كان خصبا	

(٢٧) ذكر ابو عبيد فى غريب الحديث (١٥٤/١) ، معنيين آخرين للعرض (بكسر العين) هما : كل موضع يعرق من الجسد والعرض بمعنى الرائحة ، وعلى المعنى الأول فسر قوله ﷺ « ... انما هو عرض يجرى من أعراضهم مثل ريح المسك ، اذ ذكر ان المراد منه فى الحديث كل شىء من الجسد من المقابن وهى الأعراض ، ثم اشار الى معنى ثالث عندما قال : وليس العرض فى الذنب من هذا فى شىء ... » .

(٢٨) كذا بالأصل ولعله الأثناء جمع ثنى (بكسر الثاء) ، يقول الجوهرى : والثنى من الجبل والوادى منعطفه ، الصحاح ٢٢٩٤/٦ .

المشترك	كتاب الأجناس المنسوب لأبي عبيد	كتاب الأجناس في الغريب المصنف
٤ـ العروض	العروض : في الشعر فواصل الأنصاف (اي انصاف الابيات) ويقال انها مؤنثة كانها ناحية من العلم	وعتود عروض ، وهو الذي ياكل الشيء بعرض شدقة(٢٩)
	» : المكان الذي يعارضك اذا سرت	استعمل فلان على العروض يعني مكة والمدينة واليمن
	» : مكة والمدينة واليمن	واخذ في عروض منكرة (٣٠)
	» : من الاثاث ما كان غير نقد	
٥ ـ العرض	» : من المطايا الصعبة	
	العرض : من الحائط وكل شيء وسطه	وعرض الشيء ناحيته من اي وجه جئته ومن هذا قيل للحروري يستعرض الناس
	» : نظرت اليه من العرض اي من الجانب	ويقال : فلان عرضة للشر اي قوي عليه
٦ـ العوارض	» : فلان عرضة للناس ، اي لا يزالون يقعون فيه	
	العوارض : الاسنان	وما بين الثنايا والاضراس عارض ومنه قيل للمراة مصقول عوارضها ويقال للجبل عارض وبه سمي عارض اليمامة
	» : من السقف معروفة	
٧ ـ عراضة	» : من الابل التي تاكل العضاه	
		ويقال عرضت احنى عراضة ، وهي الهدية تهديها لهم اذا قدمت من سفر
		ويقال : قوس عراضة اي عريضة

(٢٩) العتود من اولاد الماعز بارعى وقوى واتى على حول . الصحاح ٥٠٤/٢ .

(٣٠) لم يفسر ابو عبيد قولهم : اخذ في عروض منكرة ولعل المراد بالعروض ما ذكره الجوهري من ان العروض الطريق في الجبل . (انظر الصحاح ١٠٨٩/٣) .

من تامل ما ذكره مؤلف الاجناس وما اورده ابو عبيد فى الغريب المصنف نلاحظ فروقا عديدة تجعل انتزاع كتاب الاجناس المنسوب لابى عبيد من كتاب الغريب المصنف كما يقول الدكتور ابراهيم انيس امـــرا يصعب التسليم بـــه فبالاضافة الى ان المثال الثالث لم يرد فى الغريب المصنف والمثال السابع لم يرد فى كتاب الاجناس فان المعانى مختلفـة تماما فى المثـال السادس ، وفى المثال الرابع نجد من بين خمسة معان فى كتاب الاجناس معنى واحدا فقط فى الغريب المصنف فكيف تكون بقية المعانى منتزعة من الغريب المصنف وهى لا توجد فيه اصلا ، فاذا انضم الى ذلك ما سبقت الاشارة اليه من اهمال مؤلف الاجناس لتسع مواد من عشر ذكرها ابو عبيد تاكد لدينا انه لا توجد علاقة بين الكتابين .

ونخلص من كل ما سبق الى ان كتاب الاجناس ليس منتزعا لا من غريب الحديث ولا من الغريب المصنف وانما هو كتاب مستقل بذاته ، اما مؤلفـه فقد يكون ابا عبيد نفسه بيد ان المقدمة ليست له وانما من صنع بعض النساخ او التلاميذ ، وربما كان الكتاب من صنع بعض تلاميذه وقد قام فعلا باستخراجه من كلام استاذه وليس من كتاب غريب الحديث لـــه ، ومن ثم فان ما ورد فى المقدمة من قـــوله « مستخرج من غريب حديثه » ليس المراد بـــه المعنى الاصطلاحى الوارد عنوانا لبعض كتب ابى عبيد وانما المقصود بذلك من غريب ما حدث بـــه ابو عبيد ، اى من تلك الالفاظ الغريبة التى كان يتناولها فى احاديث لطلابه ، وذلك من قولهم « اغرب الرجل فى منطقه اذا لم يبق شيئا الا تكلم به » او من قولهم « تكلم فاغرب اذا جـــاء بغرائب الكـــلام ونوادره » والمعنيان صحيحان وردت بهما معاجم اللغـة(٣١) ، فالحديث هنا ليس مرادا به الحديث النبوى وانما كلام ابى عبيد .

المشـــترك والغـــرابة :

مما لاشك فيه ان استعمال اللفظ الذى يدل على اكثر معنى قـــد يكون مدعـــاة ـ فى بعض الاحيان ـ للغموض مما يحتاج معه الى اعمال

---

(٣١) وردت هذان المعنيان فى التكملة للصغانى ٣٢٦/١ ، واساس البلاغـة للزمخشرى ص ٤٤٧ .

الفكر للبحث عن القرينة التى تحدد المعنى المراد ، ومن ثم يكون هذا اللفظ غريبا لا يتضح معناه الا من خلال السياق أو المقـام الذى يستعمل فيـــه ٠

ولقد اشار الى هذه الحقيقة بعض اللغويين وعلماء البلاغة فذكر ابن فارس ان الاشتراك من الأسباب التى تؤدى الى الاشكال فى الكلام وعدم وضوحه (٣٢) ، واكد ابن سنان الخفاجى هذه الحقيقة عنـدما قال « ان الأسباب التى لاجلها يغمض الكلام على السامع ستة منها : ان تكون الكلمة من الأسماء المشتركة فى تلك اللغة كالصدى الذى هو العطش والطائر والصوت الحادث فى بعض الأجسام » (٣٣) ، وهذا الغموض الناجم عن المشترك يوجد ايضا فى اللغات الأخرى ، وقد ذكر وليـام امبسون فى كتابه « سبعة انواع من الغموض » ان من صـور ذلك الغموض فى الانجليزية : التعبير عن معنيين او اكثر يمكن تبادلهما بشىء واحد » اى بلفظ واحد هو ما نسميه بالمشترك (٣٤) ٠ اما لمـاذا يستخدم المشترك رغم ما يؤدى اليه من غرابة ؟ فان لهذا اسبابا عديدة منها :

ان تعدد المعانى للفظ الواحد وان كان مصدرا للغموض فى كثير من الأحيان الا ان له العديد من المزايا التى تدعو الى استخدامه فى اللغة ـ اى لغـة ـ من ذلك ما اشار اليه بعض المحدثين بقوله « ان وجود كلمة كلمة مستقلة لكل شىء من الأشياء التى قد نتناولها بالحديث من شانه ان يفرض حملا ثقيلا على الذاكرة الانسانية ٠٠٠ ومن ذلك ايضا تطويـع الكلمات وتاهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة والتعبير عن الفكر المتعددة ، كما انه بفضل هـذه الوسيلة تكتسب الكلمات نفسها نوعا من المرونة والطواعية فتظل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير ان تفقد معانيها القديمة » (٣٥) ٠

---

(٣٢) الصاحبى فى فقه اللغة ص ٧٠ ٠

(٣٣) سر الفصاحة ص ٢٢١ ٠

(٣٤) انظر علم الدلالة لأحمد مختار عمر ص ١٨٠ ٠

(٣٥) باختصار وبعض تصرف عن استيفن أولمان ، دور الكلمة فى اللغـة ص ١١٤ ٠

ثم ان هذا الغموض قد يكون مطلوبا فى ذاته اذا اقتضاه المقام ، مثال ذلك ان يقصد المتكلم الابهام على السامع حيث يكون الوضوح او التصريح بالمراد سببا للمفسدة وقد روى ان ابا بكر رضى الله عنه - وقد سأله رجل عن النبى صلى الله عليه وسلم اثناء ذهابهما الى الغار بقوله : من هذا ؟ - اجاب بقوله : هذا رجل يهدينى السبيل » (٣٦) ، كما ان هذا الغموض قد يكون خاصة من خواص الأسلوب الأدبى لاثارة انتباه السامع او القارىء اذ يتوجب عليه والحالة هذه ان يبحث عن تفسير يزيل به هذا الغموض فاذا حدث ذلك تمكن المعنى فى ذهنه فضل تمكن ، ومن امثلة ذلك ما ذكره ابن الأثير فى النوع الذى عقده للتجنيس الذى يرى فيه غرة شادخة فى وجه الكلام ، وحقيقة التجنيس عنده « ان يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا » (٣٧) ، وعلى ذلك فانه لولا الاشتراك لما امكن التجنيس فى الكلام ، وقد ذهب بعض علماء الأصول الى ان للمشترك حتى ولو كان غير مبين - فائدة « لان غير المبين فى القرآن الكريم ان كان فى غير الاحكام ففائدته مثل الفائدة فى اسماء الأجناس ، وهو الفهم الاجمالى ، وان وقع فى الأحكام ففائدته الاستعداد للامتثال اذا بين » (٣٨) ، ومن الواضح ان ماينطبق على القرآن الكريم فى استخدام الألفاظ المشتركة ينطبق ايضا على الحديث النبوى الشريف(٣٩) ومن دواعى استخدام المشترك ايضا ما اشار اليه بعض الباحثين من أن المعانى المحتملة للفظ الواحد تعتبر مرادة القائل سواء اكان ذلك فى القرآن الكريم او الحديث النبوى الشريف ، وقد ذكر ان من مواضع ذلك : المشترك : وما الحق به (اى اللفظ الذى خوطب به مرتين او نزل مرتين) ، ويترتب على صحة القول بهذا

---

(٣٦) المزهر ٣٦٩/١ ، وانظر امثلة أخرى فى « المشترك اللغوى » لتوفيق شاهين ص ٣١ وما بعدها ، وفصول فى فقه العربية لرمضان عبد التواب ص ٢٩٣ .

(٣٧) المثل السائر ٣٤٢/١ ، وقارن بأحمد مختار عمر ، علم الدلالة ص ١٨٠ .

(٣٨) شرح مختصر ابن الحاجب ١٧٤/١ .

(٣٩) انظر تفصيلا اكثر عن الآثار الايجابية للمشترك اللفظى فى علم الدلالة لأحمد مختار عمر ص ١٧٩ وما بعدها ، والمشترك اللغوى لتوفيق شاهين ص ٣١ .

اذا توفرت شروطه التى ذكرها الباحث وان يكون المشترك وسيلة من وسائل الايجاز (٤٠) .

المشـــترك فى غـــريب الحديث :

لقد تضمن كتاب ابى عبيد « غريب الحديث » الفاظا عديدة لكل منها اكثر من معنى اى انها من قبيل المشترك اللفظى وقد ذكر مؤلف كتاب الأجناس منها ثلاثة وعشرين لفظا اشرنا اليها فيما سبق (٤١) ، وقد اضاف محقق كتاب الأجناس (امتياز على عرشى) ثلاثا وسبعين ومائـة كلمـة يخص الحديث النبوى الشريف منها ستا وتسعين والباقى منتزع مما ذكره ابو عبيد فى تفسير احاديث الصحابة والتابعين ، فتكون جملة ما استخرجه مؤلف كتاب الأجنـــاس ومحققه معـــا فى الحديث النبوى تسع عشرة ومائـة كلمة ، وقد استدركت عليهما ستة وثلاثين لفظا من المشترك مما اورده ابو عبيد فى غريب الحديث فى الجـزء الخاص بالحديث النبوى الشريف ، وهذه الستة والثلاثون منها ما هو من قبيل التضاد ومنها ما هو من باب الاتفاق العارض للصورة الصوتية لكلمتين ترجعان الى اصلين مختلفين وقد اتفقت صيغتهما الصرفية ظاهريا ، ومنها ما هو من قبيل المشترك بمفهومه الشائع وهو ان تـدل الكلمـة على معنيين فاكثر دلالة على السواء دون ان يكون احد المعنيين متضادا مع الآخـر .

---

(٤٠) انظر فى هذا ، بحوث فى علوم القرآن الكريم للدكتور عبد الغفور جعفر ، البحث الخامس « المعانى المحتملة مرادة » ص ٢٠٥ ـ ٢٢٨ ، وقـارن بالاتقان فى علوم القرآن للسيوطى (٢٢٧/٢) ، حيث ذكر ايضا ان اللفظ المشترك يجوز ان يراد به معنياه (سطر ٦ من الصفحة المذكورة) ، وقد قيد بعض العلمـاء كالغزالى وأبى الحسن البصرى ذلك بارادة المتكلم لا بدلالة اللغـة فقد نقل عنهما ابن عاشور فى « التحرير والتنوير » انه « يصـــح أن يراد بالمشترك عدة معان ، لكن بارادة المتكلم وليس بدلالة اللغة » . انظر ص ٢١٣ من بحث الدكتور عبد الغفور جعفر .

(٤١) انظر هامش ٢٢ فى هذا الفصل حيث ذكرنا مواضع ثمانية عشـر مثالا فى الكتابين وقد تناولنا الخمسة الباقية فى المتن عند مقارنتها بكتـــاب الأجناس .

وفيما يلى مثال لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة يوضح مدى تاثير المشترك فى غموض المعنى:

١ - وقال ابو عبيد فى حديثه عليه الصلاة والسلام :

« لا يخطب الرجل على خطبة اخيه ولا يبع على بيعه » غ ٢/ ٣ كان ابو عبيد وابو زيد وغيرهما من اهل العلم يقولون : انما النهى فى قو له لا يبع على بيع اخيه انما هو لا يشترى على بيع اخيه ، فانما وقع النهى على المشترى لا على البائع لان العرب تقول بعت الشىء بمعنى اشتريته ، قال ابو عبيد : وليس للحديث عندى وجه الا هذا لان البائع لا يكاد يدخل على البائع وهذا فى معاملة الناس قليل » .

انه لما كان اللفظهنايحتمل المعنيين فقد حاول ابو عبيد ان يجد قرينة يرجح بها احد المعنيين على الآخر وقد استنبط الوجه الذى ذهب اليه من المقام والمقال جميعا ، اما المقام فيتمثل فى قوله : ان المعروف ان يعطى الرجل بسلعة شيئا فيجىء آخر فيزيد عليه ، ومما يبين ذلك ما تكلم الناس فيه من بيع من يزيد حتى خافوا كراهته وكانوا يتبايعون به فى مغازيهم فقد علم (بذلك) انه فى بيع من يزيد ، وانما يدخل المشترون بعضهم على بعض ، فهذا يبين لك انهم طلبوا الرخصة فيه لان الاصل انما هو على المشترين » .

اما قرينة المقال او السياق فقد استخرجها ابو عبيد على النحو التالى :

« انه نهى عن الخطبة كما نهى عن البيع وقد علمنا ان الخاطب انما هو طالببمنزلة المشترى فانما وقع النهى علىالطالبين دونالمطلوب اليهم ثم ذكر ابو عبيد بعد ذلك ان استخدام لفظ البيع فى معنى الشراء انما هو جار على السنة الدائرة فى الكلام العربى اذ جاء فى اشعار العرب ان قالوا للمشترى بائع ... كما فى قول طرفة :

سيأتيك بالأنباء من لم تبع له بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

قوله : لم تبع له بتاتا اى لم تشتر له ، وقال الحطيئة .

وباع بذيه بعضهم بخسارة وبعت لذبيان العلاء بما لكا

فقوله باع بثيه ، بعضهم بخسارة هو من البيع فهو يذمه به ، وقوله : بعت لذبيان العلاء بمالكا معناه اشتريت لقومك العلاء اى الشـــرف بمالك .. » (٤٢) .

٢ ـ وقال ابو عبيد فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » (غ ع ١٦٩/٢ وما بعدها) .

قال ابو عبيد : كان سفيان بن عيينة يقول : معناه من لم يستغن بـــه (من الغنى) ، ولا يذهب به الى الصوت (من الغناء) ، وليس للحديث عندى وجه غير هذا » وقد استدل ابو عبيد لما ذهب اليه بالأدلة الآتيـــة :

(أ) ورود هـــذا المعنى فى حديث آخـــر كانه مفسر لهذا الحديث فقـــد روى عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد وعنده متاع رث ومثال رث (اى فراش بال قديم) فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قال ابو عبيد فذكره رثاثة المال والمتاع عند هذا الحديث يبين لك انه اراد الاستغناء بالمال القليل وليس الصوت من هذا فى شىء ، ويبين ذلك (ايضا) حديث عبد الله : من قرأ سورة آل عمران فهو غنى » وقد لخص ابو عبيد هذه الحجة بقوله : ارى الاحاديث كلها انما دلت على الاستغناء .

(ب) انه لو كان وجهه كما يتأوله بعض الناس انه الترجيع بالقراءة وحسن الصوت لكانت العقوبة قد عظمت فى ترك ذلك ان يكون من لم يرجع صـــوته بالقرآن فليس من النبى صلى الله عليه وسلم وهـــذا لا وجه لـــه .

---

(٤٢) غريب الحديث لابى عبيد ص ٥ ، ٦ ، وقد ذكرت كتب الاضـــداد هذا اللفظ « البيع » وقد استشهد قطرب فى اضداده ببيت طرفة الذى ذكـــره ابو عبيد ، انظر اضداد قطرب ٢٥٥ ، والاضداد ابن الانبارى ٧٣ ، واضداد ابى الطيب اللغوى ٤٠/١ ، وقد ذكر الدكتور توفيق شاهين شواهد عدة للفظ البيع فى معنى الشراء وقد فاته الاستشهاد بهذا الحديث الشريف ، والبيت الذى اورده ابو عبيد للحطيئة .

(حـ) انه كلام جائز فاش فى كلام العرب واشعارهم ان يقولوا : تغنيت تغنيا وتغانيت تغنيا بمعنى استغنيت قال الأعشى :

وكنت امرأ زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل التغنى

يريد الاستغناء او الغنى ، وقال المغيرة بن حبناء التميمى يعاتب اخا له :

كلانا غنى عن اخيه حياته ونحن اذا متنا اشد تغانيا

يريد اشد استغناء ، هذا وجه الحديث والله اعلم .

لقد ذهب بعض العلماء الى خلاف ما ذهب اليه ابو عبيد اذ نقل ابن الجوزى فى غريب الحديث عن الشافعى ان المعنى : تحزين القراءة وترقيعها ، قال ابن الجوزى وهذا اولى لقوله : ما اذن الله لشىء ما اذن لنبى يتغنى بالقرآن يجهر به » (٤٣) وقد ايد الخطابى ما ذهب اليه ابو عبيد « لأن تطريب الصوت والتحزين له ليس فى وسع كل احد ، فلعل من الناس من اذا اراد التزيين له ، افضى به الى التهجين ، ولكن الخطابى لم ير راى ابى عبيد فى ان التغنى بمعنى الاستغناء وانما هو من الغناء وقد استعمل فى هذا المعنى على سبيل المجاز والمراد به « ان يلهج بتلاوته كما يلهج الناس بالغناء والطرب عليه ، وقد نقل الخطابى هذا التفسير عن ابن الاعرابى (٤٤) .

ان التفسير الذى ذهب اليه ابو عبيد انما يعتمد على اعتبار لفظ التغنى من المشترك الذى اريد به هنا معنى الاستغناء وقد اريد به معنى تحزين الصوت بالقراءة فى موضع آخر وهو « ما اذن الله لشىء كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن يجهر به « فالتغنى فى هذا الموضع انما هو من الغناء (بالكسر) ولكنه قد استعمل استعمالا مجازيا يقول الرضى فى مجازاته « وقد قيل ان المراد بذلك تحزين القراءة ليكون اشجى للسامع وآخذ بقلب العارف فسمى هذه الطريقة غناء على الاتساع لانها تقود

(٤٣) غريب الحديث لابن الجوزى ١٦٥/٢ .
(٤٤) غريب الخطابى ٣٥٨/١ .

ازمة القلوب وتسميل نوازع النفوس » (٤٥) ، وهذا المعنى قد سبق اليه ابو عبيد عندما قال : انما مذهبه عندنا تحزين القراءة » (٤٦) ·

اما الخطابى وابن الجوزى فيبدو انهما لم يعرفا التغنى الا من الغناء (بالكسر) ومن ثم فقد ذهب الخطابى — تبعا لابن الاعرابى — الى القول بالمجاز ، وذهب ابن الجوزى الى ان التغنى فى الموضعين بمعنى واحد فقاس الحديث الأول « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » على الثانى « وهو ما اذن الله لشىء كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن » وشتان ماهما ، ومما يرجح ما ذهب اليه ابو عبيد بالاضافة الى ما ذكره فى (ح) من شواهد قول العجاج :

ارى الغوانى قد غنين عنى وقلن لى عليك بالتغنى

اى استغنين عنى وقلن لى : استغن عنا كما استغنينا عنك (٤٧) ·

٣ — وقال ابو عبيد فى حديثه عليه الصلاة والسلام : « يقول الله تبارك وتعالى : اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، بله ما اطلعتم عليه » (غ ١٨٥/١) ·

قال الأحمر وغيره : قوله بله معناه كيف ما اطلعتم عليه ·
وقال الفراء : معناه كف ما اطلعتم عليه ، ودع ما اطلعتم عليه ·
قال ابو عبيد : وكلاهما معناه جائز ، ثم ذكر الشواهد الدالة على المعنيين ·

---

(٤٥) المجازات النبوية ٢٣٣ ، وقد ذكر الشريف الرضى وجها آخر ، هو ان المراد بقلك « ما استمع الله لشىء كاستماعه لنبى يداوم تلاوة القرآن فيجعله دأبه وديدنه وهجيراه وشغله ، كما يجعل غيره الغناء مستروح حزنه ومستفتح قلبه ، ليس ان هناك غناء به على الحقيقة ·· » ·

(٤٦) غريب الحديث لأبى عبيد ١٤٠/٢ ·

(٤٧) انظر تفسير هذا البيت وأدلة أخرى على صحة ما ذهب اليه ابو عبيد فى المجازات النبوية للرضى ص ٢٣٤ ، وقد جاء فى الصحاح (٢٤٥/٦) ان تغنى الرجل بمعنى استغنى ، وان الغناء بالفتح يعنى النفع والغناء بالكسر من السماع (أى من تطريب الصوت وترجيعه) ·

ان ابا عبيد هذا لم يرجح معنى على آخر مما يؤيد وجهة القائلين بان المعانى المحتملة فى المشترك تكون مرادة عند عدم القرينة الدالة على تعين واحد منها (٤٨) وقد ذهب بعض علماء الغريب الى وجود معنى ثالث للفظ « بله » وهو سوى ، قال ابن الجوزى « وقيل (معناه) سوى ما اطلعتهم عليه » (٤٩) وقد ذكر الجوهرى الحديث الشريف الذى معنا شاهدا على هذا المعنى الاخير الذى لم يذكره ابو عبيد (٥٠) .

ان المسئول عن الغرابة فى هذه الاحاديث وامثالها هو استعمال الالفاظ المشتركة فى احد معانيها نظرا لخفاء القرينة او عدم معرفة المقام الذى قيلت فيه ، وربما لا تكون هناك قرينة اصلا وتكون المعانى المحتملة جائزة كما يقول ابو عبيد او مرادة كما يقول السيوطى (الاتقان ٢٢٧/٢) ويكون فى المشترك حينئذ نوع من الايجاز يحتاج الى توضيح ، وهذا ما فعله ابو عبيد .

أما بقية الالفاظ المشتركة التى وردت فى غريب الحديث ولم يذكرها مؤلف « الأجناس » ولا محققه فاذنى اشير اليها والى معانيها ومواضع ورودها فيما يلى :

— الترعة فى قوله صلى الله عليه وسلم « ان منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة » ٥/١ .

---

(٤٨) انظر هامش ٤٠ من هذا الفصل .

(٤٩) غريب الحديث لابن الجوزى ٨٧/١ وقد سقطت اللام خطأ مطبعيا فظهرت العبارة « سوى ما اطعتهم عليه » والصواب ما اثبتناه .

(٥٠) الصحاح ٢٢٢٨/٦ ، وجاء فى المجموع المغيث للمدينى (١٨٨/١) ان بله من أسماء الافعال كرويد وصه ومه يقال : بله زيدا أى دعه واتركه ، ويوضع موضع المصدر فيقال بله زيد بالاضافة كما يقال ترك زيد ، قال المدينى وقوله : ما اطلعتم عليه يحتمل ان يكون منصوب المحل ومجروره على الوجهين .

اما معانيها فهى : الروضة ـ الدرجة ـ الباب (٥١) ٠

ـ المفرج : فى قوله صلى الله عليه وسلم « لا يترك فى الاســـلام مفرج » على رواية الجيم ١/٣٠ ـ ٣١ ٠

ومعانى « المفرج » كما اورده ابو عبيد :

- الرجل يكون فى القوم من غيرهم فحق عليهم ان يعقلوا عنه ٠
- القتيل يوجد فى ارض فلاة لا يكون عند قرية ٠
- الرجل الذى يسلم ولا يوالى احدا ٠
- الذى لا ديوان لـه (٥٢) ٠

ـــ المصلب فى قوله صلى الله عليه وسلم « فى الثوب المصلب انه كان اذا راه قضبه » ١/٣٣ ٠

ومعانى المصلب هى : المنشا (من الصلابة) الذى فيه مثال الصليب

ـــ الارمـــاث فى قوله عليه الصلاة والسلام « انا نركب ارماثا لنـا فى البحر » ١/٤٤ ٠

- فالارماث جمع رمث وهو خشب يضم بعضها الى بعض ويشد ثـم يركب ٠
- والارماث جمع رمث وهو ان تاكل الابل الرمث فتمرض عنـه

---

(٥١) سنعرض لهذا اللفظ عند حديثنا عن المعرب لان الترعة ماخوذه عن الارامية ، ومن ثم يكون فيها سببان للغرابة الاول كونها من المشترك والثانى كونها من المعرب ٠

(٥٢) اما رواية الحاء « مفرح » فهى ايضا من الاضداد لانه ياتى بمعنى المسرور (اى انه اشتق من الفرح) ويأتى بمعنى من اثقله الدين اذ الدين كما نعلم هم بالليل وغم بالنهار وكانه اطلق عليه هذا تفاؤلا بقضاء دينه ، انظر اضداد قطرب ٢٤٨ ، والاضداد للصغانى ٢٤١ ٠

● والأرماث جمع رمث وهو موضع فى البحر (٥٣) .

ـــ الخنف في قوله من اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : تخرقت عنا الخنف » ١/٤٧ .

● فالخنف جمع خنيف وهو جنس من الكتان أردأ ما يكون(٥٤) .

● والخنف جمع خنيف وهو القدام الذى تقدم به الأباريق .

ـــ الحلوان : فى قولهم : « نهى ﷺ عن حلوان الكاهن » ١/٥١ وقد اورد من معانيه :

● ما يعطاه الكاهن ويجعل له على كهانته .

● الرشـــوة .

● أن ياخذ الرجل من مهر ابنته لنفسه .

ـــ النبل : فى حديثه عليه الصلاة والسلام فى الغائط « اتقوا الملاعن واعدوا النبل (بضم النون وفتحها) ١/٧٩ .

فالنبل حجارة الاســـتنجاء كذا قال محمـد بن الحسن ، قال ابو عبيد ونراها سميت نبلا لصغرها ، وهـذا من الأضداد فى كـلام العرب ان يقال للصغار نبل وللعظام نبل .

ـــ المخارف : فى قوله ﷺ « عائد الطـــريق على مخرفة من مخارف الجنة حتى يرجع » ١/٨١ .

---

(٥٣) أشار ابو عبيد الى أن المراد هو المعنى الأول فقط (بدليل السياق) ولم يذكر ابن قتيبة سواه ، انظر غريب الحديث لابن قتيبة ١/٣١٠ وقد ذكر الجوهرى فى الصحاح معنى رابعا للرمث هو بقية اللبن فى الضرع ، انظـــر الصحاح ١/٣٨٤ .

(٥٤) جاء فى خلق الانسان للاصمعى (ص ٩٥) أن الخنيف ثوب من كتان أخضر وقد ذكر الجوهرى (الصحاح ٤/١٣٥٨) أن الحنيف من الثياب (هو ثوب) ابيض غليظ يتخذ من الكتان وذكر الحديث شـاهدا على ذلك .

فالمخارف جمع مخرف وهو جنى النخل ٠

والمخارف جمع مخرفة وهى الطريق الواسع البين (٥٥) ٠

ـــ التحيات : فى قوله ﷺ « التحيات لله » ١١١/١ ٠

فالتحية : الملك

والتحية : السلام

ـ جمع : فى قوله ﷺ عن الشهداء « ومنهم ان تموت المراة بجمع » بضم الجيم « ١٢٥/١

فالجمع : ان تموت المراة وفى بطنها ولد

والجمع : ان تموت المراة ولم يمسها رجل ٠

ـ اشاح : فى قوله ﷺ « اتقو النـــار ولو بشـــق تمرة ثم اعرض واشـــاح » ١٣٤/١

للفعل اشـــاح معنيان : حذر من الشىء وعدل عنه ٠

جد فى قتال او غيره (٥٦) ٠

ـ عقـا : فى حديثـــه ﷺ « انـــه امر ان تحفى الشـــوارب وتعفى اللحى » ١٤٧/١

---

(٥٥) اشـــار ابو عبيد الى لفظين اخرين يجوز ـ لغة ـ ان تكون المخارف جمعا لهما ، وهما : مخرف (بكسر فسكون) وهو الزنبيل الذى يجتنى فيـــه الدخل ومخرف (بضم الميم وكسر الراء) وهو الذى دخل فى الخريف ، وفى الحديث مجاز على المعنيين اللذين صرح بهما ابو عبيد ، انظر هامش ٧٠ فى الفصل الثانى ، وقد اخذ ابن قتيبة على ابى عبيد قوله بان المخرف هو جنى النخل زاعما بان المخرف هو الدخل بعينه وقد رد عليه الخطابى مصوبا ما ذهب اليـــه ابو عبيد ، انظر مناقشة الخطابى لابن قتيبة فى غريب الخطابى ٤٨٣/١ ٠

(٥٦) ذكر قطرب « اشاح » فى اضداده ص ٢٦٨ ونسب المعنى الثانى الى هذيل وقد ذكره الجوهرى ايضا (الصحاح ٣٧٩/١) ٠

ذكر ابو عبيد للفعل « عفا » المعانى الآتية :

- عفا الشعر وغيره اذا كثر .
- عفا الشيء اذا درس .
- عفا الرجل الرجل اذا اتاه يطلب منه حاجة(٥٧) .

- العسب : فى قولهم « نهى الرسول ﷺ عن عسب الفحل » ١٥٥/١
فالعسب : هو الكراء الذى يؤخذ على ضراب الفحل .
والعسب : هو الضراب نفسه .

قال ابو عبيد والوجه عندى انه الكراء (لأنه) لو كان المعنى على الضرب نفسه لدخل النهى على كل من انزى فحلا » ثم بين بعد ذلك بحس لغوى مرهف ان المعنى الثانى هو الأصل وان الأول قد الحق به لأنه من سببه ، يقول ابو عبيد : « واما قول الشاعر : (فى معنى الضراب) .

فلولا عسبه لتركتموه وشر منيحة عسب معار

فقد يجوز لأن العرب تسمى الشيء باسم غيره اذا كان معه او من سببه كما قالوا للمزادة راوية ، وانما الراوية البعير الذى يستقى عليه فسميت المزادة راوية به لأنها تكون عليه .. » وما ذكره ابو عبيد هنا يصلح مثالا جيدا لما يطلق عليه بعض الباحثين « التغير التلقائى للمعنى » حيث ان بين المعنيين علاقة هى السببية ، فالمعنى القديم وهو الضراب سبب للمعنى الحديث وهو الأجر الذى يؤخذ عليه ، ومن ثم فقد استعمل اللفظ فى المعنى الثانى على سبيل المجاز المرسل، وبتناسى هذا المجاز اصبحت الكلمتان من قبيل المشترك .

- عرب : فى قوله ﷺ « الثيب يعرب عنها لسانها » ١٦٣/١

(٥٧) ورد المعنيان الأول والثانى فى اضداد قطرب ٢٦٢ ، واضداد السجستانى ٩٣ واضداد ابن السكيت ١٦٧ .
(٥٨) انظر علم الدلالة لأحمد مختار عمر ص ١٦١ .

- اعرب : وقد روى الحديث ايضا « الثيب يعرب عنهـــا لسانها » ولكل اكثر من معنى ·

اما عرب (بالتضعيف) فقد استعملت فى عدة معان :

- عرب عن القوم اذا تكلم عنهم واحتج لهم ·
- عرب عليه بمعنى افسد وقبح ·
- عرب فى معنى افحش (٥٩) ·

واما اعرب الواردة فى الرواية الثانية للحديث فقد ذكر لهـــا ابو عبيد معنيين همـــا :

اعرب : ابان القول ·

اعرب : افحش فى كلامه (عرب) ، ومن ذلك قول عطـــاء « انه كره الاعراب للمحرم » ، وقال رؤبة والعرب فى عفاقة واعراب ·

قال ابو عبيـــد (٢٥٣٣) يعنى المتحببـــــات الى الأزواج « والاعراب » من الفحش فمعناه انه يقول : انهن يجمعن العفـــاقة عند الغرباء والاعراب عند الأزواج(٦٠) ·

- البهم : فى قوله ﷺ « يحشر الناس يوم القيـــامة حفـــاة عراة بهمـــا » ١٩٧/١

فالبهم تستخدم فى المعانى التالية :

- جمع بهيم وهو الفرس الذى لا يخالط لونه لون ســـواه من سواد او غيره ·

---

(٥٩) ورد المعنى الاول فى الحديث الذى معنا ، وورد المعنى الثـــانى وكذلك الثالث فى شرح ابى عبيد لحديث عمر رضى الله عنه (فى ٢٥٣/٣) « ما منعكم اذا رايتم الرجل يطرق اعراض الناس الا تعربوا عليه » ·

(٦٠) ذهب ابو الفتح عثمان بن جنى الى ان الاعراب بالمعنى الأول وهو الابانة مأخوذ من العرب لما يعزى اليهم من الفصاحة ثم ذكـر الحديث الشريف (فى روايته الثانية) مصداقا لذلك ، الخصائص ٣٥/١ ·

● الأصحاء ليس فيهم شيء من الأمراض والعاهات التي تكون في الدنيا من العمى والعرج ونحو ذلك .

● من ليس معهم شيء ، وهذا المعنى الأخير قد ورد في بعض روايات الحديث « قيل يا رسول الله وما البهم ؟ قال ليس معهم شيء » وقد ارجعه ابو عبيد الى المعنى الأول اذ قال « انها اجساد لا يخالطها شيء من الدنيا كما ان البهيم من الألوان لا يخالطه غيره » وكانه يشـــير بذلك الى نـوع من المجاز في التعبير(٦١) وذهب بعضهم الى ان هذه الدلالة انما هي من مستتبعات التراكيب ومن ثم تكون دلالة عقلية لا تحتاج الى علاقة وقرينة كدلالة المجاز والاستعارة وقـد ورد في بعض الروايات « غرلا » بمعنى غير مختونين ، اى انهم يحشرون على هيئتهم التي ولـدوا عليهـــا ليس عليهم ولا يملكون شيئا (٦٢) .

- التسبيد : في قوله ﷺ في صـــفة الخوارج « التســبيد فيهم فاش » ٢٦٧/١
فالتسبيد : ترك التدهن وغسل الراس (كـذا قال ابو عبيدة) .
والتسبيد ! انما هو الحلق واستئصال الشـــعر (غير ابي عبيدة)
قال ابو عبيد : وقد يـــراد الأمران جميعا اى ان التسبيد قد يكون كما قال ابو عبيدة او كما قال غيره ، اى انه من المشترك ، وقد ورد المعنيان في الصحاح ٤٨٣/٢

- العير : فيمـا روى عنه ﷺ « انـه حـــرم المدينـــة من عير الى شـــور » ٣١٥/١

---

(٦١) ذكر ابن الجـــوزي المعنيين الاول والثاني ونســب الثاني الى ابي عبيد ، انظر غريب الحديث لابن الجوزي ٩٣/١ ، اما في الصحاح ١٨٧٤/٥ فقد ذكر الجوهري المعنيين الاول والثالث (اصـــحاء ـ ليس معهم) دون ان يبين علاقة احدهما بالآخر .

(٦٢) انظر بحوث في علوم القـرآن للدكتور عبد الغفور جعفر ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، وقد نقل الرأي الذي ذكرناه عن ابن عاشور في التحـــرير والتنوير (المقدمة التاسعة) .

فالعير : اسم جبل فى المدينة (وكذلك ثور)
والعير : الحمـــار (٦٣) .

- الشرق : فى قوله عليه الصلاة والسلام « لعلكم تدركون اقواما يؤخرون الصلاة الى شرق الموتى » ٣٢٩/١

ذكر ابو عبيد للحديث تفسيرين يعتمدان على المراد بالشـــرق اذ قد يراد مصـــدر شرقت الشمس اى ارتفعت عن الحيطان وصـــارت بين القبور كانها لجة (اى اوشكت على المغيب) .

وقد يراد به مصدر شرق (بكسر الراء) بمعنى ان يغص الانسان بريقـه وان يشرق به عنـد الموت .

وما ذكره ابو عبيد عن معنى الشرق عندما يسند الى الشمس هو احد معنيين ذكرهما الخطابى ، اما الثانى فهو شرق بمعنى بدا (اشرق) (٦٤) .

ومن ثم تكون كتب غريب الحديث قد ذكرت للشرق ثلاثة معان :

- مصدر شرقت الشمس اذا اوشكت على المغيب .
- مصدر شرقت الشمس اذا بدت .
- مصدر شرق الانسان بريقه اذا غص به عند الموت .

---

(٦٣) ذكـر الجوهرى فى الصحاح ٧٦٣/٢ أن للعير معانى اخرى منهـــا الجفن ومنها الوقد ومنها الطبل ، وقد اورد ابو عبيد فى غريب الحديث بيت الحارث بن حلزة .

زعمـــوا ان كل من شرب العـــير مـــوال لنـــا وانـــا الـــولاء

ثم ذكر ان بعض الرواة قد حمله على العير فى معنى الجبل المخصوص وبعضهم يحمله على ان العير الحمار ، وقد نقل الجوهرى عن ابى عمرو بن العلاء انه كان يقول : ذهب من كان يحسن هـــذا البيت (الصحاح ، نفس الصفحة) .

(٦٤) غريب الخطابى ١٦٠/١ .

- الحوبة : فى دعائه ﷺ « رب تقبل توبتى واغسل حوبتى »٢٠/٢
وقـد ذكر ابو عبيد للحوبة المعانى الآتية : -

● المـــأثم .

● كل حرمة تضيع ان تركتها من ام او اخت او بنت او غير ذلك.

● الأم خاصة ، وقد نقل ابو عبيد هذا المعنى عن طائفة من اهل العلم وذكر الخطابى انها انما سميت كذلك لما فى تضييعهـا من الحوب وهو الاثم (٦٥) .

- الأقتاب : فى قوله ﷺ « يؤتى بالرجل يوم القيامة فتندلق اقتاب بطنـه » ٣١/٢

● فالأقتاب : جمع قتب وهو المعى فالاقتاب هى الأمعـــــاء (كذا قال الأصمعى) .

● والأقتاب : ما تحوى من البطن اى استدار وهى الحوايا ، أما الأمعـاء فانها الأقصاب .

- القرن : فيما يروى انه ﷺ « قد احتجم بقرن حين طب »٤٣/٢-٠

● فالقرن : شبيه بالمحجمة .

● والقرن : اسم مكان (قرن المنازل) والمعنيان محتملان هنا ، بيد ان ابا عبيد قد نفى المعنى الثانى فقال « ليس هو بالمنزل الذى يذكر وانما هو شبيه بالمحجمة » وقد اورد ابن قتيبة معانى اخرى للقرن عند شرحه لحديث ابى سفيان « ما رايت كاليـــوم طاعة قـــوم ، ولا فارس الاكارم ولا الـروم ذات

---

(٦٥) السابق ٦٠٧/١ ، ومن المعانى الاخرى التى لم يذكرها ابو عبيد الحوبة بمعنى التضرع ، والحوبة بمعنى الهم والحزن (المجموع المغيث للمدينى ٥٢٠/١) ، والحوبة فى معنى المسكنة والحاجة (الصحاح ١١٦/١) .

القرون »(٦٦) ، منها قرن الشـــعر ، والقـــرن فى معنى الجيـــل من النـــاس ٠

- طب : الواردة فى الحديث السابق ، فقد ذكر أبو عبيد ما يشـــير الى كونها من الأضـــداد ٠

قطب هنـــا تعنى ســـحر ، قال ابو عبيد « ونرى انه انما قيـــل له مطبوب لأنه كنى بالطب عن السحر كما كنوا عن اللديغ فقالوا : سليم تطيرا من اللدغ الى السلامة ، وكما كنوا عن الفلاة وهى المهلكة التى لا ماء فيها فقالوا : مفازة تطيرا من الهـــلاك الى الفوز » ، ثم ذكـــر ابو عبيد ان المعنى الأصلى للطب هو الحذق بالأشياء والمهارة فيها ، يقـــال رجـــل طب وطبيب - اذا كان كذلك وان كان فى غير علاج المرض ، قال عنترة :

ان تغدفى دونى القنـــاع فانتنى طب باخذ الفـــارس المستلئم

- ذاكر : فى قول عمر رضى الله عنه عندما سمعه النبى يحلف بابيه فنهاه النبى ﷺ عن ذلك فقال عمر : « فما حلفت بهـــــا ذاكرا ولا آثرا » ٨٥/٢

فقوله ذاكرا تحتمل ان تكون :

- من الذكر بعد النسيان (التذكر) ٠
- من الذكر بمعنى التكلم كقولك ذكرت لفلان حديث كذا وكذا ٠

- الأسنة : فى قوله ﷺ : اذا ســـافرتم فى الخصب فاعطـــوا الركب اســـنتها » ٦٩/٢

فالأسنة : جمع سنان وهى اسنة الرماح ٠

والأسنة : جمع اســـنان التى هى جمـــع سن وتكون على ذلك جمـــع الجمع ٠

---

(٦٦) غريب ابن قتيبة ٢٥٩/١ ٠

- الكلب : فى حديثه ﷺ انـه « رخص للمحرم فى قتـل العقرب والفأرة والغراب والحداة والكلب العقور » ١٦٨/٢
فالكلب : كل سبع يعقر (٦٧) .
والكلب : الأسد فى قوله ﷺ « اللهـم سلط عليه كلبا من كلابك »
والكلب : هو الحيوان المعروف .

- البـاب : فى قوله ﷺ « ان الله منع من بنى مدلج نصلتهم الرحم وطعنهم فى الباب الابل » ٣٠/٣
قال ابو عبيد : ورد الألباب فى معنيين :

● جمع اللب ولب كل شيء خالصه .

● جمع اللبب وهو موضع المنحر من كل شيء .
ومما تجدر ملاحظته هنـا ان الاشـتراك قد نجم عن توافـق ظاهرى فى صيغة الجمع للفظين مختلفين : اولهما اللب بمعنى الخالص كما ذكر ابو عبيد او بمعنى العقل كما فى قوله تعالى « ان فى ذلك لآيات لأولى الألبـاب » (آل عمـران ١٩٠) والثانى اللبب بمعنى المنحر كما قال ابو عبيد او بمعنى موضـع القلادة من الصدر كما جاء فى الصحاح (٢١٦/١) .

- الوشيقة : فى حديثه عليه الصلاة والسلام « انه اتى بوشـيقة يابسة من لحم صيد فقال : انى حرام » . ٣٢/٣
فالوشيقة : اللحم يؤخذ فيغلى اغلاءة ثم يحمل فى الأسفار ولا ينضج والوشيقة : بمنزلة القديد لا تمسه النـار .

- المدمى : فى قوله عليه الصلاة والسلام لسعد - رضى الله عنه - يوم احد « ارم فداك ابى وامى ، قال سعد : فرميت رجـلا بسـهم فقتلته ثم رميت بذلك السهم فاخذته اعرفه ، حتى فعلت ذلك وفعلوه مرات فقلت هذا سهم مبارك مدمى » ٩٥/٣

(٦٧) عرف الثعالبى السـبع بانـه : كل ما له ناب ويعـدو على الناس والدواب فيفترسها ، فقه اللغة وسر العربية ص ٢ .

فالمدمى : هو السهم الذى يرمى به الرجل العدو ثم يرميه العدو بذلك السهم بعينه . قال ابو عبيد : « ولم اسمع هذا التفسير الا فى هذا الحديث ، وقد اخذ الجوهرى هذا المعنى فعرف به المدمى اذ قال : المدمى هو السهم الذى يتعاوره الرماة بينهم (الصحاح ٢٣٤١/٦) .

والمدمى : فى الكلام (اى كلام العرب) هو من الألوان التى فيها سواد وحمرة والعلاقة هنا واضحة بين المعنيين اذ الأول فى الأصل وصف للسيف لما لصق به من دماء العدو فى الأصل ثم عممت الدلالة فصارت وصفا للسيف الذى يتعاوره الرماة مطلقا ، اما المعنى الثانى فانه وصف للون يشبه الدم قبل ان يجف تماما اذ تكون حمرته فى هذه الحالة ضاربة الى السواد (٦٨) .

ـ الصرورة : فى قوله عليه الصلاة والسلام « لا صرورة فى الاسلام » فالصرورة : التبتل وترك النكاح .

والصرورة : (الشخص) اذا لم يحج قط ، قال ابو عبيد وقد علمنا ان ذلك الشخص انما يسمى بهذا الاسم الا انه ليس واحد منهما (من المعنيين بدافع الآخر والأول احسنهما واعرقهما واعرابهما) .

لقد اوضح ابن دريد ـ وتبعه ابن فارس ـ اصل المعنى الثانى وتطوره عن المعنى الأول الذى تطور ايضا عن معنى قديم اذ قال : « اصل الصرورة ان الرجل فى الجاهلية كان اذا احدث حدثا فلجا الى الحرم لم يهج ، وكان اذا لقيه ولى الدم فى الحرم يقول : هو صرورة فلا تهجه ، ثم كثر ذلك فى كلامهم حتى جعلوا المتعبد الذى يجتنب النساء وطيب الطعام صرورة وضروريا وذلك ما عنى النابغة بقوله : (٦٩) .

---

(٦٨) ذهب الزمخشرى الى ان المعنى الأول قد يكون مشتقا من الدامياء بمعنى البركة انظر الفائق فى غريب الحديث ٤١١/١ .

(٦٩) الجمهرة ٤٢٨/٣ وقارن بالصاحبى ص ١٠٤ .

لو انها عرضت لاشمط راهب عبـــد الاله صرورة متعبـــد

أى منقبض عن النساء ، فلما جاء الله جل ثنـاؤه بالاســـلام وأوجب اقامة الحدود بمكة وغيرها سمى الذى لم يحج صرورة خلافا لأمر الجاهلية »(٧٠) .

- الجلب : فى قوله عليه الصلاة والســـلام « لا جلب ولا جنب ولا شـعار فى الاسلام » ١٢٧/٣

الجلب يكون فى شيئين :

● فى سباق الخيل وهـو ان يتبع الرجل الرجل فرســـه فيركض خلفه ويزجره ويجلب عليه ، وهو هذا مصدر جلب عليـــه اذا صاح به وقد نهى عن هذا لأنه ضرب من الخديعة (٧١) .

● أن يقدم المصدق ثم يرسل الى المياه فيجلب اغنام تلك المياه فيصدقها هناك (ولعل هذا من الجلب بمعنى الاتيان) ومن هـــذا المعنى اخـذت الجلوبة وهى ما يجلب للبيع والجليب وهو الذى يؤخذ من بلد الى بلد غيره (٧٢) .

- اشـــاد : فى قوله ﷺ « من اشاد على مسلم عورة يشينه بها شانه الله بها يوم القيامة » ١٢٩/٣

ذكر ابو عبيد فى تفسير الاشادة ان لفظ « اشاد » « يعنى : رفع ذكره ونوه به وشهره بالقبيح ، وكذلك كل شىء رفعته فقـد اشدته ولا ارى البنيان المشيد الا من هـذا » .

---

(٧٠) سنعرض لهذا اللفظ بتفصيل اكثر عند حديثنا عن اثر الاسلام فى اكتساب بعض الألفاظ صفة الغرابة .

(٧١) الصحاح ١٠٠/١ .

(٧٢) وفقا لما ذهب اليه ابن السكيت فان المعنى الأول ماخوذ من قولهم جلب يجلب كضرب اذا صاح به من خلفه ليسبق ، والثانى من قولهم : جلب يجلب كنصر وقد ذكر الحديث شاهدا للمعنى الأول . انظر المشوف المعـــلم ١٦٠/١ .

ان الذى يفهم من كلام ابى عبيد ان الاشادة تستعمل فى الشر ، وقد ورد هذا المعنى فعلا فى معاجم اللغة (٧٣) ، ولكن الاشادة قد تستعمل فى الخير ايضا فقولهم اشاد بذكره تعنى رفع من قدره كما فى الصحاح (٤٩٥/٢) .

وكما ذكر ابن السكيت (المشوف المعلم ٤١١/١) ، ويبدو أن المعنى هو ان يرفع الانسان صوته بذكر اخيه ومن هذا المعنى العام اخذ معنيان فرعيان هما : اشاد به اى رفع من قدره اذا كان رفع الصوت بما يحب ، واشاد به اى شهره بالقبيح اذا كان رفع الصوت بما يكره ، ومن استعمالهم للمعنى الاصلى ما ذكره كل من الجوهرى وابن السكيت (فى الموضعين السابقين) عن ابى عمرو من انه يقال : اشاد بالشىء عرفه ، ويبدو ان عبارة ابى عبيد قد لحقها التصحيف بسقوط الهمزة قبل « وشهره بالقبيح » وربما كانت الواو تفصيلية بمعنى أو (٧٤) ومما يقوى هذا الاحتمال ان رفع الذكر يستعمل عادة فى المدح كما فى قوله تعالى : « ورفعنا لك ذكرك » كما ان لفظ التنويه لا يستعمل الا فى المعنى المحمود اذ يقال نوهت به اذا رفعته ، ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره كما ذكر الجوهرى (الصحاح ٦/ ٢٢٠٤) ونخلص من ذلك الى ان لفظ اشاد تستعمل فى المعانى الآتية :

- رفع ذكره ونوه به .
- شهره بالقبيح .
- رفع الشىء مطلقا (ومنه البناء المشيد)
- عرف به .

- المثانى : فى قوله ﷺ فى الفاتحة « .. انها السبع من المثانى والقرآن العظيم الذى اعطيت » ١٤٤/٣ - ١٤٨

---

(٧٣) انظر مثلا العين ٢٧٨/٦ ، تهذيب اللغة ٣٩٥/١١ ، القاموس ٣١٧/١ ولسان العرب ٢٤٣/٣ .

(٧٤) ممن ذكر ورود الواو بمعنى أو السيوطى فى الاتقان ٢٣٣/١ .

ذكر ابو عبيد ان المثانى على ما جاء فى الآثار وتاويل القـــرآن على ثلاثة اوجـــه :

- القرآن الكريم كله .
- فاتحة الكتاب .
- ما كان دون المئين وفوق المفصل من السور (٧٥) .

لقد ذكر ابو عبيد دليل كل راى من هذه الآراء وقد راى ان الوجه الاول هو اجود الوجوه بدليل هذا الحديث(٧٦) .

٢ ـ الاختلافات اللهجيـة

ليس من النادر ان نجد الالفاظ الموســـومة بالغرابـة منتمية الى احدى اللهجات العربية ، اى انها لم تكن قد شكلت بعد عنصرا من عناصر اللغـة المشتركة التى لها طابع العموم والانتشار بين العرب جميعـا ، وقد لفتت هذه الالفـــاظ ذات الطابع المحلى نظر الامام الخطابى فجعلها وجها من وجوه « الغريب » اذ قال : « والوجـه

---

(٧٥) ذكر ابن قتيبة انها سميت بمئين لأن كل سورة منهـــا تزيد على مائة (آية) او تقاربها وان المثانى هى ماولى المئين من السور وكان المئين مباد وهذه مثان . انظر غريب الحديث لابن قتيبة ٢٤٢/١ .

(٧٦) ذهب بعض الباحثين من المستشرقين الى ان لفظ المثانى معرب ثم اختلفوا فى اللغة التى اخذ منها فقال نولدكه : انه ماخوذ من الكلمـــة الآرامية اليهودية (متنيتا) Neue Bitrage, S. 26 ، وذهب جفرى الى انها ماخوذة من الكلمة العبرية (مشناه Forein Vocabularye P. 257 وكلاهما لم يذكر دليلا على التعريب ، والحقيقـة ان هـذه الكلمة سامية الاصل قـد استعملتها العربية كما استعملتها العبريـة والسوريانية . تشـهد بذلك القوانين الصوتية التى تتحول الثاء السامية الاصلية بمقتضاها الى ثاء فى الآرامية والى شين فى العبرية ، وتبقى ثاء فى العربية فاذا كان ثمت اقتراض بين لغتين او اكثر تكون العبرية او الآرامية هى التى اخذت عن العربية وليس العكس وقد اعترف نولدكه بأن المعنى فى الآرامية اليهودية يختلف تماما عن المعنى فى العربية فهى فى الآرامية تعنى قوانين التشريع وفى العربية آيات سورة الفاتحة .

الآخـر ان يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحل من شـواذ قبائل العرب » (٧٧) ٠

لقد كان المصطفى ﷺ وهو يخاطب ابناء القبائل المختلفة يستعمل الفاظا خاصة بهم قد لا يتيسر فهمها على غيرهم من الحاضرين ، وربما ورد ذلك فى كلامه ﷺ جوابا لمن يخاطبه منهم بلهجته اعتزازا بها او لأنه لا يحسن سواها ، وقد اكد ابن الأثير هذه الحقيقة اذ قال معقبا على خطاب طهفة بن ابى زهير النهدى ورد الرسول ﷺ عليه وكذلك كتابه الى بنى نهـد « ان فصاحة الرسول ﷺ لا تقتضى استعمال هـذه الألفاظ ولا تكاد توجد فى كلامه الا جوابا لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه » (٧٨) ٠

ويروى ايضا ان عليا كرم الله وجهه عندما سمع هذا الحديث (المتبادل بين الرسول وطهفة) قال للرسول ﷺ : « يا رسول الله ، نراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم اكثره ، ونحن بنو اب واحد ، فقال عليه الصلاة والسلام : ادبنى ربى فاحسن تاديبى » (٧٩) ٠

وكما كان الرسول ﷺ يراعى حال المخاطبين من اصحاب اللهجات المحلية الذين نأت ديارهم وبعدت مواطنهم كان عليه الصلاة والسلام يراعى ايضا اصحاب اللهجات الاجتماعية اى تلك الطبقات الاجتماعية فى البيئة المحلية الواحدة اذ يختلف ابناء تلك الطبقات فى طرائق كلامهم وفى الثروة اللغوية التى يستعملونها فلأهل البادية طريقـة تختلف عن اهل الحاضرة وللرعاة اسلوب فى الكلام يختلف عن اسلوب التجار وهكذا ، ولقد كان العلماء العرب اول من تنبـه الى اختلاف

---

(٧٧) أما الوجه الأول فهو ان يراد به بعيد المعنى غامضه ، انظر غريب الخطابى ٧١/١ ٠

(٧٨) انظر كلام طهفة ورد الرسول عليه وكتابه ﷺ الى بنى نهد فى المثل السائر لابن الأثير ٣٣٤/١ ، وانظـره ايضـا فى منال الطالب لابن الأثير (مجد الدين) ص ٧ ٠

(٧٩) منال الطالب ص ٩ ، وقد ذكر ابن تيمية ان هذا الحديث وان كان لا يعرف له اسناد ثابت الا ان معناه صحيح ، فتاوى ابن تيمية ٣٧٥/١٨ ٠

اللهجات الخاصة بالطبقات الاجتماعية ، وها هو الجاحظ ينقل عن صحيفة بشر بن المعتمر « انه كما لا ينبغى ان يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغى ان يكون غريبا وحشيا الا ان يكون المتكلم بدويا اعرابيا فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس ، كما يفهم السوقى رطانة السوقى وكلام الناس فى طبقات كما ان الناس فى طبقات » (٨٠) .

اما ان الرسول ﷺ كان يراعى طبقات الناس فهذا ما قرره الخطابى عندما قرر ان الرسول ﷺ « لما كان قد بعث مبلغا ومعلما فهو لا يزال فى كل مقام يقومه وموطن يشهده يأمر بمعروف وينهى عن منكر ويشرع فى حادثة ويفتى فى نازلة ، والاسماع اليه مصغية والقلوب لما يرد عليها من قوله واعية ، وقد تختلف عنها عباراته ، ويتكرر فيها بيانه ليكون اوقع للسامعين واقرب الى فهم من كان منهم اقل فقها واقرب بالاسلام عهدا » (٨١) .

ان الذى ذكره الخطابى صريح فى ان عبارة الرسول ﷺ كانت تختلف وتتكرر احيانا لتكون فى متناول فهم من هم اقل فقها ولا ريب ان فى ذلك مراعاة لحال المخاطبين الثقافية والاجتماعية .

انه لا ينبغى ان نغفل حقيقة هامة تتصل باستخدام بعض الخواص اللهجية فى لغة الحديث النبوى الشريف وهى ان اللغة العربية كانت قد اكتملت فى عصر الرسول ﷺ فاصبحت وافية تماما بحاجات المجتمع لذلك العهد ، وقد اقتضى هذا ان تستعير اللغة المشتركة من اللهجات المحلية وخاصة لهجة قريش بعض الالفاظ لتكملة ما يكون قد اعتراها من قصور فيما قبل ، وهذا امر طبيعى تلجا اليه اللغات جميعا ، يقول اولمان مؤكدا هذه الحقيقة : « قد تقترض اللغة النموذجية او المشتركة احيانا بعض الكلمات من اللهجات المحلية ... وربما تم هذا الاقتراض من لهجة بعض الطبقات الاجتماعية وهو ما يسمى بالاقتراض

---

(٨٠) البيان والتبيين ١٤١/١ .
(٨١) غريب الخطابى ٦٨/١ .

الاجتماعى » (٨٢) ، وكلا هـذين النوعين يطـلق عليـــه الاقتراض الداخلى ، ويصفه أولمان بانه عمليـــة مستمرة فى كل القطاعات وكل الاتجاهات وهو « يمثل أحد العوامل الكبرى فى استمرار التجـديد فى الثروة اللفظية للغة وذلك بالاضافة الى ما له من تاثير فعال فى (نطاق) المعنى » (٨٣) .

ان ما أورده ابو عبيد وغيره فى غريب الحديث خير شاهد على حدوث هذا الاقتراض من اللهجات فى العربيـــة الفصحى ، يقول ابو عبيد - على سبيل المثال - فى حديث النبى ﷺ « ليس فى الجبهة ولا فى الذخة ولا فى الكسعة صدقة » .. وقال الكسائى : هى الذخة برفع النون وفسرها هو وغيره فى مجلســه بالبقـر العوامـل : قال الكسائى : هذا كلام اهل تلك الناحية كانه يعنى أهل الحجاز وما وراءها الى اليمن (٨٤) .

ان هذا المثال - واشباهه كثير - يوضح لنا ان المصطفى ﷺ كان يستعمل أو يقترض بعض الالفاظ من اللهجات المحلية فيتيح لها بذلك ان تدخل فى اطار الاستخدام اللغوى العام فتصبح بذلك عنصرا من عناصر اللغة المشتركة ، ونخلص من ذلك كله الى أن الرسول ﷺ كان يستخدم بعض الالفاظ ذات الطابع المحلى او الاجتماعى لغرض من الاغراض الآتيـة :

١ - مراعاة حال المخاطبين من اصحاب اللهجات الذين لا يحسنون سواها أو يعتزون بها وربما كان فى ذلك نوع من تاليف قلوبهم باشعارهم بأن لهجتهم الخاصة جديرة بأن يستعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - مراعاة اصحاب الطبقات الاجتماعية وخاصة هـؤلاء الذين ربمـا كانوا اقل فقها بسبب طبيعـــة عملهم كالرعاة من اهـل البادية مثـلا .

---

(٨٢) دور الكلمة فى اللغة ص ١٤٨ ، ١٥٠ .
(٨٣) السابق ، ص ١٥١ .
(٨٤) غريب ابى عبيد ٧/١ .

٣ — ربما استخدم الرسول ﷺ بعض الالفاظ او العبارات من النوعين السابقين لسد فجوة فى اللغة المشتركة وفى هذا اثراء لهذه اللغة وتنمية لهـا ٠

استعمال الالفاظ اللهجية والغرابة :

الذى لا نشـــك فيه لحظة هو ان استعمال المصطفى ﷺ لبعض الخواص اللهجية فى الحالتين الاولى والثانية لم يكن غريبا بالنسبة للمخاطبين وانما كان هذا كلام القوم وبيانهم وعلى هذا ما جاء عن بعضهم وقد قال له قائل : اسالك عن حرف من الغريب ، فقال : هو كلام القوم ، وانما الغريب انت وامثالك من الدخلاء فيـــه » (٨٥) ، ومن ثم تكون الغرابة محصورة فى غير من يتوجه اليهم بالخطاب اى غير اصحاب هذه اللجهات ، اما فى الحالة الثالثة فان الغرابة لا تلبث ان تزول بمجرد ان تشيع الكلمة فى اللغة المشتركة باستخدام الرســـول الكريم لها ونقلها على السنة الرواة ، ولقد كان فى ظروف السياق التى استعملت فيه هذه الكلمة او تلك للمرة الاولى ما يزيل خفاءها ويوضح مدلولهـا ٠

لقد اشتمل الغريب الذى اورده ابو عبيد على الكثير من الالفاظ ذات الطابع اللهجى ، وقد كان ابو عبيد يشير فى الغالب الى اصحاب هذه اللهجات وخاصة من اهل الحجاز ، ولكنه كان يكتفى فى احيـــان اخرى بالقول بان هذا الاستعمال او ذاك « لغة » او ان يقول « وفيه لغة اخرى » وسنوضح كلا النوعين فيما يلى مكتفين بذكر الموضع الذى وردت فيه اللهجة من الحديث الشريف :

(اولا) : اللهجات المنسوبة :

— « ليس فى الجبهـــة ولا فى **النخـــة** ٠٠٠ » هذا كلام اهل الحجاز وما وراءه الى اليمن ٠ غع ٧/١

---

(٨٥) غريب الخطابى ٧١/١ ٠

— « وفى البيت **ســـهوة** ... » وسمعت غير واحد من أهل اليمن يقول : السهوة عندنا بيت صغير . غع ٤٩/١

— « ... ولا **تجـــزىء** عن احد بعدك » تجزىء بمعنى تقضى ، قال الاصمعى أهل المدينة يقولون : فلان يتجازى دينى يتقاضاه . غع ٥٦/١

— « ... كأنها **بنـات حذف** » هى هذه الغنم الصغار الحجازية ، وجاء فى بعض الحديث .. قيل يا رسول الله وما اولاد الحذف ، قال : ضأن ســـود جرد تكون باليمن . قال ابو عبيد وهو احب التفسيرين الى لأن التفسير فى نفس الحديث . غع ١٦١/١

— **والمربـــد** : كل شىء حبست به الابل .. والمربد بلغة اهل الحجاز ، والجرين لهم ايضا ، والاندر لاهل الشام ، والبيدر لاهل العراق . غع ٢٤٧/١

— **الكظامـــة** : آبار تحفر ويباعد ما بينها .. وهذا معروف فى لغة اهل الحجاز . غع ٢٦٧/١

— « فى **الركاز** الخمس » :قال اهل العراق : الركاز المعادن كلهـا وقال اهـل العـــراق انمـا الركاز المدفون خاصـــة .. » . غع ٢٨٤/١ (٨٦)

— **الكثـر** : جمار النخل فى كلام الانصار . غع ٢٨٧/١

— **العثكال** : واما العثكال فالذى يسميه الناس الكباسة وفيه لغتان عثكال وعثكول واهل المدينة يسمونه العذق . غع ٢٩١/١

— « .. يوم **النحر** ثم يوم **القر** » قال ابو عبيد فاذا كان الغد من يوم النحر قروا بمنى فلهذا سمى يوم القر وهو معروف من كلام اهل الحجاز .

---

(٨٦) كلام ابى عبيد هنا يحتمل ان يكون المقصود باهل الحجاز فقهاء اهل الحجاز وكذلك اهل العراق واذا كان الامر كذلك فان كل فريق — ولا شك — متأثر باستعمال اللفظ فى بيئته .

- « **آجام** المدينة » يعنى الحصون وهذا كلام اهل الحجاز .
- **البقع** : جاء عن الاشعرى رضى الله عنه انه خطب فقال : وخمر اهل اليمن البتع (٨٧) . غع ١٧٦/٢
- « **الدباء** » جاء في تفسيره عن ابى بكرة قوله « اما الدباء فانا معاشر ثقيف كنا بالطائف ناخذ الدباء فندخرط فيها عناقيد العنب ... » . غع ١٨١/٢
- « **النقير** » واما النقير فان اهل اليمامة كانوا ينقرون اصل النخلة ثم يشدخون فيه الرطب والبسر ... » . غع ١٨١/٢
- « **مهيم** » وقوله مهيم كانها كلمة يمانية معناها ما امرك او ما هذا الذى ارى بك ونحو هذا من الكلام . غع ١٩١/٢
- « **القلة** » قوله قلتين يعنى من هذه الحباب العظام ، وهى معروفة بالحجاز . ٢٣٦/٢
- « **عنّ** » الواردة فى حديث قيلة « فبينا انا عندها ليلة تحسب عنى نائمة » قال ابو عبيد : « ارادت تحسب انى نائمة » وهذه لغة بنى تميم . غع ٥٥/٣
- « **يبسّ** » : قوله يبسون هو ان يقال فى زجر الدابة بس بس (بالفتح والكسر) .. وهو من كلام اهل اليمن . غع ٨٩/٣

انه توجد بالاضافة الى تلك الأمثلة اللهجية التى صرح ابو عبيد بنسبتها الى اصحابها امثلة اخرى قد ترجع غرابتها الى كونها خاصة لهجية ايضا ولكن ابا عبيد لم يذكر ذلك وقد اعلمتنا به المصادر الاخرى ونكتفى بايراد الالفاظ الآتية :

- **الثفاء** : فى قوله ﷺ : « ماذا فى الامرين من الشفاء : الصبر

---

(٨٧) وردت عبارة ابى موسى الاشعرى فى الطبعة المصرية فى هامش الكتاب ج ١ ص ٣٩٤ وقد اثبتها محقق الطبعة الهندية فى هامش ٦ ج ٢ ص ٢٧٦ ، وقد اورد الزمخشرى ذلك ايضا فى الفائق ٧٢/١ .

والثفـاء » ، قال ابو عبيد : ان الثفاء هو الحرف ، ولم اسـمعه في غير هذا الموضع غع ٤١/٢ ، وقد ذكر نشوان في شمس العلوم (٤٠٩/١) ان الحرف حبّ معروف يسميه اهل الحجاز الثفـاء وبعض اهل اليمن يقول « الحلف » باللام .

- **القـاه** : في قوله ﷺ : « يا رسول الله انا اهل قاه » غع ١١٦/٣ قال ابو عبيد القاه سرعة الاجابة وحسن المعاونة ، وقد ورد هذا اللفظ على لسان رجل من اهل اليمن ، واصله الطاعة كما في قول رؤبة :

لمـا سمعنا لامير قاها

كما وردت مقلوبة على لسان المخبل السعدي في قوله :

وسدوا نحـور القوم حتى تنهنهوا الى ذي النهى واستيقهوا للمحلم

قال ابو عبيد « استيقهوا » اي اطاعوا الا انه مقلوب ، قدم الياء وكان القاف قبلها وهذا كقولهم جبذ وجذب . غع ١١٧/٣

لقد ذكر الجوهري في الصحاح (٤٥٢٢/٦) ان هذه اللفظة من كلام بني اسد وليس هناك ما يمنع ان تكون شائعة الاستعمال ايضا في بني سعد بن تميم الذين ينتمي اليهم المخبل ورؤبة .

- الايهمان : في حديثه ﷺ : « انه كان يتعوذ من الايهمين » . غع ١١٩/٣ ، لقد فسر ابو عبيد الايهمين بانهما السيل والحريق ، وذكر انه يقال في احدهما انه الجمل الصئول الهائج ولم يشر الى خلاف لهجي ، وقد اوضح ذلك ابن السكيت اذ قال : انهما عند اهل البادية السيل والجمل الهائج وعند اهل الامصار السـيل والحريق (٨٨) .

- **العضـة** : في قوله عليه الصلاة والسلام الا انبئكم ما العضـة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : هي النميمة » . غع ١٨٠/٣ في تفسير رسول الله ﷺ ما يشعر بانه كان للكلمة معنى آخر اشار

---

(٨٨) نقل ذلك الجوهري في الصحاح ٢٠٦٥/٥ ، ولم يذكـر ابن السكيت اهل البادية صراحـة في كتاب الالفاظ ، انظر المشوف المعلم ٨٤٨/٢ .

اليه ابن قتيبة فى اصـــلاح غـلط ابى عبيـد وهـو : السحر بلغـة قريش (٨٩) .

- **يتفكنون** : فى قوله عليه الصلاة والســـلام : « ... وبقى قوم يتفكنون » ، وقد ورد فى المزهر (٤٧٣/١) انها بالنون لغة تميم وبالهاء لغـة ازدشنوءة (٩٠) .

(ثانيا) : اللهجات غير المنسوبة :

- تضيفت الشمس للغروب وفيه لغة اخرى تصيفت غ ١٧/١
- زعم الكسائى ان احبنطيت واحبنطأت لغتان غ ١٣١/١
- عذرت الغلام واعذرت لغتان غ ١٣٤/١
- بيد انهم اوتوا الكتاب وميد .. لغتان غ ١٣٩/١
- وفىالأدم لغة اخرى (هى الايدام) يقال : ادم الله بينهما ايداما غ ١٤٣/١
- اغمطت عليه الحمى واغبطت .. لغتان غ ١٥٧/١
- جهشـــنا بالبكاء ، قال ابو عبيد وفيـه لغـــة اخرى اجهشـــنا غ ٢٤٦/١
- والتمبيد ههنا تـرك التدهن ، وبعضهم يقـول : التسميد وهمـا واحد غ ٢٦٨/١
- واما غمط الناس فانه الاحتقار لهم ، وفيه لغـة اخرى غمض الناس (بالصاد) غ ٣١٧/١
- واما الفرس او المهـرة المامورة فانهـا الكثيرة النتـاج ، وفيهـــا

---

(٨٩) انظر هامش ٢ فى غريب ابى عبيد ج ٣ ص ١٨١ حيث نقـــل المحقق كلام ابن قتيبة كاملا وقد ورد البعض فى معنى السحر وانه لغة لقريش عن الأصمعى فى اللسان ٥١٦/٢ .

(٩٠) انظر فى هذه النسبة ايضا ابدال ابى الطيب اللغوى ٤٥٩/٢ ، والقلب والابدال لابن السكيت ص ٦٠ ، وقارن بالدكتـور عـلم الدين الجندى ، اللهجات العربية فى التراث ٢٠١/١ ، وضاحى عبد الباقى ، فى لغة تميم ص ١٤٠

لغتان امرها الله فهى مأمورة ، وأمرها فهى مأمرة غع ١/٣٥٠

- قوله « كلوب من حديد هو الكلاب » وهما لغتان غع ٢/٢٦
- قوله قرسوا يعنى بردوا وفيه لغتان القرس بفتح الراء والقرس بجزمها غع ٢/٣٩

- السرار آخر الشهر ... وفيه لغة اخرى سرر الشهر غع ٢/٨٠
- لبط بالرجل ، وفى هذا لغة اخرى ليست فى الحديث « لبج » بمعنى لبط سواء غع ٢/١١٣

- قوله « طلها » يعنى اهدرها وابطلها وكان ابو عبيدة يقول : فيه ثلاث لغات طلّ دمه وطل دمه ، واطلّ دمه غع ٢/١٦٧
- وفى هذا الحرف لغتان شمت وسمت والشين اعلى فى كلامهم واكثر غع ٢/١٨٤

- يقال « هديت المراة وقد زعم بعض الناس ان فى ذلك لغة اخرى اهديت » والأول افشى فى كلامهم واكثر غع ٢/١٨٨

- هو قمن ان يفعل كذا وهو قمين ان يفعل لغتان غع ٢/١٩٧
- وواحد المغافير مغفور وقال الفراء فيه لغة اخرى المغاثير قال ابو عبيد وهذا مثل قولهم : جدف وجدث ... غع ٢/٢٥٦

- امر بالقدور فكفئت وبعضهم يرويه فاكفئت واللغة المعروفة بغير الف غع ٢/٢٧٦

- قولها (ام زرع) بجحنى فبجحت اى فرحنى ففرحت وفى هذا لغتان بجحت وبجحت (بفتح الجيم وكسرها) غع ٢/٣٠١

- اما الدّف (بالضم) فهو هذا الذى يضرب به النساء وقد زعم بعض الناس ان الدف بالفتح لغة غع ٣/٦٤
- قوله « تحوز » وفيه لغتان التحوز والتحيز غع ٣/١٠٧

- قوله « خنز » يعنى انتن وفيه لغتان خنز يخنز وخزن يخزن مقلوب كقولهم جبذ وجذب غع ٣/١٦٦

- الحش : جماعة النخل وفيه لغتان حش وحشّ (بفتح الحاء وضمها) غع ١٨٥/٣

- القضّ (بالفتح) ويروى بالكسر ، قال ابو عبيد واحسبه لغة غع ١٩٥/٣

- المرماة (بالكسر) وفيه لغة اخرى المرماة (بالفتح) غع ٢٠٢/٣

ان خريطة توزيع اللهجات التى نسبها ابو عبيد او لمكن نسبتها من خلال المصادر الاخرى توقفنا على مدى تاثر لغة الحديث النبوى باللهجات المختلفة او - بعبارة اخرى - على مدى تاثير اللهجات المحلية فى اللغة العربية المشتركة كما تمثلها لغة الحديث النبوى الشريف وقد حازت الحجاز التى يترجح ان المقصود بها لهجة قريش قصب السبق واحتلت المكانة الأولى بين اللهجات المختلفة التى يصورها الجدول الآتى :

اهل الحجاز	١٠	تميم	٢
اهل اليمن	٥	اسد	١
الأنصار او اهل المدينة	٣	ثقيف	١
اهل العراق	١	اهل اليمامة	١
اهل البادية	١	اهل الحاضرة	١

اما الأمثلة اللهجية الأخرى غير المنسوبة فيلاحظ ان العنصر السائد فى اختلافها هو الجانب الصوتى حيث حل صوت ما فى نهجة محل صوت آخر (١١ مثالا) ، يليه الجانب الصرفى فى صيغة فعل وافعل (٨ امثلة) ، ثم الجانب الصوتى الصرفى الذى حلت فيه الحركة فى الصيغة محل حركة اخرى كما فى المرماة (بفتح الميم الأولى وكسرها) (٦ مرات) ، اما الثلاث الباقية فانها تمثل التبادل بين صيغة فعال وفعل ، فعيل وفعل ، فعل وعفل ، مثال واحد لكل .

٣ ـ الألفـاظ المعربة

المعرب ـ الاعجمى :

يراد بالمعرب تلك الكلمات ذات الأصل الاعجمى التى اقترضـها العرب ، واستعملوها استعمال الكلمات العربية الأصيلة ، ومن ثم فان تعـريب اللفظ الاعجمى يعنى « أن تنفـوه به العـرب على منهاجها » (٩١) ، فاذا لم يتكلم به العرب على منهاجهم وابقـوه على حاله فى لغته الأصلية اعتبر اللفظ اعجميا وقد استعمل العـرب فى كلامهم النوعين جميعا ، يقول ابن كمال باشا « ان العرب كمـا تستعمل الكلمة الاعجمية وتجعلها جزءا من الكلام بعـد التعريب ، كذلك تستعملها وتجعلهـا جزءا منه قبله »(٩٢) ، والغـالب على الكلمات المقترضة من لغة اخرى أن تخضع لمقاييس الكلام العـربى ومن ثم تصبح من المعرب ، اما القليل من تلك الكلمـات فهـو الذى احتفظ بصورته الأصلية فلم يغير ولم يلحق بابنية الكلام العربى وهو الذى يطلق عليه « الأعجمى »(٩٣) .

ان اللغة العربية ـ كأى لغة حية فى العالم ـ لم تتوقف خـلال تاريخها الطويل عن التفاعل مع غيرها من اللغات اخذا وعطاء ، ولا غرو فى ذلك لأن استعارة الكلمات انما هى وسيلة من وسـائل تنمية اللغة ، ودليل على حيوية الشعب العربى وعمق صلاته الحضارية بالأمم التى حوله ، ويعتبر البحث اللغوى الحديث الاقتراض من لغة اخرى « واحدا من المصادر الخلاقة وطريقا من الطرق الرئيسـة التى يستطيع ان يسلكها المتكلم حين تدعو الحاجة الى سد النقص فى

---

(٩١) الجوهرى ، الصحاح ١٧٩/١ .

(٩٢) رسالة تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية ص ١ (مخطوط) .

(٩٣) انظر من أسرار اللغة للدكتور ابراهيم أنيس ص ١٢٥ ، وقد ذهب الى ان هذه التفرقة بين النوعين لم يلتزم بها دائما وهذا صحيح ، يدل عليه ان الجوهرى ذكر أن البيطر بمعنى الجد معرب (الصحاح ٢٤٣/١) ، قال ابن كمال باشا « لم يصب الجوهرى فى القول بالتعريب لأنه غير مغير وقد مر أن التغيير معتبر فى التعريب والجوهرى معترف به » (رسـالة تحقيق تعـريب الكلمة ص ٦) .

الثروة اللغوية »(٩٤) ، وبالاضافة الى ذلك فان هناك امورا اخرى تدعو الى الاقتراض منها : ان يكون اللفظ المستعار اخف من نظيره العربى ، ومنها الاستطراف وضرورة القافية (فى الشعر) ، وغير ذلك (٩٥) .

لقد تناول العلماء العرب منذ فترة جد مبكرة قضية الاعجمى والمعرب نظرا لما تضمنه القرآن الكريم من الفاظ غير عربية الاصل ، وقد كان لصاحبنا ابى عبيد رأى جليل فى هذه المسألة ضمنه كتابه غريب الحديث واستطاع به ان يحل معضلة الخلاف بين القائلين بوجود المعرب فى القرآن والنافين لذلك ، يقول ابو عبيد « والا ستبرق انما هو : استبره » يعنى الغليظ من الديباج ، وهكذا تفسيره فى القرآن ، قال ابو عبيد : فصار هذا الحرف بالفارسية فى القرآن مع احرف سواه ، وقد سمعت ابا عبيدة يقول : من زعم ان فى القرآن الستا سوى العربية فقد اعظم على الله القول ، واحتج بقوله تعالى : انا جعلناه قرآنا عربيا » .

وقد روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم فى احرف كثيرة انها من غير لسان العرب، مثل سجيل والمشكاة واليم والطور وأباريق واستبرق وغير ذلك ، فهؤلاء اعلم بالتأويل من ابى عبيدة ، ولكنهم ذهبوا الى مذهب وذهب هذا الى غيره ، وكلاهما مصيب ان شاء الله ، وذلك ان اصل هذه الحروف بغير لسان العرب فى الأصل ، فقال اولئك على الأصل ، ثم لفظت به العرب بالسنتها فعربته فصار عربيا بتعريبها اياه فهى عربية فى هذا الحال عجمية الأصل فهذا القول يصدق الفريقين جميعا » (غريب الحديث ٢٤٢/٤) (٩٦) وما ذكره ابو عبيد يتفق مع احدث ما توصلت اليه

---

(٩٤) أولمان ، دور الكلمة فى اللغة ١٣٤ .

(٩٥) انظر فى امثلة التعريب بسبب خفة اللفظ المعرب او استطرافه ، المعرب للجو اليقى ص ٥٧ ، ٥٨ ، وقارن بـ « تنمية اللغة العربية » ص ١٦ .

(٩٦) لقد وجد رأى ابى عبيد هذا استحسانا وقبولا من جمهور الباحثين قديما وحديثا فقد ارتضاه من القدماء على سبيل المثال ابو حاتم الرازى (كتاب

البحوث اللغوية المعـــاصرة اذ « تنسب الكلمات المســـتعارة للامـــة المستعيرة لها وللأمة المعيرة اياها » على السواء (٩٧) ٠

لقد حاول بعض المحدثين ممن لم يفهم هذه القضية على وجهها الصحيح ان يتخذ من ذلك وسيلة للطعن يغمز بهـا القـــائلين بعدم وقوع المعرب فى القرآن ويرميهم بالتعصب (٩٨) وقد تصدى لذلك الزعم وبين زيفه الدكتور عبد الغفار هلال فقال « وهذه كلها دعاوى زائفة فالقول بعدم وقوع المعرب فى القرآن ليس ناشئا عن نظـرية عنصرية ، وليس القول بوقوع الأعجمى فى القرآن خاصا بالشعوبيين من غير العرب ، بل قال به جمع غفير من العلماء العرب والصـحابة وصدر الأمة منهم عبد الله بن عباس ومجاهد وعكرمة وابـو عبيـــد القاسم بن سلام وغيرهم » (٩٩) ، وكل ما يمكن اضافته هنـــا هو ان ابا عبيدة معمر بن المثنى لا يمكن ان يكون متعصبا للعرب ، بـل عكس ذلك هو الصحيح اذ كان يبغض العرب والف كتـابا فى مثالبهـا كما يقـول الزبيدى(١٠٠) ، وهـــذا يؤكد ما ذهب اليـــه الدكتور عبد الغفـــار هلال من انه لا علاقة لهـذه المســـالة بالتعصب للعرب او ضـــدهم ٠

التعريب والغرابة :

ان الكلمة المعربة قد لا يكون لها شيوع الكلمة العربية الأصـل ، ذلك انها تكون احدث نسبيا فى مجال الاستخدام الفعلى ومن ثـم فلا يمكن المساواة بينها وبين الكلمات العربية الأصيلة التى اسـتقرت فى اعماق الشعور اللغوى جيلا بعد جيل وقد اشار ابو عبيد الى هذه

= الزينة جـ ١ ص ١٣٩) والجواليقى (المعرب ص ٥٢) ، ومن علماء اصول الفقه شمس الدين الاصفهانى (بيان المختصر ٢٣٦/١) ومن المحـدثين يعقـوب بكـر (نصوص فى فقه اللغة ٢٩/٢) ، وحلمى خليل (المولد فى العربية ص ١١٨) ٠

(٩٧) تنمية اللغة العربية ص ١٥ ٠

(٩٨) مقدمة فى فقـه اللغـة العربية للويس عـوض ص ٦٥ ٠

(٩٩) أصل العرب ولغتهم ص ٩٠ ٠

(١٠٠) طبقات النحويين واللغويين ص ١٧٥ ٠

الحقيقة عند تناوله لبعض الألفاظ التي دخلت العربية بعد الفتح الاسلامي، فقد نقل عن ابن عباس انه سئل عن الباذق ، فقال : « سبق محمد ﷺ الباذق وما اسكر فهو حرام » قال ابو عبيد : وانما قال ابن عباس ذلك لأن الباذق كلمة فارسية عربت فلم يعرفها » .
(غريب الحديث ١٧٨/٢)

وربما اضيف الى ذلك سبب آخر هو ان الكلمات الأعجمية لا يشتق منها في الغالب ومن ثم فان ادراك معنى الكلمة يتوقف على استخدامها بذاتها ، اما في الكلمات العربية الأصل فان المشتقات غالبا ما تساعد على فهم ما لم يسمع منها اذ يتاح للقياس اللغوي حينئذ ان يعمل عمله فيقيس المرء ما لم يسمع على ما سمع وهكذا .

لقد اورد ابو عبيد في « غريب الحديث » العديد من الألفاظ المعربة شارحا لها ومفسرا اياها ولم يكن يشير دائما الى اصلها الذي اخذت منه ، بل ربما أهمل الاشارة الى كونها معربة ، ولعله كان يعتبرها قد صارت عربية باستعمال الرسول ﷺ اياها وخضوعها لمقاييس الكلام العربي ، وسنعرض للأمثلة التي اوردها فيما يلي : —

الترعة :

في قوله ﷺ « ان منبري هذا على ترعة من ترع الجنة » غ ع ٤/١ لم يشر ابو عبيد الى كون لفظ « ترعة » معربا وقد ذكر له ثلاثة معان هي :

- الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة (وهو راي ابي عبيدة)
- الدرجة : وهو ما ذهب اليه ابو عمر والشيباني .
- الباب : وهذا الراي ماخوذ من حديث سهل بن سعيد ، واختاره ابو عبيد (١٠١) .

لقد اصاب ابو عبيد في ترجيحه لمعنى الباب لأن هذا المعنى

---

(١٠١) سبق أن تناولنا هذا اللفظ مرتين : الأولى عند الحديث عن المجاز باعتبارها مظهرا من مظاهر الغرابة ، والثانية عند الحديث عن المشترك اللفظي باعتباره سببا لها وقد ذكرنا هناك ان اسباب الغرابة قد تتعدد .

هو ما اقتصر عليه علماء المعرب وهو ايضا المعنى الأصلى للترعة فى السوريانية (الآرامية) ، ويبدو ان التفسير بالروضة قد روعى فيه رواية اخرى للحديث اكثر شهرة وهى « ان منبرى هذا على روضة من رياض الجنة » اما التفسير بالدرجة فلأنها تشبه الباب فى التوصيل ويكون المراد « ان منبره ﷺ على طريق الوصول الى درج الجنة » كما ذكر الشريف الرضى (١٠٣) ، وقد يؤكد هذا ما ذكر الخفاجى من ان الترعة تستعمل فى معنى مفتح الماء ومجراه لأنه يشبه الباب (١٠٤) .

٢ ـ الألوة :

فى قوله ﷺ فى صفة اهل الجنة « ومجامرهم الألوة » غ ١/٥٤ .

قال ابو عبيده : قال الأصمعى : هو العود يتبخر به ، واراها كلمة فارسية عربت ، وقد ذكر ان فيها لغتين الألوة (بفتح الهمزة وضم اللام وتشديد الواو) والألوة (بضم الهمزة واللام وتشديد الواو) ، وقد يقال فيها « الوة » بفتح الهمزة وتسكين اللام وفتح الواو غير مشددة) ، وهذه الأخيرة اقرب الى الأصل الفارسى « الوا » من اختيها (١٠٥) ، وقد ذكر فيها ابن برى لغتين اخريين هما كوة ، ولية » (١٠٦) .

---

(١٠٢) أورد الجواليقى هذه اللفظة فى المعرب ص ١٤٠ وقال انها تعنى الباب بالسوريانية وقد ذكر الخفاجى هذا المعنى ايضا فى شفاء الغليل ص ٨٣ وذكر انها تستعمل (مجازا) بمعنى مفتح الماء ومجراه لأنه يشبه الباب ، وقد ذكر المحبى فى قصد السبيل ص ٤٣٠ (مخطوط) الحديث الشريف شاهدا على انها تعنى الباب ، وقد أوردها ايضا فرنكل ضمن الألفاظ الآرامية المعربة انظر ar. F W, S. 15

(١٠٣) المجازات النبوية ص ١٠٦ .

(١٠٤) شفاء الغليل ص ٨٣ ، وقد ذكر المدينى انها باب المشرعة الى الماء وقيل الكوة (المجموع المغيث ٢٢٥/١) .

(١٠٥) الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ص ١٢ .

(١٠٦) فى التعريب والمعرب لابن برى ص ٤١ ، وقد تصحف الأمر على ابن برى فنسب القول بالتعريب لأبى عبيدة لا لأبى عبيد الذى نقل ذلك عن الأصمعى .

لقد ذكر الجواليقي هـذه الكلمة فى المعرب (ص ٩٢) اعتمادا على ما ذكره ابو عبيد كما ذكر الحديث الذى معقا شاهدا على المعنى الذى اورده (١٠٧) وقد شك المحبى فيما اذا كانت هذه الكلمة فارسية حقـا فذكر انها فارسـية او هندية (١٠٨) ، وقد كان لهذا الشـك ما يبرره لأن الكلمة ليست اصيلة فى الفارسية فقد ذكر بعض الباحثين ان الفارسية ربما كانت قد استعارت هذه الكلمة بدورها من الآرامية أو اليونانية (١٠٩) ، ويترجح لدينـا الاحتمال الأخير حيث انتقلت هـذه الكلمة ايضـا الى لغـات اوربيـة عديدة كاللاتينية والانجليزية والفرنسية والايطالية ، كما يترجح ايضا ان كلا من الفارسية والعربية قـد استعارنا هـذه الكلمة عن طريق الآرامية بدليـل الألف الأخيرة التى هى علامـة التعريف فى الآرامية ، فقـد جاء فى المفصل فى الألفـاظ الفارسية المعربة ان فارسيتها « الوا » (١١٠) وذكر ابو عبيد انـه يقال فيهـا « الـوة » وهـذه هى الصيغة الأصلية فيما نظن وقـد كتبوها بالتـاء ظنـا ان الألف الأخيرة انما هى للتأنيث لا للتعريف . وخلاصة القول ان هـذه الكلمة يونانية الأصل وقد أخذتها عن اليونانية لغات عديدة منها الآرامية وقد انتقلت بعد ذلك الى الفارسية والعربية .

٣ ـ الأرزة

فى قوله صلى الله ليه وسلم « .. ومثل المنافق مثل الأرزة .. » غ ١١٧/١ اوما ابو عبيد الى ان لفظ الأرزة معربة عندما قال : انما هى ارزة بتسكين الراء وهو شجر معروف بالشـام قد رايتـه يقال له الأرزة واحدتها ارزة وهو الذى يسمى بالعراق الصنوبر .. » (١١١) .

---

(١٠٧) ذكر الجوهرى فى الصحاح (٢٢٧١/٦) أن القائل بالتعريب هو الأصمعى وهذا واضح من كلام ابى عبيد .

(١٠٨) قصد السبيل ٢٦٥/١ (مخطوط) .

(١٠٩) الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٢ .

(١١٠) المفصل فى الألفاظ الفارسية المعربة لصلاح الدين المنجد ص ٩٠.

(١١١) لم يرتض ابو عبيد ما ذكره كل من ابى عمرو وابى عبيدة فيمـا يتعلق باشتقاق اللفظ من أصل عربى ، ولم تذكر كتب المعرب التى وقفت عليها هذه الكلمة ضمن المعربات ، ومن ثم تكون تلك الكلمة من اضافات ابى عبيد التى غفل عنها أصحاب المعرب .

٤ - ازدهـــر

في قوله صلى الله عليه وسلم « ازدهر بهذا فان له شـــانا » غ ١٥٧/١ ذكر ابو عبيد ان ازدهر كلمـة ليست بعربية كانها نبطية او سوريانية وقد نقل المحبى عن ابى عبيد القول بتعريبها (قصـد السبيل٢/٢٢٠) ، وذكرها فرنكل ضمن الالفاظ الآرامية المعربة (١١٢)-

٥ - بـــذج

فى قوله عليه الصلاة والسلام « يؤتى بابن آدم يوم القيامة كانه بذج من الذل » غ ١٦٥/١ لم يشر ابو عبيد هنا الى ان اللفظ معرب مكتفيا بذكر معناه عن الفراء وهو ولـد الضان ، وتكاد تجمع المصـادر على ان اللفظ معرب عن اللغـة الفارسية (١١٣) .

٦ - التمـــاخين

فى حديثه صلى الله عليه وسلم « انـه بعث سرية او جيشا فأمرهم ان يمسحوا على المشـاوذ والتماخين » غ ١٨٧/١

لم يزد ابو عبيد فى تفسيره للتماخين على ان قال انها الخفاف وقد ذكر هذا المعنى المحبى فى قصد السبيل ، ولكنه نقل عن حمـزة الاصفهانى ان التسخان معرب « تشكن » وهو غطاء من اغطية الراس كان العلماء والموابدة ياخذونها على رءوسهم خاصة ، وجاء فى الحديث ذكر التماخين فقال من تعاطى تفسيره بانه هو الخف حين لم يعرف فارسيته (١١٤) .

---

(١١٣) المعرب للجواليقى ص ١٠٦ ، قصد السبيل للمحبى ٣٢٨/١ ، المفصل فى الالفاظ الفارسية ص ٩٩ .
(١١٣) انظر . ar. F W, S. 286

(١١٤) قصد السبيل ٤٤٣/١ ، وقد ورد هذا الكلام بنصه فى النهاية لابن الاثير ١٨٩/١ ، ونقله ايضا صلاح الدين المنجد فى المفصل فى الالفاظ الفارسية ص ١٠٧ .

٧ ـ الفـــــدادين

فى قوله صلى الله عليه وسلم « ان الجفاء والقسوة فى الفدادين » غ ع ٢٠٣/١ ذكر ابو عبيد عن ابى عمرو انهـا الفدادين مخففة واحـدها «فدان»وهى البقرة التى يحرث عليها ، والمراد بالفدادين اهلها وكان المعنى ان اهلها اهل قسوة وجفاء لبعدها من الامصار والناس ، وقد اعترض على هـذا الراى بقوله : ولا ارى ابا عمرو يحفظ هـذا وليست الفدادين من هـذا فى شىء ولا كانت العرب تعرفها وانما هذه للروم واهل الشـام وانما افتتحت الشـام بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم رجح راى الاصمعى الذى يقول انها بالتشديد (واحدها فداد) وهم الرجال الذين تعلو اصواتهم فى حروثهم واموالهم ومواشيهم وما يعالجون منها ، قال ابو عبيد ، وكذلك قال الاحمر ، ويقال منه فد الرجل اذا اشتد صوته ثم ذكر رايا ثالثـا لابى عبيدة هو ان الفدادين هم الكثرون من الابل » (١١٥) .

والذى يترجح لدينـا ان ما ذكره ابو عمرو هو الصحيح وقد اوردته كتب المعرب (١١٦) ، وليس فيما ذكره ابو عبيد من ان العرب لم تعرف الفدادين الا بعد الفتح الاسـلامى دليل يعتد به لان التعريب الناجم عن الاتصال الحضارى بين العرب والاراميين قد حـدث قبل الفتح الاسلامى وبعده ، وقد سبق لابى عبيد ان رفض رايـا لابى عمرو وابى عبيدة فى تفسير « الارزة » محتجا بانـه رآها بالشـام ، مما يعنى انها معربة عن كلامهم وقد استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا لان العرب قـد عرفوها من قبل .

٨ ـ القســـى

فى حديثه صلى الله عليه وسلم انه «نهى عن لبس القسى» غ ع ٢٢٦/١

---

(١١٥) ببعض تصرف عن ابى عبيدة فى غريب الحديث ٢٠٣/١ ، ٢٠٤ .

(١١٦) المعرب للجواليقى ص ٢٩٣ ، شفاء الغليل للخفاجى ١٩٧ ، وقد ذكرا انها معربة عن النبطية ، وذكر فرنكل انها ماخوذه من الارامية ، انظـر ar. F A, S. 129

قال ابو عبيد فى تعريفها : انها ثياب يؤتى بها من مصر فيهـــا حرير ... والقسى ينسب الى بلاد يقال لها القس وقد رايتها ، ويقتضى هـذا ان تكون اللفظة غير عربية (١١٧) .

٩ ـ الاجـــــار

فى قوله صلى الله عليه وسلم « من بات على اجار فقد برئت منه الذمـة » غ ع ١/٢٧٥ .

ذكـر ابـو عبيـد ان الاجـار والمـــطح واحـــد مشـيرا الى الى الرواية الاخرى للحديث « من بات على سطح دار ... الخ » ولم يذكر شـيئا عن اصل الكلمة (١١٨) .

١٠ ـ التقصيص

فى حديثه صلى الله عليه وسلم انـه « نهى عن تطيين القبـور وتقصيصها » غ ع ١/٢٧٧ .

ذكـر ابـو عبيـد ان التقصيص هـو التجصيص ذلك ان الجص يقـال له القصة ، ولم يشر الى ان الكلمة معربة ، وقد ذكر الجواليقى (المعرب ١٤٣) ان الجص ليس بعربى ، وذكر ابن دريد (الجمهرة

---

(١١٧) لم تذكر كتب المعرب القسى بالمعنى الذى ذكره ابو عبيد وان كانت قد ذكرت القسى وصفا للدراهم لا للثياب وذكرت انه تعريب « قاش » (المعرب ٣٠٥ ، شفاء الغليل ٢٠٩) وقد ذكر الزمخشرى ان السين هنا مبدلة من الزاى وعلى ذلك يكون المراد الثياب المصنوعة من القز (الفائق ٣/١٩٢) ، والقز اعجمى معرب كما ذكر الجواليقى (المعرب ٣٢١) ، والخفاجى (شـــفاء الغليل ١١٢) ، والجوهرى (الصحاح ٣/٨٩١) .

(١١٨) فى الاجار لغة أخرى « اتجار » وقد ذكر الاجـــار فى المعرب المحيى فى « قصد السبيل » ١/١٧٠ ، وهى معربة من الآرامية كما ذكر فرنكل Fr. F A, S. 25 ، ولكنها ليست اصيلة فى الآرامية فقـــد ذكر تسمرن فى كتابه « عن الالفاظ الاكادية الدخيلة فى اللغات السامية الغربية Zimmern, F W, S. 31 ان هذه اللفظة اكادية استعارتها كل من الآرامية والعربية وربما تكون قـــد انتقلت الى العربية عن طريق الآرامية .

٧٥/٢) انها فارسية اما فرنكل فقد ارجع هذه الكلمة الى اصل يوناني وربما تكون هذه الكلمة قد انتقلت الى العربية عن طريق الفارسية (١١٩) .

١١ - الحواري

في قوله صلى الله عليه وسلم « الزبير بن عمتي وحواري من امتي » غ ٢/١٥ .

قال ابو عبيد : ان اصل هذا من الحواريين اصحاب عيسى صلوات الله عليه وعلى نبينا ، وانما سموا حواريين لانهم كانوا يغسلون الثياب يحورونها وهو التبييض ، ولم يشر الى كونها معربة ، وقد ذكر المحبي (قصد السبيل ٥٩٣/٢) انها معربة من النبطية وكذلك ذكر السيوطي (في الاتقان ١٨١/١) وقد ذكر فرنكل انها ترجع الى اليهودية الآرامية (١٢٠) .

١٢ - الطربال

في قوله عليه الصلاة والسلام « اذا مر احدكم بطربال مائل فليسرع المشي » غ ٢/١٨ .

لقد اشار ابو عبيد الى ان الكلمة ربما كانت غير عربية الاصل اذ نقل عن ابي عبيدة قوله : هذا شبيه بالمنظر من مناظر العجم .. » ولقد اصاب ابو عبيدة في ذلك فهذه الكلمة ماخوذة عن الاصل الفارسي تربالي بهذا المعنى (١٢١) .

---

(١١٩) انظر فرنكل ar. F W, S. 9

(١٢٠) السابق ص ٣٠ ، وقد ذهب نولدكه الى ان هذه الكلمة قد انتقلت الى العربية من طريق الحبشية وانها كانت تعني التلاميذ المقربين من السيد المسيح ثم صارت تعني الرسل . انظر لنولدكه Neue Beit S. 48

(١٢١) انظر في اصل هذه الكلمة فرنكل ar. F W, S. 269 ، وادي شير « الالفاظ الفارسية المعربة ص ١١١ .

١٣ - الكـــــلوب

فى قوله عليه الصلاة والسلام « .. اذا رجل قائم عليه بكلوب » غع ٢٤/٢ .

ذكـر ابـو عبيـد ان فى الكلوب لغـة اخرى « كلاب » ولم يفسـر اللفـظ كما انـه لم يشـر الى انـه معرب » وقد ذكر ادى شير انـه يعنى المهماز وهو حديدة معطوفة الراس ، اما فرنكل فقـد ذهب الى ان اللفظـة قد انتقلت الى العربية عن طريق اللغـة المندعية (المندعية احدى اللغـات المتفرعة عن الآرامية وقد كانت لغـة الصابئة فى جنوب العراق) (١٢٢) .

١٤ النـــــاموس

الوارد فى حديث بـدء الوحى « .. انه ليأتيـه الناموس الذى كان ياتى موسى عليـه السلام » غع ١٩٩/٢ .

فسر ابو عبيد الناموس بانـه صاحب سر الرجل الذى يطلعـه على باطن امـره ويخصه بما يسـتره عن غيره ، ولم يشر الى كون الكلمة معربـة بل ذكر ما يفهم منـه انها عربية (١٢٣) .

والحقيقة ان هـذه الكلمة يونانية الأصل وقـد دخلت العربيـة عن طريق الآرامية وكانت الدوائر المسيحية قـد استخدمتها قبل الإسـلام فى معنى ملك الوحى « جبريل عليه السلام » (١٢٤) .

---

(١٢٢) انظر ادى شير ، الالفاظ الفارسية ص ١٣٦ ، وفرنكل ar. AW .S. 87 ولعل السئول عن تعدد صورة النطق للكلمة (كلوب - كلاب) هو ان الحركة بعد اللام كانت الضمة المالة ومن ثم فقد عربت بالواو عند قـــوم وبالالف عند آخـــرين .

(١٢٣) المراد بالناموس هنا جبريل عليه السلام وقد اجمـــع على ذلك شراح الحديث ، انظر مثلا شرح النووى لصحيح مسلم ٢٠٣/٢ ، فتح البارى لابن حجر ٢٦/١ ، عمدة القارى للعينى ٩٢/١ .

(١٢٤) فرنكل ar. F W, S. 278

١٥ - الدركـــــلة

في حديثه عليه الصلاة والسلام « انه مر على أصحاب الدركلة » غ ٢١٨/٢ .

قال ابو عبيـــد : انما هـــذه الدركلة لعبة للعجم » وقد ذكرت كتب المعرب انهـــا ماخوذة عن الحبشية (١٢٥) .

١٦ - الدائســـــس

الواردة في حديث أم زرع « ... فجعلني في اهل صهيل واطيط ودائس ومنق » غ ٣٠٣/٢ .

ذكر ابو عبيد ان بعض الناس يتاولون قولها « دائس » بانه دئاس الطعام ، واهل الشام يسمونه الدراس ، اما اهل العراق فيقولون : قد داسوا يدوسون ... » قال ابو عبيـــد : ولا اظن واحدة من هاتين الكلمتين (الدئاس والدراس) من كلام العرب .

وهذا الذي ذكره ابو عبيد صحيح اثبته الدرس اللغوي الحديث فقـــد ذكر فرنكل ان الكلمة آرامية (١٢٦) .

١٧ - ســـــــبيج

الواردة في حديث قيـــلة « ... وعليها سبيج لها » غ ٥٢/٣
قال ابو عبيد « واما قولهـــا سبيج فانه ثوب يعمل من الصـــوف لا احسبه يكون الا اسود » ولم يشر الى كون الكلمة عربية أو معربة .

وقد ذكر الجواليقي ان اللفظ فارسي معرب وان اصله بالفارسية « شبي » ومعناه البقيرة (وهي برد يشق فيلبس بلا كمين ولا جيب كما في اللســـان « بقـــر ») .

---

(١٢٥) انظر المعرب للجواليقي ١٩٩ ، وشفاء الغليل للخفاجي ١٢٣ ، وقصد السبيل للمنيني ٦٥٧/٢ .
(١٢٦) فرنكل ar. F W, S. 133

وقد ذكر ادى شير معرب شبى بمعنى الفروة ، وذكر صاحب المفصل انـه بمعنى القميص (١٢٧) .

١٨ ـ الركوســـية

فى قوله عليه الصلاة والسلام لحاتم الطائى « انك م ن اهل دين يقال لهم الركوسـية » غع ٣/٨٧ .

لقد فسر ابو عبيد الركوسية بانها « دين بين النصارى والصابئين » ولم يشر الى اصلها وقد ذكرها المحبى فى قصد السبيل (٢/٧٢٢) ضمن الالفـاظ المعربة واستشهد بالحديث الشريف الذى معنا .

١٩ ـ الطلمـــــة

فى حديثه صلى الله عليه وسلم « انـه مر برجل يعالج طلمة » غع ٣/٩٠

وقد اومأ ابو عبيد الى ان الكلمة ليست عربية بقوله « الطلمة يعنى الخبزة واكثر من يتكلم بهذه الكلمة اهل الشام والثغور » .

وقد تاكد ما اشـار اليه ابو عبيد بما ذكره فرنكل من ان الكلمة معربة من الآراميـة (١٢٨) .

٢٠ ـ جـــون

فى قوله صلى الله وسلم فى وصف السحابة « اجون ام غير ذلك » غع ٣/١٠٥

ذكر ابو عبيد ان الجون هو الاسود البحمومى ولم يشر الى تعريبها .

---

(١٢٧) انظر فى هذه الكلمة المعرب للجواليقى ص ٢٣٠ ، الالفـاظ الفارسية لادى شير ص ٨٣ ، والمفصل فى الالفاظ الفارسية المعربة لصلاح الدين المنجد ص ١٢٣ .

(١٢٨) انظر فرنكل ar. F W, S. 35 ، ولم تتيسر المصادر العربية التى اتيحت لنا الى تعريب هذه الكلمة .

وهـذه الكلمة قد استعملت بكثرة فى فترة ما قبل الاسلام ويبدو ان المقصود بها « اللون الواحد الذى لا يخالطه غيره ويكون حادا غير باهت » ومن ثم صلح اطلاقها على كل لون لامع محدد سواء اكان ابيض ام اسود ام غير ذلك (١٢٩) ، وهذه الكلمة تعريب « كون » الفارسية بمعنى لون ، وقد اشار الجواليقى (المعرب ٢١٣) الى اصل الكلمة عند حديثه عن الزرجون اذ ذكر ان اصله « زركون » اى لون الذهب ، وقد ذكر تعريبها عن الفارسية ايضا ادى شير (الالفاظ الفارسية ص ٤٩) .

وقد ذكر كوفلر انها قد انتقلت الى العربية عن طريق الآرامية (١٣٠) .

٢١ ـ التخـــوم

فمى قوله صلى الله عليه وسلم « ملعون من غير تخوم الأرض » غ ع ١١١/٣

ذكر ابو عبيد ان التخوم تعنى الحدود والمعالم وان فيها قولين :

احدهما لأهل العربية وهى انها مفردة مفتوحة التاء ، وثانيهما لأهل الشام الذين يضمون التاء ويجعلونها جمعا » .

وقد رجح الجواليقى كونها عربية اصلية ولكنه نقل عن بعضهم انها اعجمية معربة (١٣١) .

---

(١٢٩) انظر فى هذا المعنى ف . فيشر فى كتابه عن الالوان FFB. S. 27 وقد ذكر قطرب ان هذه اللفظة تعنى فى لغة قضاعة الاسود وفيما يليها الابيض ولعل منشأ الضدية هنا انها تعنى اللون الحاد مطلقا وهذا يطلق على الاسود كما يطلق على الابيض .

(١٣٠) انظر كوفلر Islamica S. 450

(١٣١) الجواليقى المعرب ١٣٥ ، وقارن بالخفاجى ، شفاء الغليل ٨٣ ، والمحبى قصد السبيل ٤٣٩/١ .

٢٢ - الكراييـــــس

فى حديثه صلى الله عليه وسلم الذى يرويه ابو ايوب « ما أدرى ما اصنع بهـذه الكراييس .. » غع ١٤٣/٣

ذكر ابو عبيد ان الكراييس واحدها كرياس ، وهو الكنيف الذى يكون مشرفا على سطح بقنـاة الى الارض ، فاذا كان اسـفل فليس بكرياس » .

ان وزن الكلمة ومعناها يشيران الى اصلها الاعجمى ، وان لـم تذكرها كتب المعرب ، وقد ذكر محقق كتاب البيان والتبيين ان الكرياس فى قولـه الشاعر :

فنصف النهار لكرياسـه ونصف لماكـلـه اجمـع

من الالفاظ المشتركة بين العربية والفارسية ، وان تفسيره بالفارسية مثله بالعربية (١٣٢) .

٤ - الاســتعمال المجــازى

سبق ان تحدثنا عن المعنى المجازى باعتباره مظهرا من مظاهر الغرابـة ، وسوف نتناول هنا قضية الاستعمال المجازى فى اللفظ المفرد او التركيب باعتبـار ان ذلك قد يؤدى فى بعض الاحيان الى الغرابـة وقد جعلنـا ذلك ضمن العوامل الذاتيـة نظرا لان اللفظ فى ذاتـه لو لم يكن صالحا للاستخدام فى السياق الذى استعمل فيه لعد ذلك من قبيل الخطأ اذ ليس كل لفظ يصلح لان يعبر بـه عن المعنى الذى يقصـد اليه المستعمل حتى ولو كان هـذا المعنى مجازيا ومن ثم فان صلاحية اللفظ للاسـتخدام فى مجال بعينـه انما هى خاصية ذاتيـة له .

ان كل الاستخدامات المجـازية للالفاظ او العبـارات لا تـؤدى بالضرورة الى الغموض ومن ثم الى الغرابة اذ ان بعض تلك الاستخدامات تكون مألوفـة يجرى بهـا الاستعمال ويفهمها الخاصـة والعامة على

---

(١٣٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢٤٢/٣ هامش ٧ .

سواه ، ولكنه قد يوجد الى جانب ذلك بعض الاستخدامات الاخرى التى يتجلى فيها جانب الابداع والمقدرة على تسخير اللغة للتاثير على السامع وتمكين المعنى فى نفسه ولقد اخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ذلك عندما قال : « ان من البيان لسحرا » ويقول بعض اللغويين المحدثين « ان قيمة الابلاغ مرتبطة بتوقعها وبقدر ما تكون الرسالة غير متوقعة بقدر ما يكون الابلاغ اعظم » (١٣٣) .

ان المجاز الذى نقصد اليه هنا اعم من ان يكون لغويا او عقليا او كناية (١٣٤) وقد تناوله بالبحث اللغويون والبلاغيون والاصوليون ومؤلفو علوم القرآن وسواهم (١٣٥) ، وليس هنا محل تفصيل وجهات نظرهم ، وسنكتفى بالاشارة الى وجهة نظر اللغويين كما يعبر عنها احمد بن فارس فى الصاحبى (ص ٣٢١) الذى عقد لذلك بابا اسماه « باب سنن العرب فى حقائق الكلام والمجاز » والحقيقة كما يراها ابن فارس : الكلام الموضوع موضعه الذى ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم فيه ولا تاخير كقول القائل « احمد الله على نعمه واحسانه » وهذا

---

(١٣٣) قائل هذه العبارة هو « شانون » (عن مقدمة تحقيق غريب الحديث لابن قتيبة) تحقيق ودراسة السنية ، ارضا السويسى ص ٥٠ .

(١٣٤) بعض البلاغيين يعتبر الكناية من قبيل الحقيقة وبعضهم يعتبرها من المجاز وفريق ثالث يرى انها وسط بين الحقيقة والمجاز .

(١٣٥) انظر فى المجاز عند البلاغيين : المثل السائر لابن الاثير ١٥٠/١، للطراز للعلوى ٦٤/١ (حيث ذكر تعريفات عدة للمجاز) ، وفى المجاز عند علماء الاصول : التمهيد فى اصول الفقه لابى الخطاب الحنبلى ٧٨/١ ، وشرح مختصر ابن الحاجب المسمى بيان المختصر للاصفهانى ص ١٨٦ ، المغنى فى اصول الفقه للخبازى ص ١٣١ ، وفى معنى المجاز عند مؤلفى علوم القرآن « البرهان فى علوم القرآن للزركشى) النوع الثالث والاربعون (وقد قسم المجاز الى نوعين مجاز مجاز فى المفرد وله سببان احدهما ، الشبه والثانى الملابسة وينقسم الى ستة وعشرين نوعا ، انظرها فى البرهان ٢٥٤/٢ - ٢٩٨) ، اما السيوطى فى الاتقان فقد عقد للمجاز النوع الثانى والخمسين ج ٢ ص ٤٧ وما بعدها ، وممن تناول المجاز ايضا علماء المعانى من امثال ابن قتيبة الذى عقد له فى تاويل مشكل القرآن « باب القول فى المجاز ص ١٠٣ - ١٣٤ . وممن تناول المجاز من اللغويين المحدثين الدكتور عبد الغفار حلال فى « اللغة العربية ، خصائصها وسماتها » ص ١٣٢ .

اكثر الكلام » (١٣٦) ، وبعد ان شرح المعنى اللغوى المجاز بين الفرق بينه وبين الحقيقة فقال : ان الكلام الحقيقى يمضى لسننه لا يعترض عليه ، وقد يكون غيره يجوز مجازه لقربه منه ، الا ان فيه من تشبيه واستعارة وكف ما ليس فى الأول وذلك كقولك عطاء فلان مزن ، فهذا تشبيه وقد جاز مجاز قوله « عطاؤه كثير واف » (١٣٧) .

ونستنتج مما ذكره ابن فارس ان المجاز يشمل التقديم والتاخير والتشبيه والاستعارة وغير ذلك اما ابن جنى فقد ذهب الى ان المجاز ما كان بخلاف الحقيقة اى انه ما لم يقر فى الاستعمال على اصل وضعه فى اللغة وقد ذكر انه يستعمل لاغراض ثلاثة هى الاتساع والتوكيد والتشبيه ، وقد ذكر ان من المجاز فى اللغة ابواب الحذف والزيادات والتقديم والتاخير والحمل على المعنى والتحريف (١٣٨) .

المجاز والغرابة :

لقد ذكر الامام عبد القاهر الجرجانى فى معرض حديثه عن الغرابة فى القرآن الكريم ان معظم ما ذكره العلماء عن الغريب انما كان غريبا بسبب استعارة هى فيه (١٣٨) ، اى ان الاستعارة وهى لون من الوان المجاز هى المسئولة عن اتسام اللفظ او العبارة بسمة الغرابة ، وربما كان المقصود بذلك تلك الاستعارات التى لا يتوصل اليها الا باعمال الفكر وامعان النظر اما فى الحديث النبوى الشريف فان هناك امثلة عديدة ترجع الغرابة فيها الى استعمال الالفاظ استعمالا مجازيا وقد سبق ان اوردنا عند الحديث عن الغرابة فى مظهرها المجازى ستة وخمسين موضعا ترجع الغرابة فيها الى المعنى المجازى ومن ثم يكون السبب فى اعتبارها من الغريب هو استعمال الالفاظ استعمالا مجازيا (١٣٩) ، وقد اغنى ذلك عن اعادتها هنا .

---

(١٣٦) سبق ان ذكرنا ان لابن جنى رأيا مخالفا (انظر هامش ٤٦ فى الفصل الثانى) .

(١٣٧) الصاحبى ٣٢٢ .

(١٣٨) دلائل الاعجاز ٣٩٧ .

(١٣٩) انظر المظهر الثانى من مظاهر الغرابة فى الفصل الثانى من هذا البحث .

لقد كان لرسول الله صلى عليه وسلم فى هذا الباب القدح المعلى والنصيب الأوفى اذ اتى باستعمالات مجازية لم يسبقه اليها احد وقد ذكر الجاحظ من ذلك جملة صالحة نذكر منها قوله عليه الصلاة والسلام « مات حتف انفه » وقد ذكر ابو عبيد (غريب الحديث ٦٨/٢) ان الذى سمع هذا الحديث من النبى صلى الله عليه وسلم قال انها لكلمة ما سمعتها من العرب قط قبل رسول الله ، ومن ذلك ايضا « كل الصيد فى جوف الفرا » وقوله هدنة على دخن وجماعة على اقذاء » (١٤٠) ويمكن ان نضيف الى ما ذكره الجاحظ قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم « لا ترامى ناراهما » (غع ٨٩/٢) ، وقوله عليه الصلاة والسلام « ان من البيان لسحرا (غع ٣٣/٢) .

وقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم « اياكم وخضراء الدمن » (غع ٩٩/٣). لقد كانت المجازات النبوية فى الأغلب الأعم مفهومة من الصحابة رضوان الله عليهم ، وكانوا يسألونه اذا خفى عليهم منها شىء وكأنه صلى الله عليه وسلم كان يريد ان يثبت المعنى فى اذهانهم ويقويه فيفاجئهم بما لم يألفوه ثم يدعهم برهة يفكرون فان اصابوا المعنى فبها ونعمت ، والا كشف لهم قناعه فثبت فى نفوسهم وتمكن من قلوبهم وذلك كما فى المثال الذى ذكرناه آنفا « اياكم وخضراء الدمن » اذ لما اراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يحذر من المظهر الخادع فى النساء وان يبين ان ليس كل ما يلمع ذهبا وجد فى المجاز الوسيلة لذلك فقال : اياكم وخضراء الدمن ، ولما كان هذا الاستعمال المجازى غير مألوف لديهم قالوا يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : المرأة الحسناء فى المنبت السوء .

على ان كثيرا من الاستعمالات المجازية فى الحديث النبوى كانت تجد طريقها الى قلوب السامعين قبل عقولهم فتبهرهم بما فيها من روعة وبيان ، وكانت تلفت اليها انظار الفصحاء الذين كانوا يشعرون بالعجز ازاء تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من تسخير اللغة

---

(١٤٠) انظر هذه الأمثلة وغيرها فى البيان والتبيين ١٥/٢ ، وقد ذكر ابو عبيد هذه الاحاديث ضمن غريب الحديث فى ج ٢ ص ٦٨ ، ٢٢٥ ، ٢٥٨ .

وتطويعها ، ومن امثلة ذلك : ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن سحائب مرت فقال : كيف ترون قواعدها وبواسقها ، قالوا ما احسنها واشد تمكنها ، قال : كيف ترون جونها ؟ قالوا : ما احسنه واشد سواده ، قال : كيف ترون رحاها استدارت ؟ قالوا : ما احسنها واشد استدارتها ، قال : كيف ترون برقها أخفيا أم وميضا ام يشق شقا ؟ قالوا : بل يشق شقا فقال : الحياء .

فقال رجل : يا رسول الله ما افصحك ما رأينا الذى هو اعرب منك ! قال عليه الصلاة والسلام : حق لى فانما انزل القرآن على بلسان مبين (١٤١) .

العوامل الخارجية لظاهرة الغرابة

المراد بالعوامل الخارجية هنا تلك الاسباب التى تؤدى الى غرابة فى معنى اللفظ دون ان يكون لها تعلق باللفظ فى ذاته ، وانما ترجع الى تغير فى ظروف استخدامه سواء اكانت هذه الظروف اجتماعية ام تاريخية ام بيئية ، وسنتناول فيما يلى اهم هذه العوامل واكثرها تاثيرا على الالفاظ ودلالاتها .

تاثير الاسلام فى اللغة :

لقد كان ظهور الاسلام اهم العوامل التى غيرت ملامح المجتمع العربى واكسبت اللغة العربية حيوية هائلة جعلتها تواثم تلك الظروف الجديدة التى لم يألفها العرب من قبل وقد تجلى تاثير الاسلام فى اللغة فى امور عديدة اهمها :

١ - اكساب الالفاظ معانى جديدة بتوسيع مدلولاتها .
٢ - نقل الالفاظ من معانيها اللغوية الى معان شرعية « الالفاظ الاسلامية » .

---

(١٤١) وردت هذه القصة بعبارات مختلفة فقد ذكرها ابو حاتم الرازى فى كتاب الزينة ١٤٥/١ ، وذكرها ابو عبيد فى غريب الحديث ١٠٤/٣ وقد نقلها السيوطى (عن البيهقى) فى المزهر ٣٥/١ .

٣ - اهمال الالفاظ بالقضاء على المفاهيم التى كانت تدل عليها « الالفاظ الجاهلية » .

ولكل امر من هذه الامور علاقة بموضوع الغرابة اذ يشكل كل منها عاملا مهما من العوامل التى تؤدى اليها وخاصة فى الحديث النبوى الشريف .

١ - اكساب الالفاظ معانى جديدة

لقد كان عليه الصلاة والسلام وهو يرسى دعائم المجتمع الاسلامى الجديد يخلع على كثير من الالفاظ معانى لم يالفها الناس من قبل كى تحل محل المفاهيم القديمة البالية وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسالونه عن تلك المعانى فيوضحها لهم فيتلقون ذلك عنه بغاية الرضا والقبول فيزيد ذلكمن ثروتهم فى اللغة ويقوى من ثرائهم فى الايمان، يقول عليه الصلاة والسلام وقد سئل اى الناس افضل ؟ قال : الصادق اللسان المخموم القلب » .

قالوا : هذا صادق اللسان قد عرفناه فما المخموم القلب ؟ قال : هو النقىالذى لا غل فيه ولا حسد (غ ع ١١٨/٣) ، قال ابو عبيد: التفسير هو فى الحديث ، وتعنى عبارة ابى عبيد ان الناس كانوا يتداولون هذا اللفظ فىمعناه الجديد دون ان ينظروا الى الظروفالتى اكتسب فيها هذا المعنى اذ ليسوا جميعا ممن يحفظون نص الحديث كاملا ومن ثم فان اللفظ يعتبر غريبا ، ولا تلبث هذه الغرابة ان تزول عندما يتناول علماء الغريب اللفظ مرتبطا بالسياق الذى قيل فيه مما يكشف عن المعنى الجديد الذى اضيف اليه .

وربما كان عليه الصلاة والسلام وهو بصدد تغيير المفاهيم القديمة هو الذى يبادر بالسؤال حتى يجعل الصحابة يستحضرون المعنى القديم، فاذا ذكروا اللفظ بمفهومه القديم بادرهم عليه الصلاة والسلام بالمفهوم الجديد الذى ينبغى ان يحل محل المعنى القديم او يضاف اليه ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : ما تعدون الرقوب فيكم ، قالوا : الذى لا يبقى له ولد ، فقال عليهالصلاةوالسلام : بل الرقوب الذى لم يقدم من ولده شيئا (غ ع ١٠٨/٣) .

في هـذا الحديث واشباهه كثير ـ نجـد الالفاظ تكتسب الى جانب معانيها القديمة معانى اخرى جـديدة فيكون فى هـذا توسيع لدائرة اسـتخدام اللفـظ وعدماقتصاره على ما كان له من معنى قبل ذلك ، يقول ابو عبيد :

فكان مذهبه (اى الرقوب) عندهم على مصائب الدنيا فجعلها النبى عليه الصلاة والسلام على فقدهم فى الآخرة ، وليس هذا بخـلاف هذا فى المعنى ولكنه تحويل الموضع الى غيره ، ونحو هذا الحديث الآخر « ان المحروب من حرب دينـه » ليس هذا ان يكون من سلب ماله ليس بمحروب انما هو على تغليظ الشان به (اى بمن حرب دينـه) يقول : انما الحرب الأعظم ان يكون فى الدين ، وان كان ذهاب المال قـد يكون حربا ٠٠ » ٠

ووجـه تعلق الغرابة بمثل هـذه الالفاظ التى اكتسبت مفهـومات جديدة ان معانيهـا القديمة لا تزال تستخدم ايضا فتدخل بذلك فى اطار المشترك الذى تنجم عنه الغرابة فى كثير من الأحيان ، ومن الأمثلة الأخـرى التى اوردها ابـو عبيـد وهى بصـدد مما نحن فيـه قولـه عليه الصلاة والسلام :

ـ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الزمارة ، قال ابو عبيد الزمارة : الزانية والتفسير فى الحديث ولم اسمع هذا الحرف الا فيـه (غ ع ١/٣٤١) ٠

ـ قوله صلى الله عليه وسلم « ماذا فى الأمرين من الشفاء : الصبر والشفاء » قال ابو عبيد الشفاء هو الحرف ولم اسمعه فى غير هذا الموضع ، وقد رويت اشـياء فى مثل هـذا لم نسمعها فى اشعارهم ولا فى كلامهم الا ان التفسير فى الحديث ٠٠ ومن ذلك حديثه الآخر « من اطلع من صـــير باب ففقئت عينه فهى هدر ، فتفسيره فى الحديث ان الصير هو الشـق فى الباب ، قال ابو عبيد وفى هذا الباب احاديث كثيرة » (غ ع ٢/٤٣) ٠

ـ قوله ﷺ لرجل حينما سأله رجل ان يعطيه سيفا « لعلك ان

اعطيتك ان تقوم فى الكيول » يعنى مؤخر الصفوف ، وقد ذكر ابو عبيد انه لم يسمع هذا الحرف الا فى هذا الحديث (غ ٢٤٥/٢) (١٤٢) .

ان التأثير النبوى الكريم فى هذا الجانب من اللغة لا يقتصر على المفردات وانما يتجاوزها الى جانب التراكيب ودلالاتها فقد نقل ابو حاتم الرازى عن ابى عبيد (وان لم نجده فى غريب الحديث) قوله : حدثنا مروان بن معاوية عن سفيان بن زياد قال سمعت سعيد بن جبير يقول : ما اعطى احد « انا لله وانا اليه راجعون » و « ما شاء الله كان » الا النبى ﷺ ولو اوتيه احد لأوتيه يعقوب حين قال « يا اسفا على يوسف » وقد علق ابو حاتم على ما ذكره ابو عبيد بقوله : فهذه الكلمات كلها ظهرت فى الاسلام على لسان محمد ﷺ بلسان عربى ولم تكن لسائر الأمم على هذا النظم العجيب والاختصار الحسن » (١٤٣) .

٢ ـ الألفاظ الاسلامية :

لقد تناول ابو عبيد بعض الألفاظ التى اصطلح على تسميتها بالألفاظ او الكلمات الاسلامية باعتبارها الفاظا غريبة ، وقد توسع ابن قتيبة فى هذا الباب فاستدرك على ابى عبيد الفاظا كثيرة صدر بها كتابه « غريب الحديث » وقد علل لذلك بقوله « ورايت ان افتح كتابى هذا بتبيين الألفاظ الدائرة بين الناس فى الفقه وابوابه ، والفرائض واحكامها ليعلم من اين اخذت تلك الحروف (الكلمات) ليستدل باصولها فى اللغة على معانيها (فى الشرع) كالوضوء والصلاة والزكاة والأذان والصيام ... » (١٤٤) . وقد الف فى هذا النوع ابو حاتم الرازى كتابه « الزينة فى الألفاظ الاسلامية العربية » وقد وضح المراد منها بقوله : ومنها (من الأسماء) اسام دل عليها النبى ﷺ فى هذه الشريعة ونزل بها القرآن فصارت اصولا فى الدين وفروعا

---

(١٤٢) انظر أمثلة أخرى لهذا النوع من الغريب فى « الحديث النبوى من الوجهة البلاغية للدكتور عز الدين السيد ص ٣٧٤ .

(١٤٣) الزينة فى الكلمات الاسلامية العربية ١٥٢/١ .

(١٤٤) غريب الحديث لابن قتيبة ١٥٢/١ .

فى الشريعـــــة لم تكن تعرف قبل ذلك وهى مشـــــتقة من الفـــاظ العرب (١٤٥) ، وقد اكد هذا المعنى مرة اخرى بقوله : « ان الأسماء التى هى مشتقة من كلام العرب ولم تكن تعرف قبل ذلك مثل المؤمن والكافر لم تكن العرب تعرفها ، لأن الاسلام والايمان والنفاق والكفر ظهر على عهـــد النبى ﷺ ، وانما كانت العرب تعـرف الكافر كافر نعمة ، لا تعرفه بمعنى الكفر بالله ٠٠ » (١٤٦) ٠

الألفاظ الاسلامية والغرابة :

ان الغرابة هنا اى الغموض فى المعنى المراد من اللفظ انما تاتى من جهة ان هذه الألفاظ الشرعية لم تفقد معانيهـا اللغوية التى كانت تدل عليها قبلا ، اى انها صارت تدل على معانيها الاصطلاحية الجديدة الى جانب دلالاتها السابقة فاذا ورد اللفظ من ذلك فان ظروف السياق التى ذكر فيها كانت كفيلة بتحديد المعنى المراد ومن ثم ازالة الغموض وازاحة الغرابة ، بيد ان الرواة ربما نقلوا الينا الحديث النبوى الشريف دون ان ينقلوا الينا الظروف السياقية أو المقام الذى قيل فيه ، وهنـا كان ابو عبيد وغيره من علماء الغريب يشرحون المراد بهذا اللفظ ، خاصة اذا استعمل فى معناه القديم فى ضوء ما يعرفونه عن المقام الذى استعمل فيه ، ومن اوضح الأمثلة على ذلك ما حكاه كل من ابى عبيد وابن قتيبة فى قوله عليه الصلاة والسلام : « توضئوا مما غيرت النار ولو من ثور اقط (غ ٢/١٢٦) ، اذ مما لا شك فيه ان الذين وجه اليهم المصطفى ﷺ هذا الخطاب كانوا يعرفون المراد بالوضوء هنا فلما طال العهـــد وبعدت الشقة صار الناس فى عصر ابن قتيبـــة لا يعرفون ذلك وهل المقصود بالوضوء هو وضوء الصـــــلاة اى الوضوء بمعناه الشرعى أو الوضوء بمعناه اللغوى وهو مجرد النظافة ، مما جعل ابن قتيبة يعتبر هذا اللفظ من الألفاظ الغريبة التى تحتاج الى بيان المراد ٠

ومما يلفت النظر هنا ان ابا عبيد وان اورد هذا الحديث الا انه لم يتعرض لبيان معنى الوضوء واكتفى ببيان معنى الثور ، اما ابن قتيبة فقد ذكر ان المراد بالوضوء مما مست النار » وهو غسل اليد والفم

---

(١٤٥) كتاب الزينة ١/١٣٤ ٠
(١٤٦) السابق ١/١٤٠ ٠

بعد الفراغ من الطعام لينظفا ويطيب ريحهما » ، ثم استطرد ببيان ظروف السياق التى قيل فيها عندما قال : « وكان اكثر الأعراب لا يغسلون ايديهم ويقولون : فقده اشد من ريحه فادبنا نبينا محمد ﷺ بغسل اليد مما مست النار ، يريد الأطيخة والشواء وقد جرى الناس من بعد فى كل عصر وكل ناحية على الوضوء من الزهم ، وان يقولوا اذا غسلوا ايديهم توضأنا ، يريدون نظفنا ايدينا من الزهم لنطعم بها .. ومن توضا مما غيرت النار (وضوء للصلاة) فغسل وجهه ورجليه فانما وقع غلطه فى ذلك لأنه لما راى وضوء الصلاة على هيئته ظن ان كل وضوء امر به على تلك الهيئة ، والوضوء فى اللغة على ما اعلمتك ، فقد يكون للعضو الواحد يدلك على ذلك حديث « الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده ينفى اللمم ، فسمى غسل اليد وضوءا » (١٤٧) .

لقد اورد ابو عبيد من تلك الألفاظ الاسلامية طائفة لا باس بها نكتفى منها بتناول مثال واحد تفصيلا ثم نشير الى الباقى على وجه الاجمال ، ونقصد بذلك المثال لفظ الصلاة .

الصـــــــــلاة (غ ع ١/١٧٧ ـ ١٧٨) :

قال ابو عبيد فى حديثه عليه الصلاة والسلام « اذ دعى احدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليأكل وان كان صائما فليصل » .

قوله : فليصل يعنى يدعو له بالبركة والخير ، قال ابو عبيد كل داع فهو مصل (١٤٨) وكذلك هذه الأحاديث التى جاءت فيها صلاة الملائكة كقوله « الصائم اذا اكل عنده الطعام صلت عليه الملائكة حتى يمسى » وحديثه « من صلى على النبى ـ ﷺ ـ صلاة صلت عليه الملائكة عشرا » وهذا فى حديث كثير فهو عندى كله الدعاء ومثله فى الشعر فى غير موضع ، قال الأعشى :

---

(١٤٧) غريب الحديث لابن قتيبة ١/١٥٦ وما بعدها .

(١٤٨) وردت بهذا المعنى ايضا فى القرآن الكريم فى آيات عديدة ، انظرها فى تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٦٠ .

وصهبـــاء طاف يهوديهـا وابرزهـا وعليهـا ختـــم
وقابلها الريـح فى دنهـا وصلى على دنها وارتسـم

يقول صلى على دنها اى دعا لها بالسلامة والبركة .. » (١٤٩) ثم استطرد ابو عبيد ببيان بقية المعانى فقال « واما حديث ابن ابى اوفى انه قال : « اعطانى ابى صـــدقة ماله فاتيت بها رسول الله ﷺ فقال : اللهمصل على آل ابى اوفى » فان هذه الصلاة عندى الرحمـــة ومنه قولهم : اللهم صل على محمد ، وقوله سبحانه : « ان الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ثم لخص ابو عبيد معانى الصلاة بقوله « والصلاة ثلاثة اشـــياء الدعـاء والرحمة والصلاة » (الشرعية) .

لقـــد اطلق ابو عبيـــد وتبعـه كثير من اللغويين وعلمـــاء الأصول (١٥٠) القول بان الصـــلاة ـ لغويا ـ تعنى الدعاء ، ولكن السهيلى (صاحب الروض الآنف) لم يوافقهم على ذلك وذهب الى ان هناك فرقا بين الصلاة والدعاء وان الصلاة اصلها انحناء وانعطاف من الصلوين وهما عرقان فى الظهر الى الفخذين ، ثم قالوا صلى عليه بمعنى انحنى عليه ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة اذا ارادوا المبالغـة فيها (اى الرحمة) فقولك صلى الله على محمـــد هو ارق وابلغ من قولك رحم الله محمدا فى الحنو والعطف والصلاة اصلها فى المحسوسات عبر بها عن هذا المعنى مبالغة وتاكيدا ..

ومنه قيل صليت على الميت اى دعوت له دعاء من يحنو عليه ، ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الاطلاق ، فلا تقول صليت

---

(١٤٩) يتفق ما ذكره ابو عبيد فى هـذا المعنى وما قرره ابو حاتم فى كتاب الزينة ١٤٧/١ من انهم كانوا يعرفون الصلاة بانها الدعاء وقد استشهد على ذلك بقول الاعشى ايضا :

فـان ذبحت صـــلى عليهـا وزمزمـا

(١٥٠) ممن ذهب الى ذلك من اللغويين ابن قتيبة فى غريب الحديث ١٦٧/١ ، وابن فارس فى الصاحبى ص ٨٤ ومن علمـاء الأصـول ابو الخطاب الحنبلى التمهيد فى أصول الفقه ٨٨/١ .

على العدو اى دعوت عليه ، وانما يقال صليت عليه فى معنى الحنو والرحمة والعطف لانها فى الأصل انعطاف ، ومن اجل ذلك عديت فى اللفظ بعلى ، ولا تقول فى الدعاء الا صليت له بمعنى دعوت له فتعدى الفعل باللام الا ان تريد الشر والدعاء على العـــدو فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء واهل اللغة لم يفرقوا ولكن قالوا الصلاة ـ لغة ـ بمعنى الدعاء مطلقا ولم يفرقوا بين حال وحال ولا ذكروا التعدى باللام ولا بعلى .. » (١٥١) .

ومن ذهب الى هذا الراى من القدماء الشهاب الخفاجى الذى راى ـ كالسهيلى « ان الأصل فى معنى الصلاة الانعطاف الجسمانى لانها مأخوذة من الصلوين ، ثم استعمل فى الرحمة والدعاء لما فيها من التعطف المعنوى ولذلك عدى بعلى كما يقال تعطف عليه » (١٥٢) ، وقد ايد بعض الباحثين المحدثين ما ذهب اليه السهيلى ورأى انه قد « اعتمد فى التفريق بين الصلاة والدعاء على حقائق اللغة وعلم النحو ولم يسلك مسلك الذين ردوا ما قيل فى تفسير الصلاة دون تحقيق » (١٥٣) .

ان ما ذكره السهيلى ومن نحا نحوه لم يغب عن بال علمـــاء الغريب واللغويين ولكنهم لم يذهبوا الى ما ذهب اليه السهيلى نظرا لأن بعض الصلوات الشرعية وهى الصلاة على الميت ليس فيها انحناء . يقول ابن قتيبة ـ مشيرا الى مذهبهم وسبب رفضه لذلك ـ : « فسميت الصلاة بذلك لأنهم كانوا يدعون فيها ويدلك على ذلك الصلاة على الميت انما هى دعاء له ليس فيها ركوع ولا سجود »(١٥٤) ،

---

(١٥١) الروض الأنف للسهيلى ١٦٩/١ ، وقارن بالدكتور حامد شعبان ، البحوث اللغوية فى الروض الأنف ص ١١٦ .

(١٥٢) شرح درة الغواص للخفاجى ص ٥ ، وقد أجاز بعضهم وجوها أخرى فى اشتقاق الصلاة فقال النيسابورى فى تفسير غرائب القرآن ١٣٥/١ ، ان الصلاة اما من الدعاء واما من قولهم صليت العصا بالنار اذا ليتنها .. واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا أى ملازما للسابق ...» .

(١٥٣) البحوث اللغوية فى الروض الأنف للدكتور حامد شعبان ص ١١٧ .

(١٥٤) غريب الحديث لابن قتيبة ١٦٧/١ .

ومع ذلك فان وجهة السهيلى لا تخلو من وجاهة اذ هى لا تنفى كون الصلاة دعاء وانما تخصصها بانها تعنى الدعاء بالخير ، اما كون اللفظ مشتقا من الصلوين وانه كان يعنى فى الأصل الانحناء فهـذا مجرد افتراض ليس له ما يؤيده من الوجهة اللغوية ، وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان اللفظ مستعار من اللغة الآرامية وانه تعريب للفظ « صلوثا » بالضمة الطويلة الممالة بعد الواو (١٥٥) وان هذا يفسر كتابتها بالواو فى المصحف الشريف ، واذا صح ذلك فان البحث عن اشتقاق له (فى اللغة العربية يصبح عبثا لا طائل تحته اذ ان من زعم اشتقاق الاعجمى من العربى كان بمنزلة من ادعى ان الطير ولد الحوت كما يقول ابن السراج(١٥٦) .

اما بقية الامثلة التى اوردها ابو عبيد فى الغريب وهى من الالفاظ الاسلامية فاننا نشير الى مواضعها اجمالا فيما يأتى :

ـ التحيات	غع ١١١/١	ـ الاهلال بالحج	١٨٥/١
ـ الاستطابة	« ١٨٠/١	ـ التيمم	١٢٥/٢
ـ شعائر الحج	« ٦٥/٢	ـ المنافق	١٣/٣
ـ الكافر	« ١٣/٣	ـ القنوت	١٣٣/٣
ـ التلبية	« ١٤/٣		

لقد كان ابو عبيد كما سبق ان ذكرنا مقتصدا فى هذا الباب اقتصادا كبيرا مما حدا بابن قتيبة ان يكمل ما فاته وقد ذكر من الالفاظ الاسلامية ما يزيد على السبعين لفظا استغرقت فى كتابه ما ينيف على المائة صفحة (انظر غريب ابن قتيبة ١٥٣/١ ـ ٢٥٦) وقد كان ما ذكره ابن قتيبة فى غريب الحديث وكذلك فى كتابيه تأويل مشكل القرآن وتفسير غريب القرآن هو الاساس الذى انطلق منه ابو حاتم الرازى فى تاليف كتابه « الزينة فى الالفاظ الاسلامية العربية » .

الالفاظ الجاهلية :

اذا كان تاثير الاسلام وبناء المجتمع الجديد يتضح فى تلك الالفاظ

---

(١٥٥) شبتالر فى بحثه عن كتابة لفظ الصلاة فى القرآن المنشور فى مجلة W Z K M (1960) S. 216

(١٥٦) المعرب للجواليقى ص ٥٩ .

التى اكتسبت الى جانب معانيها فى اللغة معانى اخرى (١٥٧) ، فان اثر الاسلام على الجانب الآخر وهو القضاء على بعض الالفاظ بالقضاء على معانيها والنهى عنها لا يقل عن ذلك وضوحا ، ذلك ان البناء السليم للمجتمع لا يتم الا بازالة عوامل الفساد والتعفن البالية التى كانت متغلغلة فى المجتمع الجاهلى القديم ، ولا شك ان فى الاقلاع عن المفاهيم والقيم الجاهلية يستلزم التخلى التدريجى عن الالفاظ التى كانت تدل عليها وقد تناول ابن فارس الامرين معا وقد صدر تناوله للامر الاول وهو الالفاظ الاسلامية ببيان اثر الاسلام فى المجتمع بقوله :

« كانت العرب فى جاهليتها على ارث من ارث آبائهم فى لغاتهم ووآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله جل جلاله بالاسلام حالت احوال ونسخت ديانات وابطلت امور ونقلت من اللغة الفاظ عن مواضع الى مواضع اخر بزيادات زيدتوشرائع شرعت وشرائط شرطت»(١٥٨) .

اما النوع الثانى وهو تلك الالفاظ الجاهلية التى قل استعمالها او بطلت ببطلان ما تدل عليه فقد عقد لها بابا اطلق عليه « باب آخر فى الاسماء » وكانه كره ذكر الجاهلية ، ولكن لم يفته الربط بين هذا الباب والباب السابق اى ذلك الذى عقد للاسباب الاسلامية فقال : « قد قلنا فيما مضى ما جاء فى الاسلام من ذكر المسلم والمؤمن وغيرهما .. » وبعد ان تحدث عن لفظ مخضرم باعتباره من الالفاظ التى استحدثت فى الاسلام قال : ومن الاسماء التى كانت فزالت بزوال معانيها قولهم : المرباع والنشيطة والفضول ، والاتاوة والمكس الخ » (١٥٩) ، وهذه الالفاظ الاخيرة هى التى نطلق عليها اسم « الالفاظ الجاهلية » .

---

(١٥٧) هذا هو راى الاشاعرة ، وقد ذهب بعض علماء الاصول الى ان هذه الالفاظ قد نقلت من اللغة الى الشرع وهى حقيقة فيه والى هذا ذهب ابو حنيفة والمعتزلة ، انظر فى الخلاف حول هذه المسالة وثمرته ، التمهيد فى اصول الفقه ٨٨/١ .

(١٥٨) الصاحبى ٧٨ .

(١٥٩) السابق ص ١٠٠ - ١٠٧ .

الألفاظ الجاهلية والغرابة :

كما ذكرنا من قبل فان الاسلام قد قضى على كثير من عادات المجتمع الجاهلى ومن ثم فان الألفاظ التى كانت تدل على هذه العادات لم يعد لها بالتدريج مكان فى المجتمع الجديد ، بيد ان ورود هذه الألفاظ فى السنة النبوية الشريفة على سبيل النهى عنها قد حفظها من الضياع النهائى فبقيت شواهد على ما كان يبوء به ذلك المجتمع قبل ان يخرج بالاسلام من الظلمات الى النور (١٦٠) .

وقد اضحت بعد ان عزف الناس عن معانيها غير واضحة فى الأذهان وخاصة كلما طال بها الأمد وبعد العهد ، وهنا لم يجد علماء غريب الحديث مناصا من التعرض لها بشرح ما كانت تدل عليه .

لقد تضمن كتاب ابى عبيد ما ينيف على العشرين لفظا او تركيبا تتعلق بعادات الجاهلية وقد ابطلها الاسلام فلم تعد معروفة وخاصة بين الأجيال التى نشأت فى ظل الاسلام ، ومن امثلة ذلك :

ـ وقال ابو عبيد فى حديثه عليه الصلاة والسلام « لا فرعة ولا عتيرة » غ ١٩٦/١ ، قال ابو عمرو : هى الفرعة والفرع ـ بنصب الراء ـ (١٦١) ، وهو اول ولد تلده الناقة ، وكانوا يذبحون ذلك لآلهتهم فى الجاهلية ، قال ابو عبيد واما العتيرة فانها الرجبية وهى ذبيحة كانوا يذبحونها فى رجب يتقرب بها اهل الجاهلية ثم جاء الاسلام فكان على ذلك ، ثم نسخ بعد .. » .

ـ وقال ابو عبيد فى حديث النبى ﷺ حين اتاه عدى بن حاتم قبل اسلامه فعرض عليه الاسلام فقال له انى من دين (اى من اهل دين) فقال عليه الصلاة والسلام : « انك تأكل المرباع وهو لا يحل لك فى دينك .. الخ الحديث » . غ ٨٧/٣

---

(١٦٠) وقد ساهم الشعر الجاهلى فى الحفاظ على هذه الألفاظ اذ انه سجل مظاهر الحياة الجاهلية تسجيلا دقيقا .

(١٦١) النصب هنا من مصطلحات الكوفيين والمراد به فتح الراء .

قال ابو عبيد : واما قوله المرباع فانه كل شيء يخص به الرئيس في مغازيهم ياخذ ربع الغنيمة خالصا له .. وقد كان للرئيس مع المرباع اشياء سوى هذا ، قال الشماخ يمدح رجلا :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

فالمرباع : ما وصفنا ، والصفايا واحدها صفي : وهو ما يصطفيه لنفسه اى ما يختاره لنفسه من الغنيمة ايضا قبل القسم .. » (١٦٢) .

ان هذه الالفاظ : الفرعة ـ العتيرة ـ المرباع وغيرها مما ابطله الاسلام قد ذكرها علماء الغريب وفسروها ولا يعدو السبب المباشر في غرابتها ان يكون عدم الحاجة اليها في الاستعمال اليومي او الادبي للغة في المجتمع الجديد وما كان ذلك كذلك الا لان الاسلام قد ابطل ما كانت تدل عليه من معان او ترمز له من عادات جاهلية ، ومن الالفاظ الجاهلية التي ذكرها ابو عبيد :

ـ الهامة والصفر	غع ١/٢٥
ـ المجر	» ١/٢٠٦
ـ الملاقيح والمضامين	» ١/٢٠٧
ـ المحاقلة والمزابنة	» ١/٢٢٩
ـ النياحة والانواء	» ١/٣٢٠
ـ تقليد الخيل الاوتار	» ٢/١
ـ العيافة والطرق	» ٢/٤٤
ـ واد البنات	» ٢/٥٠
ـ العمرى والرقبى	» ٢/٧٨
ـ ان ترمى المتوفى عنها الكلب ببعرة ثم تخرج	» ٢/٩٦

(١٦٢) ذكر ابن فارس هذه الالفاظ (المرباع ـ النشيطة ـ الفضول) واصفا اياها بانها من الاسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها ، ولم يذكر منها الصفايا لان الرسول ﷺ قد اصطفى في بعض غزواته وخص بذلك ، قال ابن فارس : وزال اسم الصفى لما توفى رسول ﷺ . (الصاحبي ١٠٣) .

- اغـلاق الرهن » ١١٤/٢
- سب الدهـر » ١٤٦/٢
- ذبائح الجن » ٢٣١/٢
- القصارة وما سقى الربيـع » ٤٣/٣
- الجلب والجنب والشـغار » ١٢٧/٣

انه اذا كانت هذه الالفاظ قد قلت فى الاستعمال نتيجة النهى عن المفاهيم التى كانت تعبر عنها فان هناك الفاظا اخرى ترك المسلمون استعمالها لانهم امروا بذلك امرا مباشرا فمن ذلك قولهم « راعنا » قال تعالى « لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا » (البقرة - ١٠٤) ، ومنه قوله ﷺ لعمير بن وهب وقد دنا منه قائلا : انعم صباحا « وقـد اكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية اهل الجنة » يقول بعض الباحثين « ويبدو ان ذلك (اى تغيير الالفاظ والنهى عن استعمال بعضها) ، قد استقر فى نفوس المسلمين وبات متوقعا منـه ﷺ ، يـدل على ذلك ما يرويه البخـارى انه ﷺ سال اى يوم هـذا ، فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه سوى اسـمه ، قال : اليس يوم النحر ؟ قلنـا بلى .. الخ » (١٦٢) .

التطـور اللغـــوى

من الحقائق المسلمة ان اللغة تنمو بنمو المجتمعات التى تستخدمها، وتتطور بتطورها ، واللغـة العربيـة - كـاى لغـة حيـة - قـد استجابت لهذا القانون الطبيعى فطوعت نفـسها لتكون وافية بحاجـة المجتمع الجديد الذى وضعت لبناته الأولى فى الجزيرة العربية فى عصر المصـطفى ﷺ ، ثم ما لبثت الفتوح الاسـلامية ان اظلت براية الاسلام امما وشعوبا كثيرة اتخذت بالتدريج من اللغـة العربية لسـانا لهـا ، ليس فى الحياة اليومية فقط وانما لغة للتعبير الادبى ايضا .

لقد تغيرت فى هذا المجتمع الجديد بمرور الوقت اساليب الحياة ووسائل الرزق ومن ثم اصبحت الالفاظ المستخدمة مختلفة الى حـد

---

(١٦٣) المجاز اللغوى واثره فى الدرس اللغوى لمحمد بدرى عبد الجليل ..

كبير عن تلك التى كان العرب يستعملونها فى جزيرتهم ابان عصر النبوة المبارك ، ولقد حاول العلماء جاهدين الحفاظ على العربية الموروثة فوضعوا علوم اللغة المختلفة من اصوات ونحو وصرف وغير ذلك حتى يكفلوا الفهم الصحيح والاستخدام الامثل للغة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .

التطور اللغوى والغرابة :

على الرغم من الجهود المشكورة التى بذلها علماء الصدر الاول وحاولوا من خلالها وقف تيار اللحن الذى استشرى حتى بين العرب انفسهم ، على الرغم من ذلك وجدت الالفاظ والتعبيرات الجديدة طريقها الى لغة الحياة اليومية اولا ثم الى لغة التعبير الادبى بعد ذلك ، وقد تم ذلك بالطبع على حساب تلك الالفاظ الفصحى الموروثة التى لولا القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وما استتبعت العناية بهما من الحفاظ على الشعر القديم لولا ذلك كله لذهبت تلك الالفاظ ـ او على الاقل ـ لبقيت محصورة فى دائرة ضيقة هى دائرة المشتغلين بالدراسات اللغوية وعلوم القرآن والحديث .

لقد استتبع هذا الوضع الجديد ان يتلاشى استعمال كثير من الالفاظ او يقل استعمالها الى درجة كبيرة ، ولما كان كثير من هذه الالفاظ قد نزل بها القرآن وتضمنتها الاحاديث النبوية الشريفة لم يكن بد امام الغيورين على كتاب الله وسنة رسوله ان يشمروا عن ساعد الجد لشرح معانى تلك الالفاظ حتى ييسروا للناس امر دينهم ويحفظوا هذه الثروة اللغوية العزيزة على كل مسلم نقية من اللحن بعيدة عن كل ما يؤدى الى سوء الفهم .

ان العوامل الذاتية التى ادت الى الغرابة فى بعض الالفاظ والتى تناولناها فيما سبق ، لا تكاد تشكل امرا ذا بال اذا قورنت بذلك العامل الخارجى الذى ادى الى غموض كثير من الالفاظ بعد حوالى قرنين من الزمان ، ولقد اشار ابن الاثير الى هذه الحقيقة عندما تحدث عن التغيرات التى طرات على المجتمع الاسلامى نتيجة مخالطة العرب غيرهم بعد ذلك الحقبة المثالية فى الاسلام فى عصر النبوة المبارك وعهد الخلافة الراشدة فقال :

« (ثم) فتحت الأمصار وخالط العرب غير جنسهم من الروم والفرس والحبش والنبط وغيرهم من انواع الأمم الذين فتح الله على المسلمين بلادهم .. فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن وتداخلت اللغات ، ونشأ بينهم الأولاد فتعلموا من اللسان العربى مالابد لهم فى الخطاب منه ، وحفظوا من اللغة مالا غنى لهم فى المحاورة عنه ، وتركوا ما عداه لعدم الحاجة اليه واهملوه لقلة الرغبة فى البواعث عليه ، فصار بعد كونه من اهم المعارف مطرحا مهجورا وبعد فرضيته اللازمة كان لم يكن شيئا مذكورا » (١٦٤) .

نقد اشار ابو عبيد اثناء شرحه لبعض الالفاظ الغريبة الى تاثير العصر الجديد فى الثروة اللغوية حيث زاحمت الالفاظ والتعبيرات المستحدثة تلك الالفاظ والتعبيرات الموروثة مما جعله فى كثير من الاحيان يشرح اللفظ الغريب بذكر ما يرادفه فى الاستعمال فى تلك الفترة من حياة العربية ، بل لقد ادى طغيان العناصر الجديدة فى اللغة وخاصة تاثير اللغة الفارسية الى ان يستعين ابو عبيد بلفظ فارسى ليوضح به معنى لفظ عربى وارد فى الحديث الشريف ، ونعنى بذلك لفظ « جائز » الذى فسره ابو عبيد بانه « الخشبة التى يوضع عليها اطراف الخشب وهى التى تسمى بالفارسية : تير » (غ ع ١١٩/٣) .

وسنورد فيما يلى بعض الالفاظ الغريبة التى حلت محلها فى الاستعمال الفاظ جديدة نتيجة للتطور اللغوى فى هذا العصر :

ـ وقال ابو عبيد فى حديثه عليه الصلاة والسلام « .. فاذا هما بامراة على بعير لها بين مزادتين .. » .

---

(١٦٤) النهاية ٥/١ ، وقارن ايضا بابن الجوزى الذى يقول فى مقدمته لغريب الحديث (١/١) : « كان رسول الله ﷺ عربيا وكذلك جمهور اصحابه وتابعوهم ، فوقع فى كلامهم من اللغة ما كان مشهورا بينهم ، ثم وقعت مخالطة الاعاجم ، ففشى اللحن وجهل جمهور الناس معظم اللغة ، فافتقر الكلام الى التفسير » .

قال الأصمعى وبعضه عن الكسائى وابى عمرو : قوله بين مزادتين ، المزادة هى التى يسميها الناس الراوية ، وانما الراوية البعير الذى يستقى عليه .. » (غ ٢٤٤/١) .

- وقال ابو عبيد فى حديث النبى ﷺ « .. خذوا له عثكالا .. » (غ ٨٩١/٢) .

وأما العثكال فهو الذى يسميه الناس الكباسة واهل المدينة يسمونه العذق .

- جاء فى حديث قيلة « .. كانت امراة قد اخذتها القرصة .. » (غ ٥٢/٣) .

قال ابو عبيد : قد اخذتها القرصة وهى الريح التى تكون منها الحدب ، والعامة تقولها الفرسة بالسين واما المسموع من العرب فبالصاد .

- فى حديثه ﷺ « .. كان اذا مر بآية فيها تنزيه لله سبح » (غ ٨١/٣) .

قال ابو عبيد قوله : تنزيه يعنى ما ينزه عنه تبارك وتعالى اسمه من ان يكون له شريك او ولد وما اشبه ذلك ، واصل التنزيه البعد عما فيه الادناس والقرب الى ما فيه الطهارة والبراءة ، ومنه قول عمر رضى الله : ان الأردن ارض غمقة وان الجابية ارض نزهة .. » قال ابو عبيد وانما اراد بالغمقة ذات الندا الوباء ، واراد بالنزهة البعد عن ذلك ، ثم كثر استعمال الناس النزهة فى كلامهم حتى جعلوها فى البساتين والخضر ومعناه راجع الى ذلك الأصل .

- وقال ابو عبيد فى حديث النبى عليه الصلاة والسلام انه مر برجل يعالج طلمة لأصحابه .. » ، قال ابو عبيد : الطلمة يعنى الخبز وهى التى يسميها الناس الملة (غ ٩٠/٣) .

قوله عليه الصلاة والسلام : « لا ضرورة فى الاســـلام » ٠
قال ابو عبيد : الضرورة فى هذا الحديث هو التبتل وترك النكاح ٠٠
والذى تعرفه العامة من الضرورة انه اذا لم يحج ٠ (غ ج ٣/٩٨) ٠

ان النماذج التى اوردناها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك ان هناك تطورا اصاب الثروة اللغوية ، وان هذا التطور قد شمل تغيرا فى العناصر الصوتية كما فى القرصة والفرسة ، والعناصر الدلالية كما فى المزادة والراوية وكما فى لفظ النزهة ، كما شمل احلال الفاظ محـــل اخرى كما فى كباسة بدلا من العثكال ، ومن المرجح الى حد كبير ان كثيرا من الالفاظ الواردة فى كتب غريب الحديث بما فى ذلك كتاب ابى عبيد انما كانت غريبة لأنها لم تعد مستعملة فى عصر المؤلفين ، او على الأقل لم تكن مستعملة بنفس المعنى او على نفس الصورة ، ومما يشهد بذلك كتب التصويب اللغوى التى بداها الكسائى فيما تلحن فيه العوام فى عصره وقد حذا حذوه ابن السكيت فى « اصلاح المنطق » وابن قتيبة فى الجزء الذى خصصه لتقويم اللسان فى كتابه « ادب الكاتب » ٠

ولهذا السبب وجدنا ازديادا مطردا فى المادة المروية فى كتب الغريب كلما تقدم الزمن ولقد اشـــار ابن الأثير الى شىء من هذا عندما تحدث عن قلة المادة المروية فى اول كتاب يصنف فى هذا الفن الا وهو كتاب ابى عبيدة معمر بن المثنى اذ جعل لذلك سببين :

اولهما : ان كل مبتدىء لشىء لم يسبق اليه ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه يكون قليلا ثم يكثر وصغيرا ثم يكبر ٠

ثانيهما : ان الناس يؤمئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة فلم يكن الجهل قد عم ولا الخطب قد طم ٠٠ » (النهاية ١/٥) ٠

ان هذا السبب الثانى الذى ذكره ابن الأثير لقلة المادة المروية فى كتاب ابى عبيدة يعنى ان معرفة الناس باللغة الفصحى فى عهده ، وبالتالى معرفتهم لمعانى الالفاظ الواردة فى القـرآن والحديث كانت سليمة الى حد كبير اذ لم تكن العناصر الجديدة فى اللغة قد زاحمت

العناصر الفصحى الموروثة على النحـــو الذى تم فى القرن الثالث والقرون التى تلته .

اختـلاف الـرواة

من المعروف ان احاديث المصطفى ﷺ قد رويت بطرق مختلفة فتعددت رواياتها واختلفت فى كثير من الأحيان باختلاف الرواة ، وقد اشار الامام الخطابى الى ان ذلك كان هـو السبب الذى من اجله كثر الغريب فى حديث رسول الله ﷺ وقد ارجع هذا التعدد فى رواية الحديث الى امرين :

الأول : هو اختلاف عبارة الرسول ﷺ وتكرر بيانه فى الحادثة الواحدة ليكون اوقع للسامعين واقرب الى فهم من كان منهم اقـــل فقها واقرب بالاسلام عهدا .. فيجتمع لذلك فى القضية الواحـــدة عـدة الفاظ تحتها معنى واحد وذلك كقوله : الولد للفراش وللعـــاهر الحجر وفى رواية اخرى وللعاهر الأقلب وقد مر بمسامعى ولم يثبت عندى وللعاهر الكتكث (١٦٥) .

الثـانى : هو اختـلاف الرواة من حيث انتمـــاءاتهم القبليـــة واللهجية . اذ « قد يتكلم رسول الله ﷺ فى بعض النوازل وبحضرته اخلاط من النـــاس قبائلهم شتى ، ولغـاتهم مختلفة ، ومراتبهم فى الحفظ والاتقان غير متساوية ، وليس كلهم يتيسر لضبط اللفظ وحصره ، او يتعمد لحفظه ووعيه وانما يستدرك المراد بالفحوى ويتعلق منـــه بالمعنى ثم يؤديه بلغته ويعبر عنه بلسان قبيلته فيجتمع فى الحديث الواحد اذا انشعبت طرقه عدة الفاظ مختلفة موجبها شىء واحد » . ومن الأمثلة التى ساقها الخطابى لذلك ما يروى من « ان رجلا كان يهدى الى رسول الله ﷺ كل عام راوية خمر ، فاهداها عام حرمت فقال (المصطفى) : انها حرمت ، فاستأذنه فى بيعها فقـــال له : ان الذى حرم شربها حرم بيعها ، قال : فما اصنع بها ؟ قال : سنـها

---

(١٦٥) الأقلب والكتكث مترادفان بمعنى التـراب ، انظـر كنز الحفاظ ص ٥٥٧ .

فى البطحاء ، قال : فسنها وجاء فى رواية اخرى فهنها ، وفى رواية اخرى فبعها ، والمعنى واحد » (١٦٦) .

ان اختلاف الرواية رغم اهميته لا يمثل سوى عامل واحد من عوامل كثيرة ادت الى ظاهرة الغرابة كما راينا فى هذه الدراسة ، ومن هنا فليس من المقبول ان يزعم بعض الباحثين ان قول الخطابى هذا « اقرب الى الفهم واجدر بالقياس مما قاله ابن الاثير ، وقد ذكر ان ابن الاثير قد ارجع سبب الغرابة الى ان الله اعلم نبيه ما لم يكن يعلمه غيره »(١٦٧) .

ويبدو ان الامر قد التبس على الباحث المذكور فلم يفرق بين سبب التاليف فى الغريب وسبب الغرابة ذاتها ولو صبر على قراءة نص ابن الاثير قليلا لعلم ان كلام العالمين (الخطابى وابن الاثير) يكمل بعضه بعضا ، فالسبب الذى ذكره الخطابى قد ذكره ايضا ابن الاثير بعبارة تختلف قليلا عن عبارته ، بل انه لو امعن النظر فيما ذكره صاحب النهاية لعلم ان المقصود « بتعليم الله نبيه ما لم يكن يعلمه غيره » هو معرفة الرسول ﷺ بلهجات القبائل ومراعاة ذلك فى مخاطبته لهم وهذا ما اشار اليه الخطابى فى السبب الأول من اسباب تعدد الرواية ، ولقد اضاف ابن الاثير الى ذلك ما رآه من ان اختلاف العصر قد ادى الى ان تزاحم العربية المولدة الفصحى على

---

(١٦٦) غريب الحديث للخطابى ٦٩/١ ، وقد ذهب كثير من اللغويين الى ما ذهب اليه الخطابى فى سبب تعدد الروايات بوجه عام وخاصة فى الشعر ، يقول السيوطى : « كثيرا ما تروى الابيات على اوجه مختلفة وربما يكون الشاهد فى بعضها دون بعض وقد سئلت عن ذلك قديما فاجبت باحتمال ان يكون الشاعر قد قاله مرة هكذا ومرة هكذا ، ثم رايت ابن هشام فى شرح الشواهد روى قوله :

ولا ارض ابقل ابقالها

بالتذكير والتانيث فان صح ان القائل بالتذكير هو القائل بالتانيث ، والا فقد كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض ، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التى فطر عليها ومن هنا تكثر الروايات فى بعض الابيات » الاقتراح ص ٤١ .

(١٦٧) محمد عظيم الدين فى « مقدمة المصحح » للطبعة الهندية من غريب الحديث (صفحة ج) وقارن بالنهاية ٥/١ .

ألسنة معظم الناس مما جعل كثيرا من الألفـــاظ الموروثة تبـدو غير مفهومة للجيل الجديد كما شرحنا ذلك فيما سبق .

اختلاف الروايات والغرابة :

ان اختلاف الرواية لا يتعلق فقط بالجـانب الدلالى كما فى تلك الأمثلة التى اوردها الخطابى اذ يتعلق للشـــــلان اللذان اوردهمـــــا بما يطلق عليه ظاهرة الترادف (الحجر ـ الاثلب / سن ـ هت ـ بع) حيث تعددت الألفاظ لمعنى واحد ولكنه قد يشمل ايضا الجانب الصوتى والجانب الصرفى ، اما على المستوى النحوى فلم نعثر فى الأمثـلة التى اورها ابو عبيد على اختـــلاف فى الرواية بحيث يكون هـــذا الاختلاف مسئولا عن الغرابة او الغموض فى فهم المعنى .

ان اختلاف الروايات فى الجوانب التى اشرنا اليها قد يسـبب الغرابة من جهة ان احدى الروايات تكون متفقة مع النظام العام للغـة لأنها تشـكل عنصرا من عناصر اللغـة المشتركة ، بينما تكون الرواية او الروايات الاخرى انعكاسا للهجة محلية او اجتماعية لا يعرفها الا من يتحدث بها وهنا يكون الغموض وتنشا الغرابة ، على ان هناك من الروايات ما يكون ناشئا عن الغلط او التصحيف وقد يؤدى ذلك الى كلمة لا معنى لها اصلا وفى هذه الحالة لا يجد علماء الغريب مناصـا من التنبيه على ذلك ووسم تلك الرواية بانها غير محفوظة .

اختلاف الروايات فى غريب الحديث لابى عبيد :

لقد تضمن كتاب ابى عبيد ما يقرب من خمسين مثالا تعددت فيها الروايات وتنوعت مظاهر اختلافها بين المســـــتويات الصوتية والصرفية والدلالية وسنذكر مثالين لكل مستوى يوضحان ما نقصد اليه :

الاختلاف على المستوى الصوتى :

يراد بالاختلاف على هذا المستوى ان تروى الكلمة بصورتين صوتيتين مختلفتين بحيث لا يتجاوز الخلاف حرفا واحدا وهو ما يعرف بالابدال ، او تكون احداهما مما تغير فيه ترتيب الأصوات وهو ما يعرف بالقلب المكانى وفيما يلى مثال لكل من الظاهرتين :

- جاء فى حديث ام زرع : « واشرب فاتقمح » (غ ٣٠٤/٢) قال ابو عبيد ويعض النـاس يروى هـذا الحرف واشرب فاتقنح بالنون ولا اعرف هذا الحرف ولا ارى المحفوظ الا بالميم ، فان كان هذا (اى رواية النون) محفوظا فانـه يقال : ان التقنح الامتلاء من الشرب والرى منـه » .

- جاء فى حديث النبى ﷺ : « ان انخع الاسماء عند الله ان يتسمى الرجل باسم ملك الاملاك » وبعضهم يرويه ان اخنع الاسماء عند الله الخ ... » غ ١٧/٢

فمن رواه انخع اراد اقتل الاسماء واهلكها .. ومن رواه اخنع اراد اشد الاسماء ذلا واوضعها عند الله ، وكان ابا عبيد يذهب الى انهما كلمتان مختلفتان وهما فى الحقيقة كلمة واحدة .

الاختلاف على المستوى الصرفى :

المراد بالاختلاف على هذا المستوى ان ترد روايتان او اكثر فى الكلمة الواحدة بحيث تكون فى احداهما على صيغة وفى الاخرى على صيغة مخالفة كان تكون الاولى على وزن « فعل » والثانية على افعل او تكون احداهما على « فعل » (بكسر فسكون) والثانية على « فعل » بالتحريك وهكذا ومن امثلة ذلك :

- فى قوله ﷺ : « فامر بالقدور فكفئت وبعضهم يرويه فاكفئت ، واللغة المعروفة بغير الف . غ ٢٧٦/٢

- فى قوله عليه الصلاة والسلام : « ما اذن الله لنبى كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن » . غ ١٤٠/٢

قال ابو عبيد اما قوله « كاذنه » (بالتحريك) يعنى ما استمع الله لشىء كاستماعه لنبى يتغنى بالقـــرآن ، وبعضهم يرويه كاذنه (بكسر فسكون) يذهب به الى الاذن من الاستئذان ، وليس لهذا وجه عندى وكيف يكون اذنه فى هذا اكثر من اذنه له فى غيره » .

لقد ترتب على الخلاف فى الصيغة هنا اختلاف فى المعنى ، وقد نظر ابو عبيد الى الروايتين نظرة ناقدة مما يوضح انه لم يكن يقبل كل الروايات (١٦٨) .

اختلاف الرواية على المستوى الدلالى :

يراد بالاختلاف على هذا المستوى ان تروى كلمة مكان اخرى لها نفس المعنى او ما يقرب منه فمن ذلك :

— فى حديثه عليه الصلاة والسلام انه بعث سرية او جيشا فامرهم ان يمسحوا على المشاوذ ... ويروى على العصائب .. » قال ابو عبيد : المشاوذ : العمائم واحدها مشوذ ، والعصائب هى العمائم ايضا . غع ١٨٨/١

— وقال ابو عبيد فى حديثه عليه الصلاة والسلام :

« تجىء البقرة وآل عمـــــران يوم القيامة كانهما غمامتان او غيايتان » غع ٩٢/١ ، لم يفسر ابو عبيد الرواية الاولى وهى الغمامة واكتفى بتفسير الرواية الثانية غياية (وهى التى ادخلت الحديث فى اطار الغريب) بانها كل شىء اظل الانسان فوق راسه مثل السحابة والغبرة والظل ... ، وقد اقتصر الحربى على رواية الياء وفسرها بانها الظلمة او ظل يغشى شعاع الشمس بالغداة والعشى كالسحابة والغبرة (١٦٩) ، وقد تصحف الامر على ابن الجوزى فنقل الرواية

---

(١٦٨) يبدو ان الامر قد تصحف على محقق النهاية لابن الاثير (٣٣/١) فكتب الحديث كما لو كان واردا على الرواية الثانية التى رفضها ابو عبيد ، ولكن شرح المعنى بعد ذلك يدل دلالة قاطعة على ان المراد هو الرواية الاولى « اذن » بالتحريك ، لا الثانية « اذن » فقد ذكر بعد ان شرح المعنى كما شرحه ابو عبيد انه يقال منه : اذن ياذن اذنا بالتحريك ، فقوله بالتحريك يدل على ان المراد هو الاذن لا الاذن كما هو وارد خطا فى المطبوع وقد اقتصر ابن الجوزى (غريب الحديث ١٦/١) على تفسير الفعل دون المصدر ولم يتعرض لاختلاف الرواية .

(١٦٩) غريب الحديث للحربى المجلدة الخامسة ٢٤٢/١ .

الثانية عن ابى عبيد وفسرها مثله الا انه ذكرها بالباء بعد الالف « غيابة » ثم صحف المثال الذى نقله ابو عبيد عن الاصمعى فقال مستشهدا على معنى الغيابة بالباء « غايب القوم » بدلا من غايا القوم بالسيف (١٧٠) ، ومما يدل على ان التصحيف من ابن الجوزى وليس من ناشر كتاب ابى عبيد ان ابن قدامة (مختصر كتاب غريب ابى عبيد) قد روى الكلمة بالياء بعد الالف وليس بالباء (١٧١) ٠

اما بقية المواضع التى ذكر فيها ابو عبيد اكثر من رواية للحديث الواحد فاننا نكتفى بالاشارة الى مواضعها فى غريب ابى عبيد كما يلى :

فى جـ ١ ص ٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٦٠ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٢٠ ، ١٥٨ ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٨ ٣٤٦ ، ٣٤٩ ٠

وفى جـ ٢ ص ١٨ ، ١٩ ، ٣٤ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ١٤٢ ، ١٩٧ ، ٢٢٥ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ٠

وفى جـ ٣ ص ٣٠ ، ٥٢ ، ١٤٣ ، ١٧٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٦ ٠

ويتضح من دراسة الامثلة التى اوردها ابو عبيد فى هذه المواضع امران :

الاول : ان ابا عبيد لم يكن يسلم بكل الروايات التى يحكيها المحدثون وانما كان يضعف مالا يراه متفقا مع اصول العربية وكان يسم تلك الروايات فى الغالب بانها غير معروفة فى كلام العرب او انها غير محفوظة ٠

الثانى : ان الروايات المختلفة للحديث الواحد ليست كلها بسبب اختلاف الرواة ، وانما قد يكون بعضها ناجما عن التصحيف او الغلط

---

(١٧٠) غريب الحديث لابن الجوزى ١٧٠/٢ ٠

(١٧١) قنعة الاريب فى تفسير الغريب (مخطوط) ورقة ٦٠ ٠

من المحدثين ، وقد الف الخطابى فى النوع الاخير كتابه « اصـــلاح غلط المحـــدثين » وكثيرا ما كان يعتمد فيـــه على آراء ابى عبيد فى **تضعيف رواية او وسمها بالغلط ، من ذلك على سبيل المثال : رواية** ضم « الذبل » غع ٧٩/١ واصلاح غلط المحدثين ٢٣ ٠

رواية كسر « الكم » غع ٦٩/٢ واصلاح غلط المحدثين ٠

رواية كسر « الاذن » غع ١٤٠/٢ واصلاح غلط المحدثين ٦٧ ٠

خاتمة

فصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم والغرابة

١ ـ عوامل الفصاحة النبوية ٠

٢ ـ الغـــرابة والفصاحـــة ٠

(ا) على المستوى الاجتماعى للغـــة ٠

(ب) على المســـتوى الفنى للغـــة ٠

فصاحة المصطفى صلى الله عليه وسلم

عوامل الفصاحة النبوية :

لقد جاء فى صفة رسول الله ﷺ - فيما ترويه ام معبد - انه كان عليه الصلاة والسلام اذا « تكلم سما وعلاه البهاء .. حلو المنطق، فصل لا نذر ولا هذر ، كان منطقه خرزات نظم يتحدرن »(١) ، وجاء فى حديث ابن ابى هالة انه ﷺ « لا يتكلم فى غير حاجة ، يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم ، فصلا لا فضول ولا تقصير .. »(٢) ، ولقد نعتت فصاحته ﷺ انظار من كانوا مضرب الامثال فى الفصاحة والبيان حتى قال قائلهم وقد سمع المصطفى يجرى حوارا مع بعض الصحابة : يا رسول الله ما افصحك ! ما رينا الذى هو اعرب منك » (٣) ، وقد روى انه ﷺ قد وصف نفسه فقال : انا افصح العرب بيد انى من قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر »((٤) .

من هذه الآثار وغيرها (٥) ، ومن واقع النظر فى احاديث المصطفى ﷺ يتضح لكل ذى بصيرة أو بصر انه عليه الصلاة والسلام كان قمة القمم فى فصاحة القول وروعة البيان وبلاغة الاسلوب ، فهو « لم ينطق الا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق » كما يقول الجاحظ (٦) .

لقد اجتهد العلماء فى بيان اسباب فصاحته ﷺ فذكروا فطرته الصافية وذهنه الوقاد ، كما ذكروا اصله القرشى واسترضاعه فى بنى

---

(١) انظر حديث أم معبد كاملا فى منال الطالب لابن الاثير ص ١٧١ .
(٢) انظر حديث هند بنت ابى هالة فى غريب الحديث لابن قتيبة ١/٤٨٧ .
(٣) انظر الحوار فى المزهر (نقلا عن البيهقى) ١/٣٥ .
(٤) غريب الحديث لابى عبيد ١/٤٠-١ ، الفائق للزمخشرى ١/١٤١ ، النهاية لابن الاثير ١/١٧١ .
(٥) انظر فى الآثار الأخرى الدالة على فصاحته ﷺ :اعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى ص ٣٢٦ ، من بلاغة الحديث الشريف لعبد الفتاح لاشين ص ١٦ .
(٦) البيان والتبيين ١/١٧ ، وقد نقلنا كلام الجاحظ كاملا فى مقدمة هذا البحث فأغنى ذلك عن اعادته هنا .

سعد بن بكر (٧) ، ويمكن ان يضاف الى ذلك حضوره ﷺ الاسواق ـ التى كانت اشبه بالمنتديات الادبية فى ايامنا هذه ـ حيث كانت تلقى الخطب وتنشد الاشعار ، وقد ذكر رسول الله ﷺ لوفد عبد القيس قصة سماعه خطبة قس بن ساعدة الايادى فقال : لست انساه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام وهو ينادى ويقول : ايها الناس اجتمعوا واسمعوا ، واذا سمعتم فعوا .. الخ الخطبة المشهورة (٨)، كما ان رحيله للتجارة وتجواله فى ارجاء الجزيرة العربية تاجرا قبل البعثة وداعيا بعدها كل ذلك قد صقل منه الموهبة اللغوية ومنحه القدرة البيانية التى استطاع بها ان ينهض بما كلفه الله من تبليغ الرسالة واداء الأمانة .

على ان الأهم من ذلك كله امران :

الأول : تاثره ﷺبالوحى يتنزل عليه صباح مساء وقد اشار ﷺ الى ذلك العامل عندما اجاب من تعجب من فصاحته بقوله : حق لى فانما انزل القرآن على بلسان عربى مبين (٩) .

الثانى : ما اشار اليه بعض العلماء من ان تلك الفصاحة وذلك البيان انما كانا « تاييدا الهيا ولطفا سماويا وعناية ربانية ، ورعاية روحانية حتى لقد قال له على بن ابى طالب كرم الله وجهه ـ وسمعه يخاطب وفد بنى نهد ـ : يا رسول الله نحن بنو اب واحد وفراك تكلم وفود العرب بمالانفهم اكثره ! فقال : ادبنى ربى فاحسن فاحسن تاديبى ، وربيت فى بنى سعد .. » فكان الله عز وجل قد اعلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بنى ابيه وجمع فيه من المعارف ما تفرق ولم يوجد فى قاصى العرب ودانيه» (١٠) . كل ذلك يجعلنا على يقين من ان فصاحته ﷺ لم ولن تدانيها فصاحة بشرية وان اسلوبه

---

(٧) انظر هذه العوامل وغيرها فى « الحديث النبوى » لمحمد الصباغ ص ٥٣ ـ ٥٥ .

(٨) انظر حديث قس بن ساعدة فى مثال الطالب لابن الاثير ص ١٣٠ .

(٩) المزهر للسيوطى ٣٥/١ .

(١٠) النهاية لابن الاثير ٤/١ ، ونحن نعتقد ان تعليم الله له انما كان باعطائه القدرة على أن يتعلم ذلك .

العذب وبيانه الناصع كان وسيظل مما تشرئب اليه اعناق الفصحاء والبلغاء فى كل زمان ومكان .

الفصحافة النبوية والغرابة :

الفصاحة كما يقول العقاد : صفة تجتمع للكلام ولهيئة النطق ولموضوع الكلام فقد يكون الكلام فصيحا وهيئة النطق به غير فصيحة، او يكون الكلام والنطق به فصيحين ثم لا تجتمع لموضوعه صفة الفصاحة السارية فى الاسماع والقلوب ، أما فصاحة محمد ﷺ فقد تكاملت له فى كلامه وفى هيئة نطقه بكلامه وفى موضوع كلامه » (١١) .

ان المقصود بالفصاحة هنا هو فصاحة الكلام بمعنى ان يكون واضحا بينا (١٢) يصل الى عقول السامعين وقلوبهم من اقرب طريق ، ولقد ذكرنا من قبل انه قد تحقق للرسول ﷺ فى هذا الباب القدح المعلى اذ ان هذه هى طبيعة اداء الرسل كما قال تعالى « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » مما يوضح ان مدار الأمر انما هو على البيان والتبيين وعلى الافهام والتفهيم وكلما كان اللسان ابين كان احمد كما يقول الجاحظ (١٣) ، فالفصاحة اذن مرتبطة بالبيان ، فما البيان ؟

يقول الجاحظ : البيان اسم جامع لكل شىء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضى السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ،ومن اى جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التى يجرى اليها القائل والسامع انما هو الفهم والافهام ، فبأى شىء بلغت الافهام واوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع (١٤) .

---

(١١) عبقرية محمد ص ٣٠ .

(١٢) انظر فى فصاحة الكلام ، ابن الاثير ، المثل السائر ١١٣/١ ، وفى فصاحة الكلمة والكلام والشروط التى ينبغى أن تتوفر لذلك ، سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ص ٥٨ وما بعدها .

(١٣) البيان والتبيين ١١/١ .

(١٤) السابق ٧٦/١ .

ان الجاحظ هنا يشير الى وظيفة اساسية من وظائف اللغة الانسانية وهى تحقيق التواصل بين المتكلم والسامع بنقل المعلومات من ذهن القائل الى فهم السامع بواسطة اداة هى اللغة (١٥) ، وقد طوع الرسول الكريم اللغة لهذه الوظيفة كما لم يطوعها احد من قبل وبلغ بها عن ربه ما امره بتبليغه « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » (المائدة - ٦٧) ولقد بلغ ﷺ الرسالة وادى الأمانة واشهد على ذلك ربه وامته فى خطبة الوداع « الا هل بلغت ، اللهم فاشهد » وقد علق بعض الباحثين على اهمية التبليغ فى حياة الرسول قائلا :

« ما كانت حياة النبى ﷺ بعملها وقولها وحركتها وسكونها الا حياة تبليغ وبلاغ ، ولتصدق هذه الدلالة نرى ان السمة الغالبة على اسلوب النبى فى كلامه المحفوظ بين ايدينا هى سمة الابلاغ قبل كل سمة اخرى ، بل هى السمة الجامعة التى لا سمة غيرها لأنها اصل شامل لما تفرق من سمات هى منها بمثابة الفروع » (١٦) .

والى جانب هذه الوظيفة التى يمكن ان يطلق عليها « الوظيفة الاجتماعية للغة » توجد وظيفة اخرى يمكن ان تسمى « الوظيفة الفنية » او وظيفة التحسين كما يسميها ابن الأثير الذى يرى ان هذه الوظيفة او تلك المهمة من مهمات اللغة قد قصدها الواضع قصدا لأنه « نظر الى ما يحتاج اليه ارباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نثر ونظم ، ورأى ان من مهمات ذلك التجنيس ولا

---

(١٥) يمثل البيان واسطة العقد فى احدث النظريات عن وظيفة اللغة وهى ما يطلق عليه نظرية الأورجانون (الأداة) ، ووفقا لهذه النظرية فان للغة وظائف ثلاث هى :

١ - تعبير المتكلم عن شىء ما .

٢ - استدعاء نفس الشىء الى ذهن السامع .

٣ - البيان عن الشىء المتحدث عنه .

انظر فى هذه النظرية بولر Sprachtheorie S. 15 F F وقد اطلق بعض الباحثين على هذه الوظيفة اسم « الوظيفة غير الفنية للغة»،انظر نظرية اللغة فى النقد العربى لعبد الحكيم راضى ص ٦٥ .

(١٦) العقاد ، عبقرية محمد ص ١٠٥ .

يقوم به الا الاسماء المشتركة التى هى كل اسم واحد دل على مسميين فصاعدا فوضعها من اجل ذلك » (١٧) .

ومن اهم خواص هذه اللغة ذات الوظيفة التحسينية او الفنية انها من نتاج الفرد المبدع وهى لذلك شخصية تصـــدر عن عبقرية البليغ » (١٨) ، الذى يكون فى الغالب غير مسبوق فيما يأتى به من عبارات بليغة .

لقد طوع رسول الله ﷺ اللغة لهذه الوظيفة ايضا فاتى بالوان من التعبيرات المجازية التى لم يســـبقه اليها احد ، ومن ذلك على سبيل المثال ما ذكره ابو عثمان الجاحظ « وسنذكر من كلام رسول ﷺ مما لم يسبقه اليه عربى ، ولا شاركه فيه اعجمى ولم يدع لأحـــد ولا ادعاه احد مما صار مستعملا ومثلا سائرا ، فمن ذلك قوله : « يا خيل الله اركبى » وقوله : « مات حتف انفه » وقوله : « الآن حمى الوطيس » وقوله : « لا تنتطح فيه عنزان » وقوله لابى سفيان : « كل الصيد فى جوف الفرا » وقوله : « عدة على دخن وجماعة على اقذاء » الخ ما اورده الجاحظ (١٩) .

ان العلاقة بين الفصاحة والغرابة لا يمكن النظر اليها الا بمراعاة هذه الحقيقة الهامة وهى ان هناك مستويين للغة وهما : اللغة على المستوى الاجتماعى او العرفى وهى التى يتم عن طريقها البيـــان والافهام ، واللغة على المســـتوى الفنى وهى التى يتم عن طريقها

---

(١٧) المثل السائر ٢٠/١ .

(١٨) نظرية اللغة فى النقد العربى لعبد الحكيم راضى ص ٨٥ ، وقد فرق الدكتور عبد الحكيم راضى بين المستويين : مستوى اللغة العادية او الاجتماعية ومستوى اللغة الفنية بان ذكر ان طابع اللغة فى مستواها الأول هو الاصطلاح والمثالية والسبق وفى مقابل ذلك فان طابع اللغة فى مستواها الفنى هو الفردية واللحوق والانحراف (أى عدم الالتزام بالقواعد) ونفضل ان نستخدم بدلا من مصطلح الانحراف مصطلح « الابتكار والتجديد أو الخروج على المألوف » . انظر فى هذه الخواص ، الفصول ١ ، ٢ ، ٣ من القسم الثانى من الكتاب المذكور ، وقارن بما كتبناه عن وظيفة اللغة فى كتابنا مدخل الى علم اللغة الحديث ص ٣٥ .

(١٩) البيان والتبيين ١٥/٢ .

التحسين والتاثير فى قلوب السامعين بمـا تحويه غالبا من التشبيه والمجاز والتجنيس وغير ذلك ، ولما كان الرسول ﷺ قد طوع اللغة بمستوييها كما لم يطوعها احد من قبل فاننا سـنعرض للغرابة فى الحديث النبوى لنتبين مكانها من الفصاحة على ضوء هذا التقسيم ٠

الفصاحة والغرابة على المستوى العرفى أو الاجتماعى :

لقد امر رسول الله ﷺ ان يخاطب الناس على قدر عقولهم (٢٠) ومن هذا المنطلق فانه عليه الصلاة والسلام لم يكن ليخاطب احدا الا بما يفهم ، ولذا فقد كان يخاطب اصحاب اللهجات ـ محلية كانت ام اجتماعية ـ الذين لا يحسنون سواها بلهجاتهم التى الفوها ، ولم يكن بد من مراعاة ذلك حتى تكون تعاليم الاسلام (وهى للناس كافة) واضحة فى اذهانهم لا لبس فيها ولا غموض وقد كان منـه ذلك ﷺ هو البيان فى ذلك الموضع ، ومن امثلة ذلك حديثه ﷺ مع قيـلة التميمية وكتابه الى وائل بن حجر وحديثه مع طهفـة بن زهير النهدى (٢١) ٠

لقد تضمن حديث الرسول ﷺ الى هؤلاء وامثالهم كثيرا من الالفاظ التى لم يالفها الصحابة ممن لا ينتمون الى هذه اللجهات وقد كانت معرفته ﷺ لهذه الخواص اللهجية واجادة استعمالها مثار اعجـاب الصحابة لدرجة ان عليا كرم الله وجهه قد ساله عن ذلك قائلا « يا رسول الله نحن بنو اب واحد ونراك تكلم الناس بما لا نفهم اكثره » فيجيب عليه الصلاة والسلام بقـوله : « ادبنى ربى فاحسن تاديبى » (٢٢) هنا تلتقى الفصاحة والغرابة فيكونا وجهين لعمـلة واحـدة حيث الفصاحة بالنسبة الى المخاطبين ـ وهم المقصودون بالابلاغ ـ والغرابة

---

(٢٠) اورد ابن الاثير فى مقدمة النهاية حديثا بهذا المعنى ٠ انظر النهاية ٤/٢ وقد ذكر ابن تيمية أن هذا ليس بحديث (الفتاوى ٣٣٩/١٨) ٠

(٢١) انظر الحديثين الأول والثانى فى غريب ابى عبيد : ٥٠/٣ ، ٢١٢/١ والثالث فى مذال الطالب ص ٧ ٠

(٢٢) عقب ابن تيمية على الجزء الاخير من الحديث « ادبنى ربى فاحسن تاديبى » بان معناه صحيح لكن لا يعرف له اسناد ثابت (الفتاوى ٣٧٥/١٨) ٠

بالنسبة لغيرهم ، والاعتبار فى هذا الباب مقصور على من يتوجه اليه الخطاب دون غيره من الناس (٢٣) . انه يمكن على ضوء هذا ان نفهم كلام الامام الخطابى الذى يجعل اشتمال الحديث النبوى على الغريب ضربا من ضروب فصاحته ﷺ وسعة بيانه فقد جعل من جملة ذلك « انه قد يوجد فى كلامه الغريب الوحشى الذى يعيا به قومه واصحابه، وعامتهم عرب فصحاء لسانهم لسانه ودارهم داره » (٢٤) .

فليس هذا الذى يعيا به قومه سوى تلك الالفاظ اللهجية التى لم يالفها مثل على بن ابى طالب فى البيئة الحجازية ، ولكنها بالقطع كانت مالوفة ومعروفة عند المخاطبين بها من اصحاب تلك اللهجات .

وربما كان مقصود الخطابى ذلك النوع الثانى من الاستخدام اللغوى وهو ما يعرف بالمستوى الفنى للغة اى ما يتعلق من ذلك بابتكار الالفاظ او استعمالها فى غير المالوف من سياقاتها أو استعارتها ، او البس الالفاظ القديمة معانى جديدة للتعبير عن مفاهيم لم يالفوها من قبل ، ولكنه عليه الصلاة والسلام ـ والحالة هذه ـ لم يكن يترك المخاطبين حيارى يتخبطون فى فهم المعنى الجديد وانما كان يوضحه لهم بعد ان يدعهم برهة يتأملون وقد كان القصد من ذلك ان يتمكن المعنى الجديد فى نفوسهم فضل تمكن ، والمثالان اللذان ساقهما الخطابى ـ ولهما نظائر كثيرة ـ يرجحان هذا الاحتمال (٢٥) .

وعلى ضوء هذا ايضا يمكن ان نفهم ما قرره الجاحظ فى وصف حديثه ﷺ عندما ذكر انه عليه الصلاة والسلام « قد هجر الغريب

---

(٢٣) طه الراوى ، غريب الحديث ص ٣١٩ .

(٢٤) غريب الخطابى ٦٦/١ .

(٢٥) فى المثال الاول الذى اورده الخطابى (٦٦/١) سال بعض الصحابة قائلا : يا رسول الله من اهل النار ، فقال ﷺ : كل قعبرى ، قال يا رسول الله وما القعبرى ؟ قال الشديد على الاهل ، الشديد على العشيرة ، الشديد على الصاحب » ، واما المثال الثانى فقد كان الرسول ﷺ هو الذى بادر بالتوضيح اذ سال اصحابه : الا اخبركم باهل النار ، قالوا بلى يا رسول الله قال : كل جظ جعظ ، قلت ما الجظ ؟ قال الضخم الخ الحديث » .

الحوشى ورغب عن الهجين السوقى » (٢٦) لأنه لا غريب فعلا بالنسبة لمن يتوجه اليهم بالخطاب اذ ان هذه الألفاظ التى قد تكون غريبة وغير مألوفة عند غير المقصودين بها هى بالنسبة الى المتحدث اليهم كلام القوم وبيانهم وقد اومأ الى ذلك الجاحظ نفسه عندما قرر فى موضع آخر من البيان والتبيين (ربما عن رسالة بشر بن المعتمر) انه « كما لا ينبغى ان يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغى ان يكون غريبا وحشيا الا ان يكون المتكلم بدويا اعرابيا ، فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس ، كما يفهم السوقى رطانة السوقى » (٢٧) ، ومقتضى هذا انه يقبل من الأعرابى البدوى ان يتحدث وفقا لطبيعته التى الفها وان ذلك لا يخل بالفصاحة ولقد كان ﷺ عندما يخاطبه امثال هؤلاء يجيبهم بكلام مثله كما اشار الى ذلك ابن الأثير عندما أورد حديث طهفة بن زهير النهدى واجابة الرسول اياه ثم قال : « ان فصاحة الرسول ﷺ لا تقتضى استعمال هذه الألفاظ ولا تكاد توجد فى كلامه الا جوابا لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث (أى حديثه ﷺ مع طهفة) وما جرى مجراه » (٢٨) .

نعم ان فصاحة الرسول ﷺ لا تقتضى استعمال هذه الألفاظ ولكن كمال فصاحته يقتضى استعمالها عندما يكون المخاطب بها من امثال طهفة ممن لا يجيدون سواها ، اذ بهذا فقط يتحقق التبليغ على الوجه الأكمل .

ونخلص من ذلك الى ان الغرابة والفصاحة ليسا بالمقياسين الثابتين على هذا المستوى من الاستعمال اللغوى وان أيا منهما لا ينظر فيه الى اللفظ فى ذاته وانما الى ظروف استخدامه وعلى ذلك فلا وجه لما اعترض به ابن الأثير على تعريف الفصاحة بانها « الظهور والبيان » فقد ذكر من وجوه اعتراضه على ذلك التعريف « انه اذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك بالنسب والاضافات الى الأشخاص فان اللفظ قد يكون ظاهرا لزيد ولا يكون ظاهرا لعمرو فهو

---

(٢٦) البيان والتبيين ١٧/٢ .
(٢٧) السابق ١٤٤/١ .
(٢٨) المثل السائر ٢٣٤/١ .

اذن فصيح عند هذا وغير فصيح عند ذاك ، وليس (الامر) كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الاحوال ، لانه اذا تحقق حد الفصاحة وعرف ما هى لم يبق فى اللفظ الذى يختص به خلاف » (٢٩) .

ان ما ذكره ابن الاثير هنا ينبغى ان يقيد بمستوى معين من اللغة هو المستوى الفنى المستعمل فى الاسلوب الادبى الذى لا يقصد به طائفة من الناس دون طائفة ، وقد اشار الى ما يشبه هذا من طرف خفى حين قال : « واعنى بالظاهر البين ان تكـــون الفاظه مفهومة لا يحتاج فى فهمها الى استخراج من كتاب لغة وانما كانت بهذه الصفة لانهـــا تكون مالوفة الاستعمال بين ارباب النظم والنثر » (٣٠) . نعم قد تخـــل الغرابة بالفصاحة اذا كان المتوجه اليه بالكلام الغريب لا يفهم هذا الكلام لان الغرابة حينئذ تتنافى مع وظيفة اللغة فى مستواها الاجتماعى وهو البيان والافهام وهذا ما لم نجده قط فى حديث رسول الله ﷺ .

ان جماعة من النحاة واللغويين لم يفطنوا الى هذه الحقيقة وهى ان التحدث بالالفاظ القديمة لمن لا يفهمها مما يخـــل بفصاحة الكلام ، ومن ثم فقد راوا ان التحدث بهذه الالفاظ انما هو دليل على المقدرة والتمكن من اللغة غير مكترثين بظروف الاستعمال اللغوى فى العصر الجديد ، وقد اختلط الامر على كثيرين منهم فلم يفرقوا بين امرين لابد من التفريق بينهما : الاول معرفة الغريب والاحاطة به للاستعانة بذلك فى فهم وتفسير كتاب الله وحديث النبى ﷺ ،والثانى هو استعمال تلك الالفاظ الغريبة فى لغة التخاطب او التراسل ، اذ بينما يعتبر الامر

---

(٢٩) المثل الســـائر ١١٣/١ ، وقد ســـاق ابن الاثير اعتراضين آخرين خلاصتهما : ان الفصاحة وفقا لهذا التعريف قد تتفاوت بتفاوت الزمان ، وان الالفاظ الواضحة البينة قد تكون نابية فى السمع وهى بالتالى قبيحة والفصاحة وصف حسن لا وصف قبح . وقد رد الصفدى على ابن الاثير فيما ذهب اليه ، ولكنه راى ان غرابة الالفاظ مما يخل بالفصاحة ولكنه لا يخل بالبلاغة ، انظر نصرة الثائر على المثل السائر ص ٧٨ وما بعدها .

(٣٠) المثل الســـائر ١١٤/١ ، ويكفى فى الرد على ابن الاثير ما ذكره عبد القاهر من انك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلما باعيانها ثم ترى هذا قد فرع السماك ، وترى ذاك قد لصق بالحضيض .. » انظر دلائل الاعجاز ص ٤٦ .

الأول مناط مدح يتفاضل به العلماء ، يعتبر الثانى تقعرا وتفاصحا ومرغوب عنه ، وها هو ابو الأسود الدؤلى ـ فيما يروى عنه ـ وقد سأل غلاما عن امرأة ابيه فأجابه بانها رضيت وحظيت وبظيت يقول : قد عرفنا رضيت وحظيت فما بظيت ؟ قال الغلام : حرف من الغريب لم يبلغك ، فقال ابو الأسود مستنكرا يابنى كل كلمة لا يعرفها عمك فاسترها كما تستر السنور جعرها (٣١) .

لقد كان يحيى بن يعمر العدوانى (١٢٩ هـ) ممن ينهج هذا النهج فى كلامه وفى مسائله فقد حكوا عنه انه قال لرجل خاصمته زوجته « أ ان سألتك ثمن شكرها وشبرك انشات تطلها وتضهلها » (٣٢) ، وقد علق الجاحظ على هذه العبارة (مشيرا الى مجافاتها لروح العصر) بقوله : « ولو خوطب بذلك الأصمعى لظننت بانه سيجهل بعضه » اما رسالته التى كتبها على لسان يزيد بن المهلب فقد حوت كثيرا من الألفاظ الغريبة التى لم تعد مستعملة فى وقت كتابتها » (٣٣) ، وقد جلب استخدام مثل هذه الألفاظ فى الحديث العادى سخرية بعض العقلاء الذين تهكموا بمن يفعل ذلك تهكما لاذعا (٣٤) ، وقد عاب الجاحظ من يروى مثل هذه الحكايات معتقدا انها تدل على فصاحة بقوله « انهم ان كانوا انما رووا هذا الكلام لأنه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة » (٣٥) ، وقد علل ابن سنان الخفاجى لرفض تلك الكلمات فى لغة التخاطب

---

(٣١) انظر قصة أبى الأسود مع هذا الغلام المتفاصح فى مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ص ٢٧ ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٤ ، والبيان والتبيين للجاحظ ٣٧٩/١ وقد أورد هذه العبارة مثالا للتقعر .

(٣٢) البيان والتبيين ٣٧٨/١ ، مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ص ٥٠ .

(٣٣) انظر الرسالة فى البيان والتبيين ٣٧٧/١ وقد فسر أبو عبيد فى غريب حديثه الفاظا من هذه الرسالة فى غريب الحديث ٤٨٨/٤ ضمن الأحاديث التى لا يعرف أصحابها .

(٣٤) من ذلك على سبيل المثال ما قاله أبو الحسن البصرى وقد سمع عبارة ابى علقمة النحوى « ما لكم تكاكأتم على تكاكؤكم على ذى جنة .. » دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية » البيان والتبيين ٣٨٠/١ .

(٣٥) السابق ٣٧٨/١ وقارن بدلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى حيث نقل كلام الجاحظ ص ٣٩٩ .

العادى « بأن الكلام غير مقصود فى نفسه وانه انما احتيج اليه ليعبر الناس عن اغراضهم ويفهموا المعـــانى التى فى نفوسهم فاذا كانت الالفاظ غير دالة على المعانى ولا موضحة لها فقد رفض الغرض فى اصل الكلام » وقد رتب على ذلك « ان استعمال الالفاظ الغريبـــة الوحشية نقص فى الفصاحة التى هى الظهور والبيان » (٣٦) .

ونخلص من ذلك كله الى ان الفصاحة والغرابة فيما يتعلق بهذا المستوى من الاستعمال اللغوى ليست اى منهما صفة ذاتية للفظ من حيث هو لفظ وانما يتعلق به كلاهما من حيث استخدامه فى بيئـــة معينة او عصر معين ، فاذا كان مفهوما لمتلقيه واضحا لمن يخاطب به لم يكن غريبا وبالتالى فانه فصيح ، اما اذا كان مستعملا فى غـــير بيئته او فى زمن قل فيه استعماله فانه يكون غريبا وغير فصيح ، ولقد اتضح من دراسة الاحاديث النبوية انه لم يوجـــد فى كلامه ﷺ الا ما استعمل فى بيئته وكان مفهوما لدى المخاطبين به وهذا لا ينفى ان بعض هذه الالفاظ قد قل استعمالها فيما بعد نتيجة التطور اللغوى او ان بعضها كان غير واضح عند غير المخاطبين بها وقد كان هذا هو سبب اطلاق وصف الغرابة عليها .

الغرابة والفصاحة على المستوى الفنى

لقد ذكرنا قبلا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد طوع اللغـــة العربية فى الاداء على المستوى الفنى والابداعى كما لم يطوعها احـــد قبل وقد كانت الاستعمالات المجازية ـ وهى العنصر الجوهـــرى فى الاستخدام الفنى للغة ـ من ابرز مظاهر استخدامه عليه الصلاة والسلام للغة على هذا المستوى ، وقد ذكرنا ايضا ان الغرابة عند علماء غريب الحديث لا تقتصر فقط على المعنى المعجمى للفظ وانما تتجاوز ذلك الى الوان اخرى من المعنى منها المعنى المجازى ، ولقد اشار عبد القاهر الى ان معظم الغريب فى القرآن انما كان غريبا من اجل استعارة هى فيـــه ، اى ان غرابته انما تكمن فى معناه المجازى (٣٧) مع الاقرار

---

(٣٦) سر الفصاحة ص ٢٢٠ وما بعدها .

(٣٧) دلائل الاعجاز ٣٩٧ .

بوجود نوع آخر من الغرابة تعلق بذات اللفظ من حيث دلالته على معنـاه الوضعى او المعجمى .

وكما اشار عبد القاهر الى ان الغرابة نوعان فانه صرح ايضا بان الفصاحة فصاحتان ، ولقد نعى عبد القاهر ـ تبعا للجاحظ ـ على الادباء العرب ان يستخدموا فى آدابهم الفاظا غريبـة من النوع الثانى (الغرابة المعجمية) اذ ليس هـذا من اخلاق الكتاب ولا من آدابهم كما يقول الجاحظ (٣٨) ، اما نوعا الفصاحة فهما :

الأول : فصاحة تتعلق بانفس الكلم المفردة كتقويم الاعـراب والتحفظ من اللحن .

الثانى : فصاحة تجب للفظ لا من اجل شىء يدخل فى النطق ولكن من اجل لطائف تدرك بالفهم (٣٩) ، وكما لم يعتد عبد القاهـر بالنوع الأول من الغرابة (٤٠) فانه لم يعتد ايضـا بالنوع الأول من الفصاحة التى ربما ارتبط بها(اى بالغرابة المعجمية)عند قوم منالعلماء لم يميزوا بين ما يكون وصفا للفظ فى ذاتـه وبين ما كانوا قد كسبوه اياه من اجل امر عرض له » (٤١) ، ويذهب عبد القاهـر الى انه « لا يجوز لنا ان نعتد فى شاننا هذا بان يكون المتكلم قد اسـتعمل من اللغتين فى الشىء ما يقال انه افصحهما او بان يكون قد تحفظ مما تخطىء فيه العامة ولا بان يكون قد استعمل الغريب (يقصـد هنـا الغرابة المعجمية) لأن العلم بجميع ذلك لا يعدو ان يكون علما باللغة وبانفس الكلم المفردة ، وبما طريقه طريق الحفظ دون ما يستعان عليه بالنظر ، ويوصل اليه باعمال الفكر ، ولئن كانت العامة واشـباه العامة لا يكادون يعرفون الفصاحة غير ذلك فان من ضعف التحيزة اخطار

---

(٣٨) البيان والتبيين ٣٧٩/١ .

(٣٩) دلائل الاعجاز ٣٩٩ .

(٤٠) ذم هذا النوع من الغرابة مرتبط بالظروف التى استعملت فيها لا على الاطلاق كما اوضحنا قبلا .

(٤١) يشير عبد القاهر بهذا الى فساد راى المعتزلة الذين ذهبوا الى ان الفصاحة تكون صفة للفظ فى ذاته (اى الفصاحة من النوع الأول) . دلائل الاعجاز ص ٣٩٩ .

مثله فى الفكر واجراءه فى الذكر » (٤٢) ، وقد ضرب عبد القاهر مثلا للنوع الثانى من الفصاحة اى تلك التى تجب للفظ لا من اجل شىء يدخل فى النطق ولكن من اجل لطائف تدرك بالفهم بعبارة المصطفى صلى الله عليه وسلم التى اوردها ابو عبيد فى غريب الحديث الا وهى : « مات حتف انفه » فقال : « ومن العجيب فى هذا ما روى عن امير المؤمنين على رضوان الله عليه انه قال : ما سمعت كلمة عربيـــة من العرب الا وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعته يقول : مات حتف انفه وما سمعتها من عربى قبله » يقول عبد القاهر : لا شبهة فى ان وصف اللفظ بالعربى فى مثل هـذا يكون فى معنى الوصف بانـه فصيح ، واذا كان الأمر كذلك فانظر هل يقع فى وهم متوهم ان يكون رضى الله عنه قد جعلها عربية من اجل الفاظها ؟ (٤٣) .

ان الفصاحة بالمعنى الذى اشار اليه عبد القاهر فى هذا الحديث الشريف تبدو فى ذلك الاستعمال الفنى للغة الذى يتجلى فيه ابداع المتكلم وتميزه وهى تلتقى بذلك مع هـذا النوع من الغرابة فى المعنى المجازى الذى اشرنا الى امثلة عديدة منه فى الفصل الثانى من هذا البحث ، ذلك ان اللطائف التى تدرك بالفهم ولا يتوصل اليها الا بامعان النظر متحققة فيهما على سواء ، ولقد كان الذى لفت نظر الاعرابى فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ذلك النوع من الفصاحة الذى تحقق من الاستعمال المجازى فى وصف السحاب عندما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام « كيف ترون قواعدها وبواسقها .. الخ الحديث » (٤٤) ، اذ قال الاعرابى معقبا : يا رسول الله ما افصحك !! ما راينا الذى هو اعرب منـك » .

وخلاصة القول فيما يتعلق بهذا الجانب من الاستعمال اللغوى هو ان الغرابة فى المعنى المجازى تلتقى تماما مع الفصاحة التى يعتد بها

---

(٤٢) السابق ص ٣٥٦ .

(٤٣) السابق ٤٠٤ ، وقارن بالجاحظ ، البيان والتبيين ١٥/٢ ، وغريب الحديث لابى عبيد ٦٨/٢ .

(٤٤) انظر الحديث فى غريب ابى عبيد ١٠٤/٣ وانظر تعليق الاعرابى على كلام المصطفى ﷺ فيما نقله السيوطى عن البيهقى فى المزهر ٣٥/١ .

فى المفاضلة بين الأساليب ، وتجدر الاشارة فى هذا المقام الى أن العلماء بعد عبد القاهر لم يتحدثوا عن الغرابة فى معناها المجازى وان كانت كتب الغريب فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف تذخر بهذا النوع من الغرابة .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قائمـــة المراجـــع *

١ ـ الابـدال لأبى الطيب اللغوى ، تحقيق عـــز الدين التنوخى ، دمشـق ١٩٦٠ .

٢ ـ الابل « كتاب الابل للأصمعى » ، نشـره هفنر في « الكنز اللغوى » ص ٦٦ ـ ١٥٧ بيروت ـ ١٩٠٣ .

٣ ـ ابو عبيد القاسم بن سلام ، ثقافته العلمية واثاره ، بحث للدكتور عبد الله ربيع ، في مجلة كلية اللغة العربية بدمنهور ـ العدد الأول ١٩٨٣ ص ١٣ ـ ١٤١ .

٤ ـ ابو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية والنقدية للدكتور بـــدوى طبانة ط . ثانية القاهرة ١٩٦٠ .

٥ ـ الاتقان في علوم القران لجلال الدين السيوطى ، دار المعرفـــة (بيروت د.ت) ، توزيع داز الباز بمكة المكرمة .

٦ ـ اثر القرآن في تطور النقد العربى الى آخر القرن الرابع الهجرى للدكتور زغلول سلام ـ القاهرة ١٩٦١ .

٧ ـ الأجناس = كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى المنسوب لأبى عبيد القاسم بن سلام ، بيروت ١٩٨٣ .

٨ ـ اساس البلاغة للزمخشرى ، بيروت ١٩٦٥ .

٩ ـ اسباب وردود الحديث لجلال الدين السيوطى ، تحقيق يحيى اسماعيل ، بيروت ١٩٨٤ .

(*) رتبنا المراجع وفقا لأسمائها المختصرة التى اثبتناها في الهوامش ولم نراع في الترتيب اداة التعريف ولا كون الحرف المبدوء به اصليا او زائدا كما لم يراع لفظ « كتاب » الذى يتصدر كثيرا من العناوين .

١٠ — الاشارة = كتاب الاشارة الى الايجاز فى بعض انواع المجـــاز لعز الدين بن عبد السلام ، المدينة المنورة د.ت .

١١ — اصل العرب ولغتهم بين الحقائق والاباطيل للدكتور عبد الغفار حامـد هلال — القاهرة ١٩٨١ .

١٢ — اصلاح غلط المحدثين لأبى سليمان الخطابى ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ط. ثانية بيروت ١٩٨٥ .

١٣ — اصول الحديث لعجاج الخطيب ، بيروت ط ٢ — ١٩٧١ .

١٤ — اضداد قطرب = كتاب الأضداد لأبى محمد المستنير « قطرب » نشره كوفلـــر فى مجـلة اســلاميكا العـدد الخامس ١٩٣١ ، ص ٢٤٣ — ٢٦٤ .

١٥ — اضداد ابن السكيت ، نشره هفنر ضمن ثلاثـة كتب فى الأضداد ، فى بيروت ١٩١٣ (ص ١٦٣ — ٢٠٩) .

١٦ — اضداد السجستانى ، نشره هفنر ضمن ثلاثة كتب فى الأضداد ، بيروت ١٩١٣ (ص ٧١ — ١٥٧) .

١٧ — اضداد ابن الأنبـارى ، تحقيق محمد ابـو الفضل ابراهيم ، الكويت ١٩٦٠ .

١٨ — الأضداد فى كلام العرب لأبى الطيب اللغوى ، تحقيق عزة حسن دمشـــق ، ١٩٦٣ .

١٩ — اضداد الصغانى = كتاب الأضداد للصغانى نشره هفنر ذيـلا لـ « ثلاثة كتب فى الأضداد » بيروت ١٩١٣ (ص ٢٢١ — ٢٤٨) .

٢٠ — اعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية للرافعى ط. ثانية القاهرة ١٩٢٦ .

٢١ — الاقتراح فى اصول النحو للسيوطى بتحقيق احمد صبحى فرات، استنبول ١٩٧٥ .

٢٢ — الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ، بيروت ١٩٠٨ .

٢٣ - بحوث فى علوم القرآن الكريم للدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر القاهرة ١٩٨٥ .

٢٤ - البحوث اللغوية فى الروض الأنف للدكتور حامد شعبان ، القاهرة ١٩٨٤ م .

٢٥ - البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط. ثانية ، بيروت د.ت .

٢٦ - البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ط . رابعة القاهرة ١٩٧٥ .

٢٧ - بيان المختصر ،شرح مختصر ابن الحاجب لشمس الدين الأصفهانى تحقيق الدكتور محمد مظهر بقا ، سلسلة من التراث الاسلامى، التى تصدرها جامعة ام القرى بمكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ١٩٨٦ .

٢٨ - تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدى ط . اولى ، مصر ١٣٠٦ هـ .

٢٩ - تاريخ بغداد او مدينة السلام للخطيب البغدادى ، دار الكتاب العربى ، بيروت د.ت .

٣٠ - تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ، جـ٢ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ط . ثالثة ، القاهرة ١٩٧٤ .

٣١ - تاريخ التراث العربى لفؤاد سيسكن ، ترجمة الدكتور محمود حجازى وآخرين ، مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود ، الرياض ١٩٨٢ .

٣٢ - تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق السيد احمد صقر ط . ثانية ، القاهرة ١٩٧٣ .

٣٣ - تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن لابن ابى الاصبع المصرى بتحقيق الدكتور حفنى شرف ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .

٣٤ ـ تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط٠ ثانية ، المدينة المنورة ١٩٧٢ ٠

٣٥ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابورى المنشور بهامش جامع البيان لابن جرير الطبرى ، ط٠ أولى ، مصر ١٣١٣ هـ ٠

٣٦ ـ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد احمد صقر ، بيروت ١٩٧٨ ٠

٣٧ ـ تقريب النواوى ، طبع مع شرحه تدريب الراوى بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، بالمدينة المنورة ١٩٧٢ ٠

٣٨ ـ التقييد والايضاح ، للحافظ العراقى ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، ط٠ أولى ، المدينة المنورة ١٩٦٩ ٠

٣٩ ـ التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للصاغانى ، تحقيق عبد العليم الطحاوى وعبد الحميد حسن ، القاهرة ١٩٧٠

٤٠ ـ التمهيد فى اصول الفقه ، لمحفوظ بن احمد الكلوذانى الحنبلى ، جـ١ ، ٢ بتحقيق الدكتور مفيد محمد ابو عمشة ، الكتاب السابع والثلاثون من سلسلة من التراث الاسلامى (جامعة أم القرى) ٠ دار المدنى جدة ١٩٨٥ ٠

٤١ ـ تنمية اللغة العربية ، دراسات الملتقى الرابع لابن منظور ، تونس ١٩٧٨ ٠

٤٢ ـ تهذيب اللغة للأزهرى ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ ٠

٤٣ ـ جرس الألفاظ ودلالتها فى البحث البلاغى والنقدى عند العرب للدكتور ماهر مهدى هلال ، العراق ١٩٨٠ ٠

٤٤ ـ جمهرة اللغة لابن دريد الأزدى ٠ طبع حيدر آباد الدكن (الهند) ١٣٤٤ هـ ـ ١٣٥١ هـ ٠

٤٥ ـ الحديث النبوى ، مصطلحه ، بلاغته ، كتبه ، للدكتور محمد الصباغ ، ط٠ ثالثة ، بيروت ١٩٧٧ ٠

٤٦ - الحديث النبوى من الوجهة البلاغية للدكتور عز الدين السيد القاهرة ١٩٧٣ .

٤٧ - الخصائص لابن جنى تحقيق الأستاذ محمد على النجار ، القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ .

٤٨ - خلق الانسان للأصمعى ، نشره هفنر فى الكنز اللغوى ، بيروت ١٩٠٣ .

٤٩ - دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى ، تحقيق وتعليق الشيخ محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٤ .

٥٠ - دلالة الالفاظ للدكتور ابراهيم انيس ، ط٠ رابعة القاهرة ١٩٨٠ .

٥١ - دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية للدكتور محمد أبو موسى ، القاهرة ١٩٧٩ .

٥٢ - دور الكلمة فى اللغة تاليف ستيفن اولمان ، ترجمة الدكتور كمال بشر ، القاهرة ، مكتبة الشباب د٠ت .

٥٣ - رسالة تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية لأحمد بن كمال باشا ، مخطوطة مصورة عن مكتبة الجامعة التركية ، بمعهد البحث العلمى بجامعة ام القرى رقم ٢٢٣ .

٤ - الروض الأنف للسهيلى ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن الوكيل القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

٥٥ - الزينة = كتاب الزينة فى الالفاظ الاسلامية العربية للشيخ ابى حاتم احمد بن حمدان النوازى ، تحقيق حسين بن فيض الله الهمدانى ، القاهرة ١٩٥٧ .

٥٦ - سر الفصاحة لأبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٢ .

٥٧ - شرح النووى لصحيح مسلم = صحيح مسلم بشرح النووى ، تحقيق عبد الله احمد ابو زينة ، القاهرة د٠ت .

٥٨ - شرح درة الغواص لشهاب الدين الخفاجى ، ط٠ الأولى ، القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

٥٩ ـ شرح معانى الآثـار للطحـاوى تحقيق محمد زهـدى النجـار بيروت ١٩٧٩ ٠

٦٠ ـ شـفاء الغليل فيما فى كلام العـرب من الدخيل لشـهاب الدين الخفاجى تصحيح وتعليق ومراجعة الدكتور عبد المنعم خفاجى ، القاهرة ١٩٥٢ ٠

٦١ ـ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم للقاضى نشـوان الحميرى ، بتصحيح القاضى عبد الله بن عبد الكريم الحرافى ، بيروت د٠ت ٠

٦٢ ـ الشـوارد فى اللغة للصغانى ، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدورى (مطبوعات المجمع العلمى العراقى) بغداد ١٩٨٣ ٠

٦٣ ـ الصاحبى فى فقـه اللغـة لأبى الحسين احمـد بن فارس ، تحقيق السيد احمد صقر ، القاهرة ١٩٧٧ ٠

٦٤ ـ الصحاح = تـاج اللغـة وصحاح العربية لاسماعيل بن حمـاد الجوهرى تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، ط٠ ثانية ، القاهرة ١٩٨٢ ٠

٦٥ ـ الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، تحقيق الدكتور مفيد قميحـة بيروت ١٩٨١ ٠

٦٦ ـ طبقـات النحويين واللغويين لأبى بكـر الزبيدى الأندلسى ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٠ ثانية القاهرة ١٩٨٤ ٠

٦٧ ـ الطراز ليحيى بن حمزة العلوى ، مصر ١٩١٤ ٠

٦٨ ـ عبقرية محمد للأستاذ العقاد ، ط٠ ثانية ، بيروت ١٩٦٩ ٠

٦٩ ـ العربية ، دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب ليوهان فـك ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٨٠ ٠

٧٠ ـ علم اللغـة بين القديم والحديث للدكتور عبد الغفار حامد هلال ط٠ ثانية ، القاهرة ١٩٨٦ ٠

٧١ ـ علم الدلالة للدكتور احمد مختار عمر ، الكويت ١٩٨٢ ٠

٧٣ - علوم الحديث لابن الصلاح تحقيق نور الدين عتتر ، ، المدينة المنورة ١٩٦٦ .

٧٣ - العمـدة لابن رشيق تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٤ .

٧٤ - عمدة القارى لبدر الدين العينى ، دار التربية ، بيروت ، مصورة عن طبعة القاهرة ١٣٠٨ هـ .

٧٥ - العين للخليل بن احمد ، الجزء الأول بتحقيق الدكتور عبد الله درويش ، بغداد ١٩٦٧ ، والأجزاء ٢-٦ بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائى ومهـدى المخزومى ، بغداد ١٩٨٢ .

٧٦ - غع = غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام ، ط- اولى بتصحيح محمد عظيم الدين ، حيدر اباد الدكن - الهند ١٩٦٤ .

٧٧ - غريب الحديث لأبى عبيد بتحقيق الدكتور حسين شرف ، القاهرة ١٩٨٤ (الجزء الأول والثانى) .

٧٨ - غريب الحديث لابن قتيبة بتحقيق الدكتور عبد الله الجبورى بغـداد ١٩٧٧ .

٧٩ - غريب الحديث لابن قتيبة ، تحقيق ودراسـة السنية للدكتور محمـد رضـا السويسى ، تونس ١٩٧٩ .

٨٠ - غريب الحديث لأبى سليمان بن حمد الخطابى ، تحقيق الدكتور عبد الكريم ابراهيم الغرباوى ، دار الفـكر ، دمشـق ١٩٨٢ (سلسلة « من التراث الاسلامى » التى تصدرها جامعة ام القرى بمكـة المكرمة .

٨١ - غريب الحديث لابراهيم الحربى ، المجلدة الخامسة ، بتحقيق الدكتور سليمان العايد ، جـدة - ١٩٨٥ (سلسلة من التراث الاسلامى التى تصدرها جامعة أم القرى) .

٨٢ - غريب الحديث لأبى الفـرج بن الجـوزى تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى ، بيروت ١٩٨٥ .

٨٣ — غريب الحديث لحط، الراوى ، بحث منشور فى مجلة المجمع العلمى بدمشق ، مجلد ١٦ (١٩٤١) ص ٣١٩ — ٣٢٥ ٠

٨٤ — غريب المصنف لابى عبيد القاسم بن سلام ، صورة عكسية لمخطوطة المكتبة الوطنية بتونس رقم ١٥٧٢٨ محفوظة بمكتبة معهد البحث العلمى بجامعة ام القرى ٠

٨٥ — الغريبين لابى عبيد الهروى ، تحقيق الدكتور محمود الطناحى ، القاهرة ١٩٧٠ ٠

٨٦ — الفائق فى غريب الحديث ، للزمخشرى ، ط٠ ثانية ، تحقيق على محمدالبجاوىومحمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة د٠ت ٠

٨٧ — فتاوى الامام ابن تيمية (المجلد الثامن عشر) ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العاصمى النجدى ، (تنفيذ مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة) ، القاهرة ١٤٠٤ هـ ٠

٨٨ — فتح البارى لابن حجر العسقلانى ، القاهرة ١٩٥٩ (مطبعة الحلبى) ٠

٨٩ — فصول فى فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب ، ط٠ اولى القاهرة ١٩٧٣ ٠

٩٠ — فعل وافعل للأصمعى = كتاب فعل وافعل لعبد الملك بن قريب الأصمعى بتحقيق الدكتور عبد الكريم العزباوى ، منشور بمجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى ، كلية الشريعة بجامعة ام القرى ، العدد الرابع ١٤٠١ هـ ص ٤٦٧ — ٥٤٧ ٠

٩١ — فقه اللغة وسر العربية لابى منصور الثعالبى ، دار الكتب العلمية ، بيروت د٠ت ٠

٩٢ — الفهرست لابن النديم ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ليبزج باشراف رودجر ١٨٧١ ٠

٩٣ — فى التعريف والمعرب ، وهو المعروف بحاشية ابن برى على كتابالمعرب للجواليقى ، تحقيقالدكتور ابراهيم السامرائى ، بيروت ١٩٨٥ ٠

٩٤ ـ قصد السبيل فيما فى اللغة العربية من الدخيل للمحبى ، تحقيق ودراسة ـ مخطوط بمكتبة كلية اللغة العربية ـ جامعة ام القرى (رسالة ماجستير مقدمة من الطالب عثمان محمود حسين) مكة المكرمة ١٩٨٢ .

٩٥ ـ القلب والابدال لابن السكيت ، نشره ضمن « الكنز اللغوى » هفنر فى بيروت ١٩٠٣ .

٩٦ ـ قنعة الأريب فى تفسير الغريب لابن قدامة المقدسى ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٣٤ .

٩٧ ـ كشاف اصطلاحات الفنون = موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية .

٩٨ ـ كنز الحفاظ فى كتاب تهذيب الألفاظ ، (لابن السكيت) ، هذبه ابو زكريا التبريزى ، للأب لويس شيخو اليسوعى ، بيروت ١٨٩٥ .

٩٩ ـ لسان العرب لابن منظور ، بيروت ، دار صادر ١٩٥٦ .

١٠٠ ـ لغة تميم ، دراسة تاريخية وصفية للدكتور ضاحى عبد الباقى القاهرة ١٩٨٥ .

١٠١ ـ اللغة العربية ، خصائصها وسماتها للدكتور عبد الغفار حامد هلال ، ط٠ ثانية ، القاهرة ١٩٨٠ .

١٠٢ ـ اللغة العربية ، معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ، القاهرة ١٩٧٢ .

١٠٣ ـ اللهجات العربية فى التراث للدكتور احمد علم الدين الجندى ط٠ الدار العربية للكتاب ليبيا ـ تونس ، ط٠ ثانية ١٩٨٣ .

١٠٤ ـ المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير تحقيق الدكتور احمد الحوفى والدكتور بدوى طبانة ، ط٠ اولى القاهرة ١٩٥٩ .

١٠٥ ـ مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق الدكتور فؤاد سزكين ، القاهرة (الخانجى) ١٩٥٤ .

١٠٦ - المجازات النبوية للشريف الرضى ، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٠٧ - المجاز في البلاغة العربية للدكتور مهدي صالح السامرائي ، سورية ١٩٧٤ .

١٠٨ - المجاز واثره في الدرس اللغوي ، للدكتور محمد بدري عبد الجليل الاسكندرية ١٩٧٥ .

١٠٩ - المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى المديني تحقيق الدكتور عبد الكريم الغرباوي ، جدة ١٩٨٦ (منشورات من التراث الاسلامي - جامعة أم القرى) .

١١٠ - مدخل الى علم اللغة الحديث للدكتور عبد الفتاح البركاوي (اوفست) القاهرة ١٩٨٤ .

١١١ - مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٠ ثانية القاهرة ١٩٧٤ .

١١٢ - المزهر في علوم اللغة وانواعها لجلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرين ، ط٠ دار احياء الكتاب العربي ، القاهرة د ٠ ت ٠

١١٣ - المسانيد ومكانتها في علم الحديث النبوي ، بحث للدكتور نور الدين عتر منشور في بحوث كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ، العدد الثاني ١٤٠٥ هـ ، ص ٤٩ - ٧٣ .

١١٤ - المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا للدكتور توفيق شاهين القاهرة ١٩٨٠ .

١١٥ - المشوف المعلم في ترتيب الاصلاح على حروف المعجم لأبي البقاء العكبري تحقيق ياسين محمد السواس ، سورية ١٩٨٣ (منشورات « من سلسلة التراث الاسلامي - جامعة أم القرى) .

١١٦ - المطول على التلخيص للتفتازاني تصحيح عثمان زاده احمد رفعت ، ايران ١٣٣٠ هـ .

١١٧ — معانى ابيـــات الحماســـة لأبى عبد الله الحسين بن على النمرى) ، تحقيق عبد الله عبد الرحيم عسلان ، القاهرة ١٩٨٣ .

١١٨ — معانى القرآن لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء تحقيق محمد على النجـــار وآخرين ، القاهرة ١٩٥٥ — ١٩٧٢ .

١١٩ — المعانى الكبير فى ابيـــات المعانى لابـــن قتيبـــة ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى اليمانى ، حيدر اباد — ١٣٦٨ هـ .

١٢٠ — معترك الأقران فى اعجاز القرآن للسيوطى ، القاهرة ١٩٦٩ .

١٢١ — معجم الأدباء لياقوت الحموى ، القاهرة ١٩٣٦ — ١٩٣٨ .

١٢٢ — المعجم العربى ، نشاته وتطوره للدكتور حسين نصار ، ط. ثانية القاهرة ١٩٦٨ .

١٢٣ — المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم لأبى منصور الجواليقى تحقيق الشيخ احمد محمد شاكر ، ط . ثانية القاهرة ١٩٦٩ .

١٢٤ — معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابورى ، نشره السيد معظم حسين ، بيروت د.ت .

١٢٥ — المغنى فى اصول الفقه لجلال الدين عمر بن محمد الخبازى ، تحقيق الدكتور محمد مظهر بقـا (سلســـلة « من التراث الاســلامى — جامعة ام القرى) مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ .

١٢٦ — مفاتيح العلوم للخوارزمى ، القاهرة ١٣٤٢ هـ .

١٢٧ — مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العـــلوم ، تاليف احمد مصطفى الشـــهير بطاش كبرى زاده ، تحقيق كامل البكرى وعبد الوهاب ابو زيـد ، القاهرة ١٩٦٨ .

١٢٨ — المفصل فى الألفاظ الفارسية المعربة للدكتور صـــلاح الدين المنجـد طهران ١٩٧٨ .

١٢٩ — مقاييس اللغـة لأحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ط. ثانية القاهرة ١٩٦٩ .

١٣٠ ـ مقدمة الصحاح ، تاليف احمد عبد الغفور عطار ، ط٠ ثالثة القاهرة ١٩٨٢ ٠

١٣١ ـ مقدمة تهذيب اللغة للأزهرى ، تحقيق بسام عبد الوهاب الجالى دمشق ١٩٨٥ ٠

١٣٢ ـ مقدمة ابن خلدون ، ط٠ رابعة بيروت ١٩٨١ ٠

١٣٣ ـ منال الطالب فى شرح طوال الغرائب لمجد الدين بن الأثير ، تحقيق الدكتور محمود الطناحى ، القاهرة ١٩٨٣ (سلسلة « من التراث الاسلامى ـ جامعة ام القرى) ٠

١٣٤ ـ من اسرار اللغة للدكتور ابراهيم انيس ، ط٠ سادسة ، القاهرة ١٩٧٨ ٠

١٣٥ ـ من بلاغة الحديث الشريف للدكتور عبد الفتاح لاشين ، جدة ١٩٨٢ ٠

١٣٦ ـ الموازنة للآمدى ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت د٠ت (مصورة عن الطبعة الأولى ١٩٤٤) ٠

١٣٧ ـ موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية ، المعروفة بكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ط٠ بيروت د٠ت ٠

١٣٨ ـ المولد فى العربية للدكتور حلمى خليل ط ٠ ثانية بيروت ١٩٨٥ ٠

١٣٩ ـ نصرة الثائر على المثل السائر لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى ، تحقيق محمد على سلطانى دمشق د٠ت ٠

١٤٠ ـ نصوص فى فقه اللغة العربية للدكتور يعقوب بكر (الجزء الثانى) بيروت ١٩٧١ ٠

١٤١ - نظرية اللغة فى النقد العربى للدكتور عبد الحكيم راضى ، القاهرة ١٩٨٠ .

١٤٢ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ط . ثالثة القـــاهرة ١٩٧٨ .

١٤٣ - النهاية فى غريب الحـديث والأثر لمجـد الدين بن الأثير ، تحقيق احمـد طاهر الزاوى و محمود الطنـاحى ط . اولى القـــاهرة ١٩٦٣ .

١٤٤ - نوادر ابى زيد ، كتاب النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى ط . ثانية ، بيروت ١٩٥٧ (مصورة عن الأولى ١٨٩٤) .

١٤٥ - نوادر ابى مسـحل لأبى محمـد عبـد الوهاب بن حريش ، دمشق ١٣٨٠ هـ .

المراجـــــع الأجنبيـــــة (*)

* بولر

— K. Boeler, Sprachtheorie, 2. Aufl. 1965

* فيشر F F B :

— W. Fischer, Farb-und Formbezeichnungen in der Sprache der alt arabischen Dichtung, Wiesbaden 1965.

* فرنكل ar. F W.

— S. Fraenkel, die aramaeischen Fremdwoerter im Arabischen, Hildesheim 1962.

* جفرى Voreign Vocabulary :

— A. Jeffery, The Voreign Vocabulary of the Qur'ân, Baroda 1938.

* كوفلر Islamica :

— H. Kofler, Anmerkungen Zum Kitab al-Addad des Qutrub in Islamica V 1931, S. 386-461.

* لواندأوفسكى Lewandowski :

— Th. Lewandowski, Linguistisches Woerterbuch Heidelberg 1980.

* نولدكه Neue Beit. :

— Th. Noeldeke, Neue Beiträge zur Semitishen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910.

* شبتالر Wzkm :

— A. Spitaler, Die Schreibung des Typus صـــلوة im Koran in WZKM (Wiener Zeitrchsift für die Kund des Morgenlands) 56 (1960) S. 212-226.

(*) اثبتنا رموز المراجع الأجنبية كما وردت فى البحث على الجهة اليمنى وسجلنا بياناتها كاملة على الجهة اليسرى .

* مؤلفو Hb. der Linguistik :

— H. Stammerjohann, Handbuch der Linguistik aus Beitraegen Von H. Arens, Barono, Betzua. Muenchen 1975.

* تسمرن ak. F W. :

— H. Zimmern, Akkadische Fremdwoerter als Beweis babilonischen kltureinfluss in den westsemitischen Sprachen 2. Afl. Leipzig 1917.

الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمـــــــة	٣ ـ ٦
الفصـــل الأول :	٧ ـ ٤٦
مفهوم الغـــرابة	**٧ ـ ٩**
الغريب فى اصطلاح اللغويين	٩ ـ ١٧
الغريب واللغـــة	١٧ ـ ١٨
مصطلحات اخرى مماثلة او مقاربة للغريب	١٨
الحوشى او الوحشى	١٩ ـ ٢٠
الغريب والنادر	٢٠ ـ ٢٥
الشـواذ والشـوارد	٢٥ ـ ٢٩
الغريب فى اصطلاح النقاد والبلاغيين	٢٩
اللغة العربية بعد الفتح الاسلامى	٢٩ ـ ٣١
مفهوم الغرابة عند الجاحظ	٣١ ـ ٣٢
مفهوم الغرابة عند عبد القاهر	٣٢ ـ ٣٤
الغريب والحوشى عند النقاد والبلاغيين	٣٥ ـ ٣٨
مصطلح الغريب عند علماء المعانى	٣٨ ـ ٤٠
المشكل والمتشابه والمجاز	٤٠ ـ ٤٣
الغريب لدى علماء اصول الحديث	٤٣
الغريب من الحديث	٤٣ ـ ٤٥
غريب الحديث	٤٥ ـ ٤٦
الفصـــل الثـانى :	٤٧
مظاهر الغـــرابة فى الحديث الشريف فى ضوء ما اورده ابو عبيـد فى غـريب الحديث	**٤٧ ـ ١٠٢**
ابو عبيد ومكانته العلمية	٤٩ ـ ٥١
كتاب « غريب الحديث »	٥٢ ـ ٦٠
ترتيب غريب الحديث وتاثر العلماء به	٦٠ ـ ٦٦
مظاهر الغرابة في الحديث النبوى (دراسة تحليلية)	٦٦

الموضـــــوع	الصفحة
ما المعنى الذى تتعلق به الغرابة	٦٧
الغرابة فى المعنى المعجمى	٦٧ - ٦٩
الغرابة فى المعنى الصرفى	٦٩ - ٧٤
الغرابة فى المعنى المجازى	٧٥ - ٨٦
الغرابة فى المعنى العام (وجه الحديث)	٨٦ - ٩٦
التفاوت فى مظاهر الغرابة	٩٦ - ٩٧
مظاهر الغرابة عند ابن قتيبة والخطابى	٩٧ - ١٠١
مفهوم الغـــرابة عند المتاخـرين من علماء غريب الحديث	١٠١ - ١٠٢
الفصـــل الثالث :	١٠٣
اسباب الغرابة فى الحديث النبوى	**١٠٣ - ١٩٥**
الغرابة وعلم المعنى	١٠٥ - ١٠٧
العوامل الذاتية للغرابة	١٠٧
المشترك	١٠٧ - ١٠٩
المشترك فى الحديث الشريف	١١٠ - ١٢١
المشترك والغرابة	١٢١ - ١٢٤
المشترك فى غريب الحديث	١٢٤ - ١٤٣
الاختلافات اللهجية	١٤٣ - ١٤٧
استعمال الالفاظ اللهجية والغرابة	١٤٧ - ١٥٣
الالفاظ المعربة	١٥٤
المعرب - الاعجمى	١٥٤ - ١٥٦
التعريب والغرابة	١٥٦ - ١٦٨
الاستعمال المجازى	١٦٨ - ١٧٠
المجاز والغرابة	١٧٠ - ١٧٢
العوامل الخارجية لظاهرة الغرابة	١٧٣
تاثير الاسلام فى اللغة	١٧٣ - ١٧٣
اكساب الالفاظ معانى جديدة	١٧٣ - ١٧٥
الالفاظ الاسلامية	١٧٥ - ١٧٦
الالفاظ الاسلامية والغرابة	١٧٦ - ١٨٠
الالفاظ الجاهلية	١٨٠ - ١٨١
الالفاظ الجاهلية والغرابة	١٨٢ - ١٨٤
التطور اللغوى	١٨٤ - ١٨٥
التطور اللغوى والغرابة	١٨٥ - ١٨٩

الموضـــــوع	الصفحة
اختلاف الرواة	١٨٩ - ١٩١
اختلاف الرواة والغرابة	١٩١
اختلاف الروايات فى غريب الحديث	١٩١
الاختلاف على المستوى الصوتى	١٩١ - ١٩٢
الاختلاف على المستوى الصرفى	١٩٢ - ١٩٣
الاختلاف على المستوى الدلالى	١٩٣ - ١٩٥
الخاتمـــــة	١٩٧ - ٢١٠
فصاحة الرسول ﷺ والغرابة	١٩٩
عوامل الفصاحة النبوية	١٩٩ - ٢٠١
الفصاحة النبوية والغرابة	٢٠١ - ٢٠٤
الفصاحة والغرابة على المستوى العرفى أو الاجتماعى	٢٠٤ - ٢٠٩
الغرابة والفصاحة على المستوى الفنى (للاستعمال اللغوى)	٢٠٩ - ٢١٢
قائمة المراجع العربية	٢١٣ - ٢٢٥
المراجع الأجنبية	٢٢٧ - ٢٢٨
فهرس الموضوعات	٢٢٩ - ٢٣١

(تم بحمد الله)

رقم الايداع بدار الكتب المصرية : ٣٤٧٨ لسنة ١٩٨٧

مطبعـــة حســـان
٢٤١ (أ) شارع الجيش ـ القاهرة
٩٢٥٥٤٠ : ☎